الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

المراهنة على الزمن في الفكر الإسرائيلي

العدد ٤٠٦ ـ السنة السادسة والثلاثون ـ جمادى الآخرة ١٤٢٠ هـ ـ سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٩

الإنقلاب الكوني

حريق المسجد الأقصى... نكبة حضارية

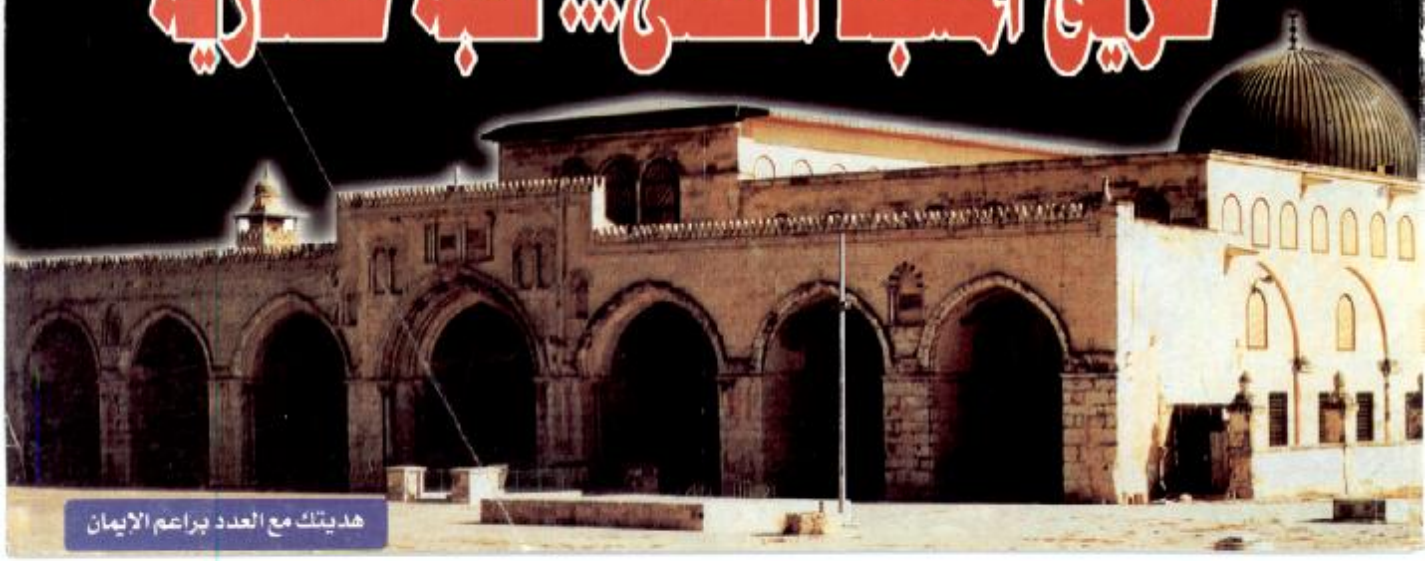

هديتك مع العدد براعم الإيمان

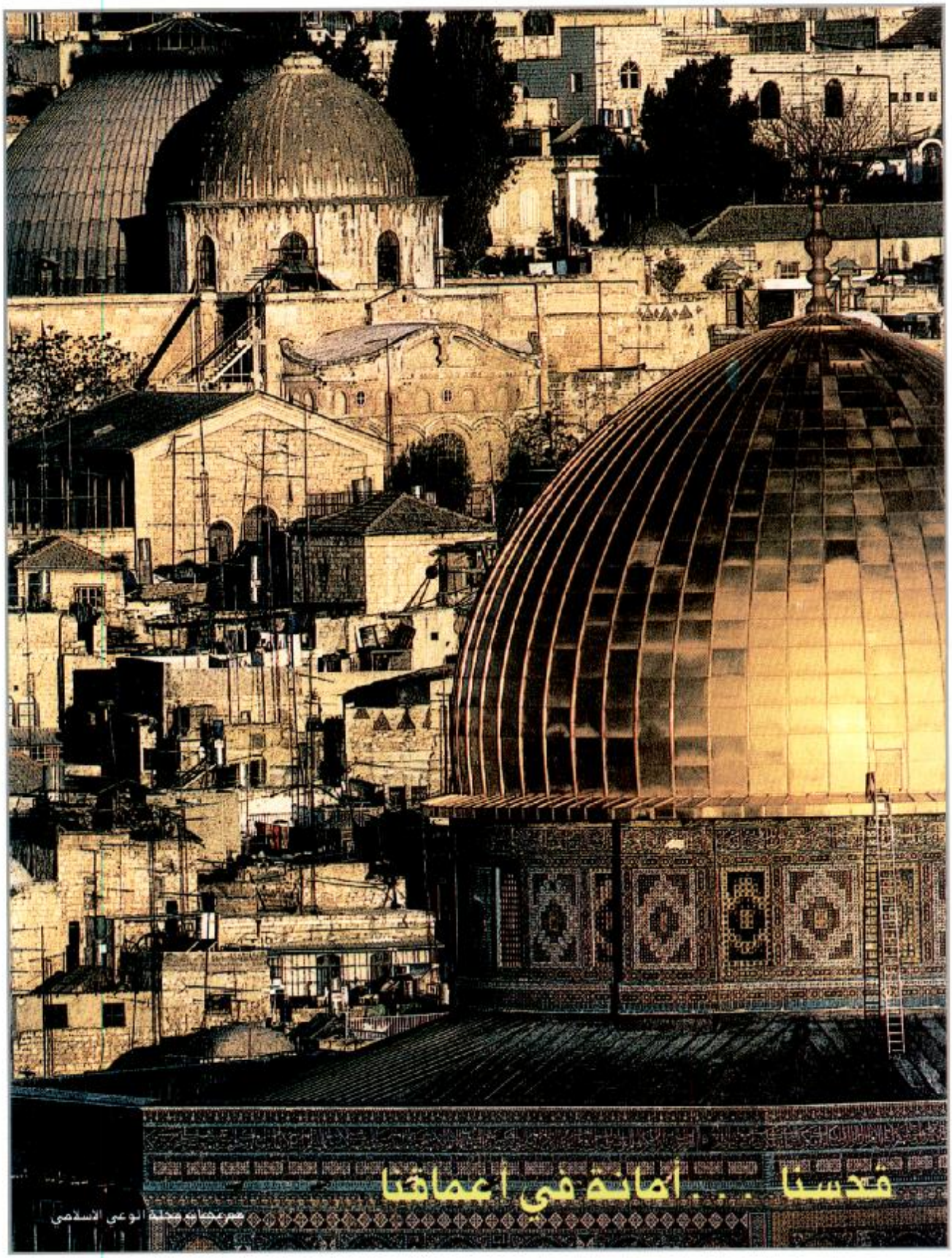
قدسنا ... أمانة في أعماقنا
مع تحيات مجلة الوعي الإسلامي

الوعي الإسلامي

إسلامية ❖ شهرية ❖ جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The Ministry of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
د. صالح أحمد الراشد
Dr. SALEH A. AL-RASHED

المشرف الإداري والمالي
ADMN. & FINANCE DIRECTOR
خالد عبداللطيف بوقماز
KHALED A. BUQAMMAZ

سكرتير التحرير
EDITORIAL SECRETARY
وائل أحمد الهنيدي
WAEL A. AL-HUNAIDI

الإشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
SALEH M. SALEH

العدد 406 . السنة الخامسة والثلاثون - جمادى الآخرة 1420 هـ - سبتمبر / أكتوبر 1999 م

كلمة العدد

منظومتنا الحضارية

أعزاءنا القراء: يشهد العالم المعاصر متغيرات متسارعة وإنجازات مادية عظيمة وتسابق كبير للحاق بركب الحضارة الغربية التي ركّزت في منطلقاتها وأهدافها وغاياتها على تنمية الجانب المادي للإنسان وأهملت الجانب الروحي مما أوقعها في أزمة حقيقية نتائجها ما نراه اليوم من فتن وحروب وأمراض اجتماعية وبدنية وقلق وجشع وطمع وأنانية وتهافت على تحقيق المصالح الآنية.

لقد حاولنا في هذا العدد التركيز على الجانب الحضاري لديننا الإسلامي العظيم، القائم على التعاون والحوار والتعايش دون فقدان الخصوصية المتميزة الجامعة بين الروحانية والمادية في منظومة حضارية رائعة تستهدف بني الإنسان وتخاطبهم أينما كانوا (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) إنها موازنة مطلوب من المسلمين أن ينتهجوها في نهضتهم الحضارية المعاصرة حتى يعودوا كما كانوا وكما أراد الله لهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

الوعي الإسلامي

الأسعار

الكويت: ٣٥٠ فلسا . السعودية: ٤ ريالات . البحرين: ٣٠٠ فلس . قطر: ٤ ريالات . الإمارات: ٤ دراهم . سلطنة عمان: ٣٠٠ بيسة . الأردن: ٥٠٠ فلس . مصر: جنيه واحد . السودان: ٥ جنيهات . موريتانيا: ١٢٠ أوقية . تونس: دينار واحد . الجزائر: ٥ دنانير . اليمن: ٥ ريالات . لبنان: ١٠٠٠ ليرة . سوريا: ٢٠ ليرة . المغرب: ٦ دراهم . ليبيا: ٥٠٠ مليم . أوروبا: جنيه استرليني واحد او مايعادله . امريكا وبقية دول العالم الأخرى: دولاران او مايعادلهما.

المراسلات

المراسلات كافة باسم رئيس التحرير
مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ - الصفاة - 13097 - الكويت
هاتف ٥٣٤٨٩٧٦ (٩٦٥+) فاكس ٥٣٤٨٩٥٤ (٩٦٥+)

al-Waei al-Islami
P.O. BOX 23667 SAFAT
13097 KUWAIT
TEL. 965 5348976 FAX 965 5348954

e.mail: al_waei@hotmail.com
Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

الاشتراكات

- داخل الكويت:
للأفراد ٥ دنانير . للمؤسسات ١٠ دنانير كويتية
- الدول العربية:
للأفراد ٦ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم:
للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- للمؤسسات:
٢٠ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الإسلامي
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر. والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

مطابع السياسة - الكويت

وكيل التوزيع شركة الخليج لتوزيع الصحف هاتف ٤٨١٦٨٨٤/٥ / ٤٨٣٥٠٤٧ ص.ب ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت . برقيا نيوزيبر

في العدد

في القضية الفلسطينية

المراهنة على الزمن في الفكر الإسرائيلي

الزمن قيمة حياتية كبيرة، وقاسم مشترك لدى جميع الأفراد والشعوب، والإسرائيليون راهنوا ويراهنون على الزمن لتحقيق مصالح أفضل وهم أول من عرفوا الأجل النسبي، وراهنوا عليه.

14

فكر 22

عن التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية

أبرز صور التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية كانت بين نسبية الحقيقة في الثقافة الغربية وبين النص القطعي الثابت الدلالة في الثقافة الإسلامية.

علوم 83

فصل المقال في حركة الجبال

الجبال مكونات أرضية تتحرك بحركة كوكب الأرض في الفضاء، وهي محمولة على الأرض وتتحرك بحركتها لأن الجزء لابد أن يتبع الكل الذي ينتمي إليه ترى كيف تتحرك الجبال؟

أبواب ثابتة

حدث في هذا الشهر سرايا رسول الله ﷺ 8

ثمرات الفكر من اتفاق أوسلو إلى الدولة ثنائية القومية 88

نافذة على العالم شبكة إسلامية على الإنترنت دشنتها وزارة الأوقاف القطرية 90

الفهرس

٣	كلمة العدد/ منظومتنا الحضارية	التحرير
٥	الافتتاحية/ حريق المسجد الأقصى نكبة حضارية	رئيس التحرير
٦	بريد القراء	التحرير
٨	حدث في مثل هذا الشهر	وائل الهنيدي
١٠	وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية كرمت الفائزين بمسابقة البحث والشعر والخط العربي	تمام أحمد
١٣	كوارث/ زلزال مدمر يضرب تركيا	تمام أحمد
١٤	في القضية الفلسطينية / المراهنة على الزمن في الفكر الإسرائيلي	د. رفيق الحليمي
١٩	قضايا فقهية/ أسس التقريب بين المذاهب الفقهية	محمود النجيري
٢٢	قضايا فكرية/ عن التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية	غازي التوبة
٢٤	شعر/ المثال الفريد	محمود محمد أحمد
٢٦	دراسات قرآنية/ كيف تتجدد المعاني القرآنية؟ ٢/١	محمد نور سويد
٣١	إعلام/ الرأي العام وأثره في المجتمع	حيدر فقة
٣٤	حوار/ الفكر الإسلامي د. عبدالحليم عويس	أحمد محمد عبدالعظيم
٣٧	تيارات هدامة/ العلمانية خطر على الأمة الإسلامية	د. محمد بلاسي
٤٠	دراسات تاريخية/ الانقلاب الكوني	د. خالص جلبي
٤٤	حضارة/ من أجل تكريس مفهوم تعارف الحضارات	د. حسن عزوزي
٤٦	هانتنجتون وقضية التزاوج الحضاري	عطية فتحي الويشي
٤٨	رؤية توينبي لمستقبل الحضارة الإسلامية	مصطفى محمد طه
٥٢	الحاسوب بين الأمية والحضارة	أحمد عبدالوكيل صافي
٥٤	فقه/ الفقه الإسلامي وعبث المجترئين	د. أحمد كريمة
٥٦	تاريخ/ رجال ومواقف	محمد يوسف الجاهوش
٥٨	قراءة في كتاب/ هموم الأمة الإسلامية للدكتور محمود حمدي زقزوق	د. أحمد محمد سالم
٦٢	قصة/ نائب إلى الله	محمد علي وهبة
٦٤	شخصيات/ مالك بن نبي مفكر إسلامي	حواس محمود
٦٨	البيت المسلم/ الإسلام والتربية الأسرية	د. حمد الرشيد
٧٢	أثر البيئة في تربية الطفل	عبدالرزاق زعال
٧٤	وقفات من اقتصاد البيت المسلم	د. زيد الرماني
٧٦	الاضطرابات الهضمية عند الأطفال	د. رضوان أحمد بيطار
٧٩	عفواً سيدي الرجل	منى السعيد الشريف
٨٠	مفاهيم تخص المرأة	د. حسن أبو غدة
٨٢	لغة الطفل كيف نفهمها؟	أشرف سعد
٨٣	علوم/ فصل المقال في حركة الجبال	د. كارم السيد غنيم
٨٦	ترجمات/ الإسلام انتشر في روسيا قبل قرن من اعتناقها المسيحية	عبدالمنعم أحمد
٨٨	ثمرات الفكر	محمد هاني
٩٠	نافذة على العالم	التحرير
٩٤	حديقة الوعي	أحمد عبدالجبار
٩٦	الفتاوى	إدارة الإفتاء
٩٨	المرسى/ القوة ... القوة	علي مدني رضوان

الافتتاحية

حريق المسجد الأقصى... نكبة حضارية

يوم السبت الموافق ٢١/٨/١٩٩٩م مرت الذكرى الثلاثون على حريق المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثالث الحرمين، والمتأمل في هذا الحدث الكبير تبرز له جملة علامات في حياة المسلمين ومستقبلهم، وفي الفكر الإنساني على العموم، إذ إن أبرز ما يمكن أن يُقال في حريق المسجد الأقصى في جانب الفكر الإنساني أنه نكبة حضارية بكل ما تحمل تلك الكلمة من معنى، ذلك أن الحضارة تعني الرقي والتقدم وهي في المفهوم الإسلامي أبعد أثراً باعتبار أن التقدم لايقتصر على علوم المادة وإنما كذلك الرقي في السلوك والآداب ومن هذا المنطلق فإن حريق المسجد الأقصى هدر لكل المعاني والقيم الحضارية التي تسمو بالإنسان إلى الأفضل وإلى الحياة السعيدة الطيبة بالذات إذا ما اعتمدنا نظرة الإسلام الحنيف ونظرة احترام الأديان بشكل عام، فهذا الاعتداء على أماكن العبادة والمقدسات يعتبر خروجاً على مفاهيم الحضارة، لذا يمكننا بكل ثقة أن نطلق على هذا الحدث الخطير بأنه نكبة حضارية، وأي نكبة تلك التي تم فيها التهجم على معلم مقدس لدى الأديان السماوية كافة!!

وإذا ما نظرنا إلى أثر هذا الحدث في حياة المسلمين، فإنه مما لا شك فيه أن النكبات والأزمات والكوارث تجمع الناس ولا تفرقهم، ومثل هذا الحدث أدانته واستنكرته كل الهيئات العالمية لحقوق الإنسان، وعقدت على إثره مؤتمرات وندوات وشجب واستنكار، إلا أن الشيء الأكثر أهمية في حياة المسلمين ومستقبلهم هو ألا يعيشوا ردة الفعل وحسب وإنما المهم تبني خطوات فاعلة وجادة للوقوف ضد المنهج الصهيوني في التعامل مع المقدسات الإسلامية والذي يدل على أن صراعهم هو صراع حضاري عقائدي وصراع وجود ومصير وليس صراع نزاع أو حدود، ولعلنا نلمس ذلك بعد مضي ثلاثة عقود من الزمن على حريق المسجد الأقصى حيث استمرت الاعتداءات الصهيونية على المقدسات الإسلامية متحدية مشاعر المسلمين، بل المجتمع الدولي كله، بينما أوضاع العرب والمسلمين مازالت ما بين تقدم وتأخر إن لم يكن غالباً هي إلى التأخر أكثر، بدليل أنها فقدت دورها الإيجابي الفاعل على الساحة العالمية. والأمة التي لا تحترم نفسها لا يمكن أن تحترمها الأمم الأخرى أو تحسب لها أي حساب لكن عزاءنا أن أمة المسلمين كافة التي قال فيها رسولها الكريم صلى الله عليه وسلم: «الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة» الحديث، تجعلنا في تفاؤل وأمل إلى أن مثل هذا الحدث وما تبعه من مسلسلات عدوانية يجب أن يدفعنا لمزيد من الترابط والتكاتف والوعي بالمستقبل المنشود لخير المسلمين، بحيث نكون أكثر حذراً لما يخطط له الأعداء والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ■

رئيس التحرير

بريد القراء

ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

هيا بنا نغترب !

وهي دعوة أوجهها إلى كل من يكره أن يعيش إمعة في زمن التزاحم على كل شيء وينشد التميز ولو صار به غريباً... والغربة التي أعنيها ليست كالتي أخذت بعض كتابنا ومثقفينا ولم ترجعهم إلى الآن حتى أقلامهم أخذوها منهم وأعطوهم أخرى غيرها ملونة تناسب كل مقام وكل مقال.

كلا يا رفاق ليست كهذه مطلقاً ولكنها غربة من نوع خاص مستوحاة من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم -: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»... فهي غربة السلوك الإسلامي في المجتمعات الفاسدة.. وغربة السمت الإسلامي حيث التميع المظهري وغربة الهوية الإسلامية حيث المسخ ... نعم المسخ والذي يجب أن نقف عنده لحظة لخطورته الملموسة في عصب أمتنا...

وذلك لأن كثيراً من شبابنا قد أعجبتهم حياة الغرب حيث التحرر والانحلال فأرادوا تقليدها والسير في ركابها ولكنهم للأسف... أصبحوا كالطائر الذي أعجبته مشية الطاووس فأراد أن يحاكيها ويمشي مثلها.. ولكنه بعد فترة وجد أنه لم يستطع محاكاتها في الوقت نفسه الذي كان قد نسي فيه مشيته الأصلية فأصبح مسخاً بلا هوية... هذا هو حال عدد غير قليل من شبابنا حتى أصبح الشاب المتمسك بدينه بينهم يبدو غريباً أو لكأنه جاء من كوكب آخر ينال منهم السخرية والاستهزاء فيجني الألم والمعاناة.. ولكن ماذا يضيره ومعلمه يقول: «يأتي زمان على أمتي القابض فيه على دينه كالقابض على جمر» وأظنه والله هذا الزمان... وأظن أيضاً أن هذه هي أيام عودة الإسلام غريباً أيضاً... ولكننا والله لن نبالي بالجمر ولن نتخلى عن غربتنا أيضاً والتي تمنحنا التميز... تميز الفكر والسلوك، وسنكون كما أوصانا صاحب الرسالة حين قال: «كونوا كالشامة بين الناس»، وسننظر إلى غيرنا من علٍ بقدر علو المنهج الذي نتبعه ولن نشعر بوحشة مطلقاً... فأي وحشة تلك ونحن في رحاب الحق وجنتنا في صدورنا.. تلك هي غربتنا وهذا هو حال غريبنا فهو ليس الذي فارق الديار وودع الأهل والخلان ولكنه من يجد والناس من حوله يلعبون، ويصحو والناس من حوله ينامون، ويسلك درب الخير والناس في ضلالهم يتخبطون، وصدق الشاعر إذ يقول:

قال لي صاحب اراك غريباً
بين هذا الأنام دون خليل
قلت كلا بل الأنام غريب
أنا في عالمي وهذي سبيلي

هذا هو الغريب غريب عند العابثين من البشر ولكنه عند ربه في مقام كريم. ■

عمران أحمد عطا الله شمروخ - مصر

فن إنشاد الشعر

إن روح الشعر التي يحيا بها، ويموت من دونها هي إنشاده، والإنشاد يحتاج إلى فنان موهوب، فكم من شعر قوي رصين تنفر منه النفوس، وتمجه الأسماع بسبب الإنشاد الميت، والإلقاء الضعيف ومعظم الشعراء موهوبون في فن الإنشاد لأن الشاعر يلقي القصيدة ويؤديها أداء جميلاً ممتعاً، لأن هذا شعره نبع من بين جوانحه وخلقته خوالج نفسه فتراه عند الإنشاد يرفع الصوت في المواضع التي تقتضي رفعه، ويخفضه في المواضع التي تتطلب خفضه، فيفرق بنبرات صوته بين مواقف الفرح ومواقف الحزن، فللعتاب صوته ونبراته، وكذا الحنين فبالانشاد يستطيع المنشد أن يسيطر على عواطف السامعين فإذا هم معه يعيشون في عالمه ينفعلون بما به ينفعل، فيطربون لما به يطرب، ويحزنون لما به يحزن فترى الجمع في فرد، والكل في واحد، فلا عجب إذا قلنا إن شاعراً أيقظ أمة، وبعث مجتمعاً.

ومما يحزن أنه في وقتنا الحالي مات الإنشاد في مدارسنا، فمات الشعر ناهيك عن أن دراسة النصوص الشعرية في مدارسنا دراسة ميتة تنفر الطلاب ولولا رغبتهم في النجاح والحصول على شهادة علمية ما أقبلوا عليها يحفظونها أو يدرسونها مكرهين، وبعد اجتياز الامتحان لا يبقى في ذاكرتهم منها شيء، لكل هذا يجب علينا أن نهتم بإنشاد الشعر حتى نشعر بجماله وحلاوته. ■

محمد عباس محمد عباني - مصر

ردود خاصة

● **الأخ الحسن بو طاهيري - هولندا :**

وصلت رسالتكم وسنعمل على تعديل العنوان بإذن الله كما سنرسل لكم العدد المفقود لديكم وجزاكم الله كل خير.

● **الأخ د. محمد ضياء الحق - باكستان :**

سنرسل لكم العدد ٣٩٦ والذي نشرت فيه مقالتكم.

● **القارئ عبدالفتاح محمد الشناوي - مصر :**

أعانكم الله ويمكنكم مراسلة إحدى الجمعيات الخيرية في بلدكم أو في الكويت للحصول على المساعدة المطلوبة.

● **الأخ محمد الصالح بن عمر عزيز - تونس :**

أحياناً لا تتوافر لدينا بعض الأعداد لكن سنعمل بإذن الله على تأمين العددين ٣٨٥، ٤٠٠ وإرسالهما إليك في أقرب وقت ممكن ونود لفت انتباهك إلى أن رقم فاكس المجلة الجديد هو: (٥٣٤٨٩٥٤).

● **القارئ أحمد صدقي محمد حسن - مصر :**

شكراً على ملاحظتك وقد بلغنا الجهة المسؤولة عن الخطأ لتلافي ذلك في المستقبل.

تصحيح

نترقب دائماً ظهور العدد الجديد من مجلة الوعي الإسلامي، حيث اعتدنا منها أن تزودنا بالموضوعات القيمة ونحصل على جرعة دسمة من المعلومات المفيدة بكل عدد جديد منها، ولقد لفت نظري عنوان مقال: «الآثار النفسية لأسلوب القرآن الكريم المنشور بالعدد ٤٠٠ ذو الحجة ١٤١٩هـ على الصحفات ٤٨، ٤٩، وبعد مطالعة الموضوع والوقوف على محتواه اعتراني إحباط وخيبة أمل ذلك لأن الكاتب قد جانبه التوفيق حينما شبه آيات القرآن الكريم ببعض التشبيهات غير الصحيحة والتي لاتليق بكتاب الله إذ يقول إن القرآن جمع بين الشعر والنثر ونذكره بقول الحق تبارك وتعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) (يس: آية٦٩)، ثم يسترسل المقال قائلاً إن ما في القرآن من سجع يشبه السجع الذي برع فيه العرب ونقول إنه لا يمكن لبشر أن يأتي بآية واحدة من كتاب الله وذلك هو سر إعجاز القرآن وصدق الله إذ يقول: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) البقرة:٢٤، كما جاء في قوله تعالى: (قل لإن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الإسراء:٨٨، كما ورد عن القرآن قول الحق تبارك وتعالى: (قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به) الجن:١، ٢. كما يقرر المقال أن القرآن فيه تكرار وتشابه في آياته لثبوت المعنى، والمعروف أن كل آية نزلت في القرآن لتعالج قضية معينة وفي مناسبة محددة وكل حرف من حروف القرآن له معنى خاص به وإن تشابه بعض الألفاظ كما في قوله تعالى: (ولاتقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) الإسراء:٣١، وقوله تعالى: (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا بالله شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) الأنعام:١٥١، والمتأمل يجد أن المعنى هنا مختلف تمام الاختلاف وصدق الله إذ يقول: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وما يذكر إلا ألوا الألباب) آل عمران:٧، ومع ذلك نجد المقال يشبه بعض آيات القرآن الكريم بالأمثلة الشعبية الدارجة هذه الأيام كما ورد في الصحفة ٤٩ حين شبه قوله تعالى: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) بالمثل القائل من جهل شيء عاداه وقوله تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) شبه ذلك بالمثال القائل خير الأمور أوسطها كما يذكر المقال في نهايته أن القرآن الكريم يعمد إلى التكرار في بعض آياته للتأثير ويشبه هذا بأصحاب الدعايات في عصرنا الراهن التي تعمد إلى التكرار لكي تكون مؤثرة فأنى لنا أن نشبه القرآن الكريم بأعمال الدعايات المتكررة مثل الدعاية عن شامبو أو نوع من الصابون أو خلافه لا يجوز أن نشبه كلام الله بكلام البشر ولو كان القرآن كذلك لملت الآذان من سماعه إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وهو يعلو ولا يعلى عليه، ينبغي إذا أردنا أن نستدل بمثل من القرآن أن نقول ولله المثل الأعلى. لأن أمور الدين لا ينبغي الخوض فيها إلا عن دراية كاملة وإن الخوض فيها دون وعي كافٍ كمن يجري عمليات جراحية وليس متخصصاً في علوم الطب.

بهذا أردت الإشارة ولا شك أن النوايا حسنة إن شاء الله. أسأل الله أن يهدينا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين ■

د. محمد حامد المسيري
أستاذ الفقه المقارن - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تعقيب

قرأت بعمق العدد رقم ٤٠٠ من مجلتنا الحضارية «الوعي الإسلامي» ولفت انتباهي مقال (فاطمة وذريتها رضي الله عنهم» المنشور في زاوية «قضايا المرأة في الصحافة» التي استمتعت بها كثيراً شأنها في ذلك شأن باقي موضوعات «الوعي الإسلامي» العميقة التي تقدم إسلامنا المخلد بشكل حضاري، ولا شك في أن المقال جيد ممتاز ويشهد بجهد كاتبه، ولكني أستأذنكم في أن أضيف بعض الإضافات المتواضعة.

ورد في مقدمة المقال أن النبي ﷺ دعا الله في عُرس سيدنا علي وابنته فاطمة - رضي الله عنهما - فقال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما» ثم ورد أنه ﷺ : «رش عليهما الماء من فيه الطاهر». والقصة هي أن سيدنا علي باع درعه إلى سيدنا عثمان - رضي الله عنهما - بأربعمائة وثمانين درهماً كي تكون مهر خير النساء في حين لم يكن يملك سوى ذلك الدرع وفرسه، وانتظر الرسول ﷺ أمر الله سبحانه وتعالى حتى جاءه الوحي، فقال: «إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي» ثم خطب فقال بعد حمد الله: «إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سبباً لاحقاً وأمراً مفترضاً أوشج به الأرحام وألزم به الأنام» إلى أن قال: «إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي». ثم دعا للعروسين فقال: «جمع الله شملهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة» ثم أمر بطبق من بلح فوضع بينهم وقال: «انتهبوا منه» فجعلوا يأكلون وتبسم ﷺ في وجه علي وقال: «إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك قال: رضيت، فقال ﷺ : «جمع الله شملكما وبارك لكما وبارك فيكما وبارك عليكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب»، وزفت فاطمة فانتقلت إلى بيت علي مع أم أيمن مولاة الرسول ﷺ ، وكان النبي ﷺ قد أوصى أن ينتظراه حتى يحضر بعد العشاء فلما حضر قال لفاطمة: «ائتني بماء» فقامت تتعثر في حياء، فأتته بقدح فيه ماء فأخذ منه في فمه الشريف ثم سكبه في الإناء وقال لها : «تقدمي» فتقدمت، فرش من الماء بين ثدييها وعلى رأسها وقال: «اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم». ثم قال لها: «ادبري» فأدبرت، فصب من الماء بين كتفيها، وفعل ذلك مع علي وعوّذه ثم قال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما» ثم قال لعلي: «أدخل على أهلك باسم الله والبركة».

أسأل الله أن يلهمنا هدي نبينا ﷺ ويهدينا للتي هي أقوم، كما أشكر «الوعي الإسلامي» لأنها أفسحت لي صدرها ووقتها الثمين. ■

محمد محمود عبدالحميد فايد - أخصائي نفسي

بقلم: وائل أحمد الهنيدي

جمادى الآخرة

في مثل هذا الشهر نقف على نمط من أنماط السرايا التي كان يجهزها رسول الله ﷺ، لأهداف عدة، وجماع هذه الأهداف كلها هو القيام بواجب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

نتحدث في هذا الشهر عن سرية ذات نمط خاص، يكاد يميزها عن غيرها من السرايا منذ الهجرة النبوية أو - بشكل أدق - منذ فرض الجهاد القتالي.

كانت هذه السرية على إثر غزوة مؤتة التي حدثت في العام التاسع للهجرة، وقد وجهها الرسول ﷺ إلى قبائل شمال الجزيرة من قضاعة وبلى، والذين انضموا إلى جيش الروم لغزو المسلمين أيام مؤتة، فكانت هذه السرية تؤكد لقبائل شمال الجزيرة أنهم ليسوا بعيدون عن سيوف المسلمين إن هم عادوا لمثل ما فعلوا في وقوفهم مع الروم ضد المسلمين.

استعرض رسول الله ﷺ صحابته، ثم اختار أحدهم، وقد كان عمرو بن العاص رضي الله عنه، الذي أسلم في أول سنة ثمانٍ للهجرة(١).

وما إن أكمل سنة أو فوقها بقليل حتى أمّرهُ رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل، وفيهم كبار المهاجرين والأنصار، يقول عمر بن العاص رضي الله عنه: «بعث إليَّ رسول الله ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني» فأتيته وهو يتوضأ فصعّد فيَّ النظر، ثم طأطأ، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة»(٢)، قال قلت يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكني أسلمت رغبة في الإسلام وأن أكون مع رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «نِعِمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح»(٣).

ويتضح من هذا الحديث حرص رسول الله ﷺ في اختيار القادة، إذ بعث إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ولم يعلمه لِمَ طلبه، وأمره أن يهتم بلباسه ويأخذ سلاحه، فلما أتى كما أمره النبي ﷺ نظر إليه نظرة القائد الفاحص المدقق، ثم عرض عليه أمارة الجيش ووعده بالسلامة والغنيمة، وهنا يتضح إخلاصه رضي الله عنه، ليقول على الفور: ما أسلمت لأكسب مالاً إنما أسلمت كي أكون معك.

وها هو ذا أمير على الجيش الذي فيه من كبار الصحابة ممن أسلموا في مكة قبل الهجرة، لا لأنهم أقل منه فضلاً أو رتبة، بل لأن الحرب تحتاج الدهاء وسرعة البديهة أكثر من احتياجها لأي شيء آخر متى انتظم الناس في ظل عبودية لله مخلصة وامتثال لأمر نبيهم الكريم ﷺ.

وتتضح هذه الحنكة وذلك الدهاء في عدد من أفعال عمرو بن العاص رضي الله عنه منها:

أنه حين اقترب من قبائل شمال الجزيرة ورأى جمعهم بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين من سراة المهاجرين وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، فكان عدد الجيش بالإضافة إلى المدد خمسمائة... فلما أراد أبو عبيدة رضي الله عنه أن يؤم الناس قال له عمرو بن العاص رضي الله عنه: إنما قدمت عليَّ مدداً وأنا الأمير، فأطاعه أبو عبيدة فكان يصلي عمرو بالناس.(٤)

ومنها أيضاً أن عمرا بن العاص رضي الله عنه منع الجيش من إيقاد النار وقد كانت تلك السرية في أيام باردة، وحاجة الجيش إلى النار لا تخفى على أحد، فلما علم بهذا المنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه غضب وقال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: ألا ترى ما صنع بالناس... يمنعهم منافعهم؟ فقال له أبو بكر رضي الله عنه بلغة الواثق المطيع: دعه فإنما ولاه رسول الله ﷺ لعلمه بالحرب»(٥)، وتتضح ثمرة هذه الطاعة حين يعود الجيش إلى المدينة، فيسأل الرسول ﷺ الجيش عن عمرو وصحابته، فيثنون عليه خيراً وأخبروه بأمر النار وما أمر به عمرو بن العاص رضي الله عنه، فسأله الرسول ﷺ عن سبب منعه إيقاد النار، فقال عمرو: «كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم، فحمد رسول الله ﷺ أمره»(٦).

ومنها أيضاً أن عمرو بن العاص رضي الله عنه أصبح من ليلة جنباً، وكانت ليلة باردة شديدة البرودة، فغسل فرجه وتوضأ وصلى بالناس وكان اجتهاداً منه في فهم الآية الكريمة: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) النساء:٢٩.

إذ إنه لما غلب على ظنه أنه قد يموت من شدة البرد يومئذ توضأ وصلى بالناس، وظن الناس أنه صلى بهم جنباً، ومع هذا الظن الذي اعتقدوه، تراهم قد سمعوا وأطاعوا ولم يتمرد منهم أحد، وما نقل أن أحداً منهم - ومنهم أبو بكر

وعمر وأبو عبيدة - قد صلى بمفرده، احتراماً لأمر رسول الله ﷺ «اسمعوا وأطيعوا...» وإيماناً بروح الاجتهاد، ذلك الباب الواسع الذي يغطي كل أبواب الحياة بشتى صورها وأفكارها ونظمها، بل كل ما استحدثته من نظم المدنية والعصرنة، فلا يوجد باب يُعَطِّلُ فيه أمر الله، بحيث لا يتعارض مع صريح القرآن والسنة، إلا ووظفه في خدمة الدين، لا العكس.

إن الدين نزل ليحفظ للإنسان كرامته، ويؤصل إنسانيته، ولا يتم التكريم للإنسانية إلا بالالتزام بروح الشريعة انطلاقاً من فهم مقاصدها واستشعاراً لحاجتنا إليها في كل زمان ومكان، إذ ما من نظام يسعى فيه المفكرون من أرباب الفكر الغربي إلا وهو يبحث عن أصل ثابت ينطلق منه لفهم علاقة الإنسان بنفسه والكون من حوله نشأة وظهوراً، وذلك كيلا يصطدم بما يعارض مصالحه الثابتة التي مازال يقلب فيها النظر ليعرف بعضها ويغفل عن بعض، وقد تكون معرفته لبعضها فتحاً عظيماً كاكتشاف الكهرباء واستغلالها، وقد تكون تلك المعرفة من باب آخر نقمة لا تجر إلا الدمار كما في اكتشاف اليورانيوم المخصب، وغيرها من المواد الإشعاعية التي تهلك الحرث والنسل.

إن الإسلام حين يضبط علاقة الإنسان بخالقه حباً وطاعة من خلال الأحكام الثابتة، لا ليحجر على الإنسان تفكيره أو يقيد عقله، بل ليريحه من عناء الوصول إليها بصورة التجربة والخطأ، فيقول له: هذه الخطوط العريضة، إن أنت التزمت بها، أرحت نفسك من عناء الوصول إليها بعقلك، دع هذا الأمر لي، وأطلق لنفسك العنان في كل ما سخرته لك في الحياة من متع، وكل ما خلقته لك من ثروات تكاد لا تنضب إن أحسنت استغلالها.

فلا يمكن بحال أن نفهم الإسلام ذلك الدين الذي جاء للبشرية كلها يضبط شهواتها وأهواءها وينظم علاقاتها دون أن ندرك معنى الاجتهاد في ظل عبوديتنا لله. فإن العبودية بكل ما تعني من حب لله وطاعة له وامتثال لأمره واجتناب لنهيه تسد الفراغ الروحي كما أنّ بذل الجهد والوسع والطاقة في معرفة ما يصلح لأمر الدين والدنيا معاً يسد الفراغ العلمي، وبهما معاً تبنى الحضارة ومهما رأينا من حضارات فإنها دون هذين الأصلين تبقى مبتورة منقوصة، بل قد تجر من الويلات والنكبات على الإنسانية الشيء الكثير.

ويؤكد رسول الله ﷺ على الاجتهاد بهذا المعنى في أحاديث كثيرة ومنها: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» «البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وخشيت أن يطلع عليه الناس» وغيرها الكثير مما يدل بشكل مباشر أو غير مباشر لتقدير دور العقل في الحياة وتتبع مراقيها.

ومن تلك الصور المضيئة في تقرير الاجتهاد وقبوله أن رسول الله ﷺ حين سمع من عمرو بن العاص سبب عدم اغتساله وأنه خشي على نفسه أن يموت من البرد ضحك ولم يقل شيئاً.(٧)

إن حاجتنا لأن نقتدي برسول الله ﷺ قولاً وعملاً وحباً وتعاملاً، أضعاف حاجتنا لأي شيء آخر مهما عظم، فكان ﷺ مثال القيادة الفذة والأسلوب الراقي، والمعلم المربِّي والمهذب لنفوس من كانوا حوله.

وكان بالإضافة لهذا كله سمح التعامل ودمث الخلق، حتى يظن من يخالطه أنه أحب الناس إليه، لهذا نجد أن عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد أن رأى من رسول الله ﷺ وقد ولاه على جيش فيه كبار الصحابة ممن أسلم قبله بكثير، يتساءل في نفسه: إلى أي درجة يحبني رسول الله ؟! فلم يتمالك أن يسأل الرسول ﷺ قائلاً: «يا رسول الله من أحب الناس إليك؟» فيجيبه صادقاً مصدقاً لا مجاملاً فيقول: «عائشة»، ثم يسأله عمرو بن العاص ونفسه ملأى من حب رسول الله وفرحاً بإجابته: من الرجال: قال «أبوها» ثم يعود ليسأله: ثم من؟ قال: «عمر» فقال عمرو فعدّ رجالاً فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم».(٨)

هذا بعض ما حدث في مثل هذا الشهر، ولنا موعد في الشهر المقبل إن شاء الله مع أحداث أخر، نستلهمها نوراً في حياتنا الدنيا ونجني ثمارها عند الله يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ■

الهوامش :

١ - سير أعلام النبلاء، ج٢ ص٥٥ ط سنة....

٢ - أرغب لك: أمنحك.

٣ - أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد وصححه ابن حبان.

٤ - الرحيق المختوم ص ٣٧٤.

٥ - تاريخ ابن عساكر.

٦ - أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، والترمذي وأحمد في مناقب الصحابة.

٧ - صححه ابن حبان والحاكم.

٨ - أخرجه الترمذي في مناقب عائشة رضي الله عنها

كتب : تمام أحمد

الأوقاف تكرِّم الفائزين بمسابقة البحث والشعر والخط العربي

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الدكتور عادل الصبيح أقام قطاع الشؤون الثقافية في الوزارة حفلاً تكريمياً وزع من خلاله الجوائز على الفائزين والفائزات في المسابقة الأدبية السادسة للبحث والشعر والخط العربي، وذلك في يوم الأحد ١١ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٨/٢٢م بصالة عبدالعزيز حسين في منطقة مشرف، وقد ألقى الأستاذ عبدالعزيز البدر الوكيل المساعد للشؤون الثقافية في الوزارة كلمة في حفل الافتتاح نيابة عن وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، أكد فيها حرص الوزارة على نشر الثقافة الإسلامية الراشدة من خلال قطاعاتها المتنوعة من قطاع الشؤون الثقافية والإفتاء والدراسات الإسلامية وغيرها، تدعيماً للقيم الفاضلة وترسيخاً للمبادئ السامية وحفاظاً على الهوية الإسلامية العربية في عالم تتزايد فيه التحديات.

وأضاف القناعي: أن نشر الثقافة الإسلامية الواعية بين أبنائنا وفي مجتمعنا والدعوة إلى التمسك بالقيم والمبادئ هو السياج الواقي الذي يحفظ الفرد والمجتمع ويجعل له دوراً إيجابياً في الحياة، مؤكداً أنه لابد للمؤسسات الثقافية أن تسهم في تنوير المجتمع والنهوض به وبأفراده ومؤسساته ليكونوا على بصيرة من واقعهم ومشكلات عصرهم ومؤهلين لمعالجة هذا الواقع والتغلب على المشكلات بروح واثقة ووعي راشد.

وهذا يدعونا إلى الارتقاء بأسلوب الخطاب الثقافي والدعوي والأخذ بالأسباب الحديثة واستغلال الوسائل المتاحة حتى نصل إلى هدفنا المنشود وهو بناء الإنسان المسلم المتحضر الواعي... المثقف ثقافة تنمي مواهبه وتحفز مداركه وتأخذ بيده إلى نور الإسلام والهداية وإلى العزة والكرامة.

● الفائزون في المسابقة في لقطة تذكارية

وأكد القناعي أن هدفنا من هذه المسابقة هو بث روح التنافس بين الشباب ودفعهم إلى بذل الجهد من أجل التثقيف الذاتي وتشجيعهم على البحث والكتابة وتنمية مواهبهم وليكون ذلك حافزاً لهم على مواصلة الطريق والإجادة في مجال العمل الثقافي حيث بلغ عدد المشاركين في المسابقة ستين مشتركاً فاز منهم في البحث الميداني ثلاثة وفي الخط العربي ستة وفي البحث العلمي أربعة والشعر ثلاثة.

ومن جهته ألقى الشاعر فاضل خلف كلمة لجنة التحكيم قال فيها: إن المسابقة الشعرية ضمت عشر قصائد وهي أجمل ما قرأت من شعر في هذه الأيام وشملت عدة مدارس شعرية ظهرت في هذا القرن الذي سوف نودعه بعد شهور وتلك المدارس هي مدرسة الشعراء الغنائيين والمدرسة الواقعية مؤكداً بقوله: لقد وجدت صعوبة في اختيار القصائد الثلاث الأولى لتقارب المستويات. وحث خلف الشعراء المتسابقين على ألا يسبق

استضافتها الكويت لشباب التعاون

اختتام المسابقة الثانية عشرة للقرآن الكريم والحديث الشريف

اختتمت يوم ١٩٩٩/٨/٩م المسابقة الـ١٢ للقرآن الكريم والحديث الشريف لشباب دول مجلس التعاون الخليجي التي نظمتها الهيئة العامة للشباب والرياضة بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.

وأسفرت نتائج المسابقة على مستوى الفرق عن فوز الفريق السعودي بالمركز الأول يليه الفريق القطري ثم الفريق الكويتي. أما على مستوى مسابقة الفردي فقد فاز بالمركز الأول بالمتسابق محمد أحمد مغربي من السعودية يليه المتسابق هيثم محمد علي من قطر، ثم المتسابق سعيد خميس الشامي من سلطنة عمان.

ومن مسابقة القراءة الحرة فاز المتسابق علاء سالم باكوين من السعودية.

وكرمت اللجنة المنظمة للمسابقة المتسابقين الصغار المتميزين في الأداء رغم صغر سنهم وهم خالد جاسم العيناتي من الكويت وأحمد موسى البلوشي من الإمارات وخالد علي محمد من البحرين.

وبعد ذلك ألقى مدير إدارة الأنشطة الثقافية والرياضية في الأمانة العامة لدول مجلس التعاون الخليجي عبدالرحيم الأحمدي كلمة في حفل الاختتام أعرب فيها عن شكره وامتنانه لدولة الكويت لاستضافة هذا التجمع وهذه

● الوكيل المساعد للشؤون الثقافية يكرم أحد الفائزين

● لقطة من المؤتمر الصحفي الذي سبق حفل التكريم

القصيدة أي مقدمات لأن القصيدة الجيدة هي التي تفرض نفسها مع ضرورة عدم اختيار أي مصطلحات قاموسية وعدم الإكثار من الهوامش.

وعلى الصعيد ذاته ألقى علي البداح كلمة لجنة تحكيم الخط العربي، مؤكداً أن ارتباط هذا الخط بالقرآن الكريم هو الذي يجعلنا نعتز به وهو بحد ذاته فن من الفنون الجميلة.

وخلال الاحتفال ألقت شيماء قيس سليمان الفائزة بالمركز الخامس كلمة الفائزين في البحث الميداني وأكدت فيها أن البحث الميداني تأصيل للروافد الثقافية الإسلامية الحديثة والقديمة.

تكريم الفائزين

وبعد ذلك قام راعي الحفل بتكريم الفائزين حيث قامت لجنة التحكيم بحجب جوائز المراكز من الأول حتى الرابع في البحث الميداني لعدم توافر الشروط اللازمة وحصلت شيماء قيس على المركز الخامس وعبدالله أحمد عكاشة السادس، ثم تم حجب الجوائز من المركز السابع حتى التاسع وحل صبحي عبدالرضا عاشراً.

أما في البحث العلمي فتم حجب الجوائز من الأول حتى الثالث، كذلك السابع والتاسع والعاشر، وفازت أمينة علي الحميدان بالمركز الرابع ومختار عبدالهادي خامساً ومحمد عبد المنعم سادساً وحسام إبراهيم ثامناً، أما الشعر العربي ففاز فيه أيمن توفيق أولاً وإسماعيل عمر منصور ثانياً والثالث أحمد عمر أحمد السيد وتم حجب الجوائز من الرابع حتى العاشر. أما في الخط العربي، فتم حجب الجوائز من الأول حتى الرابع وفاز عمر عبدالعزيز محمد بالمركز الخامس وأيمن عبدالله السادس وحمود جلوي السابع، وحسن مفيد الثامن وعبدالمحسن رجب التاسع وجاء حسين طه محمد عاشراً.

تطور المسابقة

والجدير بالذكر أن المسابقة الأدبية بدأت منذ عام ١٩٩٣م حيث كانت بدايتها في القصة القصيرة والبحث، وأضيف الشعر إلى المسابقة الثانية عام ١٩٩٤م واستمرت على نفس النمط منذ المسابقة الثانية وحتى الخامسة وفي المسابقة السادسة أضيف البحث العلمي «الميداني» والخط العربي حيث حرصت الوزارة على إثراء الاطلاع والقراءة لدى الجنسين بعيداً عن التعصب مع التأكيد على احترام العلماء والاجتهاد من باب التنوير وتوسعة فكر الباحث لما فيه المصلحة العامة بعيداً عن الفرقة والتناحر في الرأي. ■

الجلسات المباركة

وقال «لقد تميزت هذه المسابقة بالكثير من الإضافات الحميدة وهي تتجدد كل عام أينما أقيمت مما يشجع على الاستمرار في أقامتها». وأضاف الأحمدي «لقد كانت الفائدة عامة والكسب رابحا والتزود بالخير للمستقبل ذخيرة وفيرة».

وألقى المتسابق عبدالله بن أحمد من سلطنة عمان كلمة الوفود أعرب فيها عن بالغ سعادته بتمثيل بلاده في هذا التجمع والحضور بين أشقائه أبناء دول مجلس التعاون الخليجي في بلده الثاني الكويت.

وقال: «لقد حظي الشباب بمجتمعنا الخليجي بالشيء الكثير من العناية والرعايةوالاهتمام في شتى المجالات وعلى مختلف الأصعدة والقطاعات نتيجة لإيمان المسؤولين العميق بدور الشباب في الحفاظ على المنجزات الحضارية التي تشهدها دول المجلس في هذا العهد الزاهر».

وأضاف أنه بناء على هذا التوجه، فقد حرص المسؤولون على تنظيم العديد من البرامج والفعاليات التي من شأنها تنمية الروح وتعميق الصلات الأخوية بين شباب دول المجلس وتأتي هذه المسابقة لتؤكد هذا المعنى السامي، حيث تهدف إلى حث الشباب على حفظ كتاب الله ودراسة السنة النبوية الشريفة.

وقال: إن حفظ كتاب الله يعتبر من أهم الأمور التي يجب على كل شاب مسلم أن يوليها اهتمامه، مشيراً إلى أن «ترك كتاب الله وترك العمل به هو السبب المباشر لتأخر الأمة».

وحضر حفل اختتام المسابقة التي أقيمت في مسجد الدولة الكبير رئيس مجلس الإدارة والمدير العام للهيئة العامة للشباب والرياضة خالد الحمد ونائبه لشؤون الشباب ناصر العيار، إضافة إلى الوفود المشاركة في المسابقة. ■

كوارث

كتب: توفيق أحمد

زلزال مدمر يضرب تركيا

ضرب زلزال مدمر دام ٤٥ ثانية بلغت قوته ٧,٨ درجات على مقياس ريختر يوم ١٩٩٩/٨/١٧م شمال غرب تركيا مما أوقع عشرات الآلاف من القتلى والجرحى، وسوّى آلاف المباني بالأرض تماماً، وكان الرقم الرسمي لضحايا الزلزال حتى يوم ١٩٩٩/٨/٢٧م قد بلغ ١٣٤٧٢ قتيلاً و ٢٧١٥٤ جريحاً كما يعتقد أن الافاً أخرين مدفونون تحت الأنقاض مما يجعل الحصيلة النهائية لعدد الضحايا قابلة للزيادة وقد تصل إلى أربعين الفاً.

وتبعت الزلزال الكبير أكثر من ٢٠٠ هزة ارتدادية بثت الذعر في جميع أنحاء تركيا، وأصاب الزلزال قاعدة بحرية مهمة في مدينة «غولجوك» المطلة على بحر مرمرة بأضرار بالغة حيث قتل مئات الجنود ووقع مركز الزلزال قرب مدينة «أزميت» على نحو ٨٨كم جنوب شرق استنبول أما عمقه فكان على بعد ٣٢كم تحت الأرض وهو عمق قليل مما يفسر ضخامة الأضرار التي حدثت لأن الزلزال الضحل أكثر تدميراً من الزلزال العميق بسبب وجود طبقات صخرية كثيرة تمتص قوة هذا الأخير وكانت أسوأ كارثة زلزال تحل بتركيا قد حصدت أرواح أربعين الف شخص في أرزنجان عام ١٩٣٩م.

وتحتاج تركيا بعد انتهاء إحصاء آلاف الضحايا في الزلزال الأخير إلى مساعدة مالية دولية ضخمة لإعادة بناء المناطق المدمرة وترفض الحكومة التركية المشغولة حالياً بعمليات الإنقاذ تقدير قيمة الدمار وشلل المنطقة الصناعية الأولى في البلاد.

مساعدات إلى تركيا من ٤٢ دولة

هذا وقد دفع حجم الكارثة الحالية العديد من دول العالم وفي مقدمتها الدول العربية والإسلامية إلى مد يد العون والمساعدة للشعب التركي المسلم، حيث قدمت ٤٢ دولة مساعدات مالية وعينية، كما شاركت نحو ثلاثين منظمة إنسانية وهيئات محلية من الهلال الأحمر والصليب الأحمر في حملة التضامن مع الشعب التركي الأمر الذي دفع الأمين العام للأمم المتحدة «كوفي عنان» إلى الإشادة بالمساعدات التي قدمتها الحكومات والمنظمات غير الحكومية والأفراد، وطالب بالمزيد منها لأن الاحتياجات ما تزال هائلة سواء لأغراض الإغاثة الدولية أو لإعادة التأهيل خاصة وأن هناك أكثر من ٦٠٠ ألف مشرد لابد من توطينهم قبل حلول فصل الشتاء.

مساعدات خليجية عاجلة

وكانت دول الخليج العربي في مقدمة الدول التي هبت لنجدة تركيا في أزمتها الحالية، حيث أقام بعضها جسراً جوياً لنقل المساعدات، ففي الكويت وبناء على أمر سمو أمير البلاد تم شحن كميات كبيرة من الأمصال والخيام والبطانيات ومولدات الكهرباء وأجهزة تقويم العظام، والكراسي المتحركة، وأجهزة تنقية المياه والمواد الغذائية المتنوعة، كما تم إرسال فريق طبي كويتي لإسعاف الجرحى والمصابين، وتأتي هذه المساعدات انطلاقاً من إيمان الشعب الكويتي بالمبادئ الإنسانية والأخوية واندفاعه إلى جانب الشعوب الصديقة ومساعدتها. وفي المملكة العربية السعودية أقيم جسر جوي لنقل المساعدات إلى المناطق المتضررة بالزلزال بناء على أمر خادم الحرمين الشريفين وكذلك فعلت باقي دول الخليج العربية، حيث قدمت حكوماتها وشعوبها مساعدات إنسانية كبيرة.

تبني الأطفال

من جهة أخرى، برزت في تركيا في أعقاب الزلزال المدمر عصابات من اللصوص تقوم بخطف الأطفال الذين فقدوا ذويهم تمهيداً لبيعهم ومن الصعب تقدير عدد الأطفال الذين أصبحوا يتامى بعد الكارثة، لكن المطلوب من الحكومة التركية والمنظمات الإسلامية، التنبه لهذه القضية، وإيجاد حل عاجل لها بما يكفل الحفاظ على هوية هؤلاء الأطفال، خاصة وأن عائلات من أوروبا والولايات المتحدة قد تقدمت بطلب تبني لهؤلاء الأطفال، تماماً كما حصل في أزمات البوسنة وكوسوفا والشيشان وغيرها. ■

زلازل ضربت تركيا منذ الأربعينات

- ديسمبر عام ١٩٣٩م قتل نحو ٣٣ الف شخص حين هز زلزال قوته ٧,٩ درجة بمقياس ريختر مدينة أرزنجان الشرقية.
- ديسمبر عام ١٩٤٢م هز زلزال قوته سبع درجات بمقياس ريختر منطقة البحر الأسود وتسبب في مقتل ثلاثة الاف شخص.
- نوفمبر عام ١٩٤٣م قتل نحو ٣٠٠٠ شخص حين هز زلزال قوته ٧,٢ درجة عدداً من المدن والقرى الواقعة شمال العاصمة أنقرة.
- فبراير عام ١٩٤٤م قتل نحو ٤٠٠٠ شخص من سكان مدينة بولو وما حولها حين ضرب المنطقة زلزال قوته ٧,٢ درجة.
- اغسطس عام ١٩٦٦م ضرب زلزال قوته ٦,٩ درجة بلدة فارتو الجنوبية الشرقية وقتل ٢٣٩٤ شخصاً.
- مارس عام ١٩٩٢م تعرضت ارزنجان مرة أخرى لزلزال قوته ٦,٨ درجة وسقط ٦٥٣ قتيلاً وأصيب نحو ٤٠٠٠ شخص.
- يونيو عام ١٩٩٨م ضرب زلزال قوته ٦,٣ درجة مدينة «اضنة» المطلة على البحر المتوسط وقتل ١٤٥ شخصاً.

في القضية الفلسطينية

بقلم : د. رفيق حسن الحليمي

تؤثر هذه الدراسة استخدام كلمة «إسرائيلي» للدلالة على جميع الفئات والسلالات من نسل «يعقوب إسرائيل» عليه السلام، وهذا افضل من كلمة توراتي او يهودي او صهيوني، وفقاً للتسلسل التاريخي.

المراهنة على الزمن في الفكر الإسرائيلي

الزمن بمفرداته ومكوناته وعناصره المختلفة من ساعات وايام وشهور وسنوات، قيمة حياتية كبيرة وقاسم مشترك لدى جميع الأفراد والشعوب، مع تفاوت فيما بينهم من نسبة في ادراك هذه القيمة ودرجة التعامل معها. فهذه الأزمنة، طويلة او قصيرة، اوعية زمنية وظروف لمختلف انواع الحياة والأعمال التي تصدر عن بني البشر... غير ان بني إسرائيل تنبهوا منذ القدم الى عامل الزمن في تعاملهم مع الآخر، وفي كثير من القضايا الحياتية والدينية بما يعود عليهم بتحقيق مصلحة او منفعة او غاية، ولهم، عبر تاريخهم الطويل القديم منه والحديث، حكايات مع الزمن ومواقف تستأهل التحليل والنظر.

ولعلنا في هذه الدراسة نستطيع ان نلقي بعض الضوء على اسلوبهم في التعامل مع الزمن بكل ابعاده ولداياته، وما تولد عن ذلك من سلوكيات معينة تركت اثارها في محيط المجتمعات التي وجدوا فيها... وهي سلوكيات محكومة في مجملها بنظرتهم الى الزمن والهروب من الواقع الى الامام، او كما يقال بلغة هذه الايام: رمي الكرة الى الأمام، فقد يحمل المستقبل في طياته، كما يتوقعون او يخططون، شيئا ما يحاولون جعله لصالحهم دون غيرهم من الخصوم، حتى لو كان الخصوم من بني جلدتهم او عقيدتهم او من إخوانهم.

ولا تنجني هذه الدراسة عليهم، فقد اعتمدت في كثير من الاستشهادات على التوراة كتابهم المقدس وعلى جانب من أساطيرهم ومروياتهم التي روجوا لها بأنفسهم على الاخبار التي صدرت عن المنظرين للسياسة الإسرائيلية لديهم، كما ستعتمد هذه الدراسة على القرآن الكريم، كمصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تحدث في امور كثيرة تتعلق بحياتهم وطبائعهم ومواقفهم ومنها قضية التلاعب بالزمن والمراهنة عليه.

صور من المراهنة على الزمن في التوراة

بين إسحاق وابنيه عيسو ويعقوب

تذكر التوراة أن إسحاق عندما بلغه الكبر وضعف بصره، طلب من ابنه الأكبر عيسو أن يذهب إلى البر ليعدّ له طعاماً مما يصطاده، لعله يأكل منه ويعطيه البركة أو الولاية من بعده، وقد علمت ربيكا «رفيقة» زوجة إسحاق بالخبر، وكانت تريد الولاية لابنها يعقوب، فاستغلت غياب عيسو وطلبت من يعقوب أن يقوم بإعداد الطعام لوالده قبل مجيء أخيه لينال البركة، فقام بذلك وقدمه له على أنه عيسو فنال بركة والده وأخذ الولاية أو «النبوة» من بعده، وقد تعجب الوالد من السرعة التي أعد فيها الطعام... «سفر التكوين عدد٢٧».

الزمن في هذه الرواية كان لصالح يعقوب الذي لم يغادر المنزل، فأخوه عيسو ما زال في الخلاء يبحث عن صيد ليعد منه طعاماً لأبيه، وبمعنى آخر: كان أخوه يعيش لحظات، يمكن أن تعد ضمن زمن المستقبل، وكان يعقوب يعيش لحظة في الزمن الحاضر، فأخوه بعيد، وهو قريب من صنع الحدث، فلما عاد عيسو أصبح الأخوان في زمن واحد ومكان واحد ولكن الأمر قد انتهى لصالح يعقوب حيث أصبحت الولاية له من بعد أبيه، ولم يُجدِ عتاب عيسو لأبيه، رغم انكشاف الحيلة بأن أخاه حلّ محله عند تقديم الطعام، وأنه نال البركة والنبوة بدلاً منه، ولعل هذه الرواية ـ وفقاً لما جاءت عليه في التوراة ـ تشكل بداية الاستفادة من عنصري الزمان والمكان في اتحادهما معاً، وهو ما يطلق عليه «الزمكانية» ومدى استثمارهما بصورة تحقق مصلحة ومنفعة لطرف دون طراف في النزاعات حتى لو كانت على حساب الأخوة.

بين يعقوب وخاله لابان وبداية تشكل ظاهرة الربا

هذه القصة امتداد للقصة السابقة، حيث أصرت «رفقة» أن لا يتزوج يعقوب من الكنعانيين، وطلبت منه أن يسافر إلى «حران» ويتزوج من إحدى بنات اخيها «لابان»، وما إن رأى يعقوب «راشيل» ابنة خاله حتى وقع في حبها وكانت لها أخت أكبر منها سناً وأقل منها جمالاً، فطلب من خاله أن يزوجه راشيل، فوافق على ذلك، وطلب منه أن يخدمه سبع سنوات مقابل ذلك، ولما انقضى الأجل أقيم «عيد» للزواج وفي الصبح اكتشف يعقوب أن الزوجة التي بنى بها ليست راشيل وإنما هي «ليها» أختها، فغضب وعاتب خاله، فأجابه: ابق معها اسبوعاً ثم تزوجك الثانية، لأنه لا يجوز لنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى، وهكذا تزوج يعقوب من راشيل على أختها «ليها» في مقابل خدمة خاله لابان سبع سنوات أُخر... وزادت الثورة وزاد المال وربا عند يعقوب ولابان، وللقصة بقية مطولة في كيفية الاستيلاء على الثروة والهروب بها ومطاردة لابان يعقوب لاسترداد ثروته، وقد رأي أخيراً أن يتركها له ولابنتيه وأولادهما، ثم قام بتوديعهم واستمر يعقوب في طريق العودة إلى أرض كنعان. «سفر التكوين أعداد ٢٨ـ٣١».

وهذه الرواية تؤكد كيفية استثمار الزمن حتى تربو الثروة وتزيد، ويتكئ بنو إسرائيل على هذه الواقعة في تسويغ الربا والدفاع عنه بأنه تجارة ومزارعة وعمل، وأن جدهم يعقوب ـ على حد زعمهم ـ أول من تعاطى الربا ربا الأجل أو «النسيء»، حيث قبل أن يعمل سبع سنوات وسبع سنوات أُخر مقابل الزواج والثروة وكان الثروة والزواج ثمرة من ثمرات الأجل، ولم يكن العالم القديم انذاك يعرف الربا قبل

● موروثات شعبية نسجها خيال الصهاينة !!

هذه الظاهرة التاريخية المتمثلة في قصة لابان مع يعقوب، وكان من الممكن أن تكون هذه القصة عارضة من عوارض التاريخ، فتهمل ولا يعتد بها، ولكن بني إسرائيل وجدوا فيها مسوغات لتكرارها في أشكال مختلفة من المعاملات المالية كرست ظاهرة الربا وفتحت أبوابه في العالم القديم وحتى أيامنا هذه.

تأجيل زواج دينا ابنة يعقوب ... حتى حين ؟

تزعم الرواية أن شكيم ابن أحد أمراء كنعان وقع في حب دينا، وكانت بينهما علاقة يعف القلم عن ذكرها، فطلب من أبيه أن يخطبها له، فعرض الأمير الأمر على يعقوب، كما عرض معه فكرة الزواج الجماعي من كلا الجانبين مقابل حياة كريمة لهم بينهم، حيث الزراعة والاستقرار، فبيتوا النية لمنع الزواج وتعللوا بأن الكنعانيين لا يطهرون أولادهم، ومن أجل تحقيق المصاهرة الجماعية وزواج شكيم من دينا لابد من الطهور الذي يطبقه بنو إسرائيل دون غيرهم... وهكذا تمت عملية طهور أبناء المدينة فمرضوا وأصبحوا مجهدين وفي اليوم الثالث دخل اثنان من أبناء يعقوب وهما «سيمون وليفي» وأعملا السيف في رقاب رجال القرية بمن فيهم شكيم ووالده ونهبا ما وجداه من الموجودات والمقتنيات ثم فرا بليل مظلم، وقد عاتبهما أبوهما يعقوب على ذلك... قائلاً: لقد دمرتماني. «سفر التكوين عدد ٣٤».

فالأجل أو رمي الكرة إلى الأمام لإعداد العدة والتدابير المناسبة، واضح في هذه الرواية، فقد كانوا يبيتون النية لرفض زواج أختهم من شكيم، فتعللوا بطلب طهور أبناء القرية جميعاً، وهو أمر يحتاج إلى وقت ولا يتم إلا بعد حين من الزمن، ولما تمّ لهم ذلك وتعب الرجال بسبب الطهور، كان الحسم على الطريقة الإسرائيلية وهو القضاء على رجال القرية ونهب ما فيها والفرار بليل.

صور من مراهنتهم على الزمن في القرآن

تعظيم يوم السبت وتحريم الصيد فيه

عندما خرجوا من مصر الخروج الكبير الأول، فراراً من فرعون وملئه، أقاموا في مدين في سيناء، وكانوا يعظمون يوم السبت «هناك

علاقة لغوية بين السبت والسبات بمعنى النوم»، وقد قطعوا على أنفسهم عهداً كما أمرهم الله بألا يعتدوا فيه بصيد الحيتان والأسماك وليتفرغوا للعبادة حيث يقبعون في بيوتهم ولا يأتون بعمل من شأنه أن يعطلهم عن العبادة.

وأراد الله سبحانه أن يختبرهم فابتلاهم بأن جعل الأسماك تظهر بكثرة أمامهم على وجه الماء في يوم السبت، وأما في باقي الأيام فتختفي، فأرادوا أن يعبثوا بالأيام ويجعلوا يوماً مكان يوم، لأن الأسماك لا تظهر إلا يوم السبت فيتمنون أن يكون ظهورها في غير ذلك اليوم لينعموا بالصيد، ولما عجزوا عن العبث بالأيام راحوا في يوم الجمعة يحفرون أحواضاً عند الشاطئ ويجعلون لها جداول فتدخلها الأسماك يوم السبت لأمنها من الصيد، فيتركون العبادة وينطلقون إلى الشاطئ ليسدوا فتحات الجداول، وليحبسوا الأسماك في الأحواض - وكأنهم بذلك لا يصطادون ولا يأتون بعمل نهوا عنه - ثم يصطادونها يوم الأحد. قال تعالى: (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) الأعراف:١٦٣، وانظر تفسير النسفي ج٢ ص٨٢م، أليس في ذلك أكبر دليل على التلاعب بالزمن والمراهنة عليه لتغيير الحقائق، فظاهر الأمر أنهم لا يصيدون الأسماك يوم السبت، لأنهم يسدون أبواب الحياض وفتحاتها فقط ثم يقومون بالصيد في يوم الأحد، وهذا احتيال لأن سد الحياض في حد ذاته يعدّ صيداً، لأنهم يحبسون الأسماك في مكان محصور يستطيعون السيطرة عليه وصيد ما فيه في أي يوم، وفي ذلك قلب للحقائق وتزييف للواقع، ولقد عدّ الله فعلتهم تلك اعتداءً منهم وخروجاً على العهد الذي قطعوه على أنفسهم، قال تعالى: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) البقرة:٦٥، وانظر تفسير النسفي ج١ ص٥٢.

المراهنة على الزمن في قصة البقرة

على أن قصة ذبح البقرة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم خير شاهد على المراهنة على الزمن، وقد جاءت هذه المرة في غير صالحهم، وهذه القصة تدل على طبع بني إسرائيل في المماطلة والتسويف اعتقاداً منهم أن الزمن المستقبل كفيل بحل جميع المشكلات، جاء أمر الله على لسان نبيهم موسى عليه السلام (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة)، والأمر هنا مطلق يعطي الحرية لهم بذبح أي بقرة، وكان من الممكن أن يأتوا إلى أول بقرة يرونها ويذبحونها وبذلك يكونون قد تحللوا من الأمر الإلهي، ولكن المماطلة والتسويف والنسيء من الأمور التي أصبحت تشكل سلوكاً معيناً يتحكم في أمور حياتهم.

يقول المفسرون: أول القصة مؤخر في التلاوة، وهو قوله تعالى: (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها) البقرة:٧٢، وذلك أن رجلاً موسراً قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته، فجاء أمر الله لهم بأن يذبحوا بقرة «تفسير النسفي ج١ ص٥٥، فراحوا يراوغون ويماطلون ويسألون، فطرحوا أربعة أسئلة على نبيهم جاءت على النحو الآتي:

١ - (قالوا اتتخذنا هزوا)؟
٢ - (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي)؟
٣ - (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها)؟
٤ - ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا)؟

وبعد أن تعرفوا إليها، وفقاً لتلك الصفات التي جاءتهم وجاء ذكرها

● من أراد أن يعرف طباع اليهود فليقف على أساليبهم الشيطانية

مفصلاً في القرآن الكريم، قاموا بذبحها (وما كادوا يفعلون).

الرهان على الزمن في هذه القصة واضح من التساؤلات المتلاحقة لبيان صفات البقرة، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن مدة التساؤلات استغرقت زمناً طويلاً، وأياً كانت المدة فإنها تؤكد ما جبلوا عليه من مماطلة وتسويف، وقد ينخدع البعض عند قراءة هذه القصة، فيعتقد أن ذلك يدل على ذهنية ذكية وعقلية محكمة تريد التحقق والتثبت من الأمور، وهذا الاعتقاد خاطئ، لأن الأمر الإلهي جاء مطلقاً وغير مقيد بصفة محددة، حيث يبيح لهم ذبح أي بقرة يجدونها أمامهم في الطريق العام، فكلمة بقرة نكرة لا تحتاج إلى تحديد من الوجهة المنطقية، ولكنهم فتحوا على أنفسهم باب التساؤل لحاجة في نفوسهم وطباعهم، فالسؤال الأول جاء للتأكد من مدى جدية الأمر (قالوا أتتخذنا هزواً)، ثم توالت الأسئلة، ولعلهم اعتقدوا أن هذه التساؤلات قد تصرف الأنظار عن جريمة القتل التي ارتكبت في حق واحد منهم وظل القاتل مجهولاً إلى أن ذبحوا البقرة وأمروا أن يضربوا جثة الميت ببعض أجزائها، وقيل: ضربوه بلسانها، فأحياه الله ليخبرهم بلسانه من الذي قتله منهم، حتى يتم القصاص منه.

القصة في حد ذاتها ذات مغزى حيوي، ومن أراد أن يعرف طباعهم وطبائعهم فليعد إليها بين وقت وآخر، ليقف على أساليبهم في التعامل مع الآخرين ومحاولة صرف الأنظار عن الشيء «الواقع» في الزمن الحاضر إلى مستقبل أو أجل غامض، وبين الواقع أو الزمن الحاضر وبين المستقبل تمتد المسافات وتبعد المساحات، وتحدث أمور ومستجدات، وهم مع هذا التسويف لم يكونوا الفائزين هذه المرة ولم يكن الأمر في صالحهم، فبالإضافة إلى اكتشاف القاتل قيل إنهم دفعوا مالاً كثيراً ثمناً للبقرة، وهو ما لا يرضونه أبداً.

فتح مدينة أريحا بين البعدين الديني والأسطوري

تعلق بنو إسرائيل منذ القدم بأمل كبير، وهو أنهم سيعودون إلى أرض كنعان «الموسوعة ص ١٩٨٦م»، فبعد أن خرجوا من مصر وأقاموا في سيناء أمرهم الله أن يسيروا إلى أرض كنعان «الأرض المقدسة» التي كان يسكنها الكنعانيون العماليق، ووعدهم الله أن

ليست كل مراهنة في صفهم ولصالحهم ويقدرون وتضحك الأقدار

تكون لهم دار قرار كما وعدهم بنصرته، غير أنهم ترددوا وتهيبوا لما عرفوا ما لدى الكنعانيين من قوة وشوكة، وقد جاءت هذه الأخبار مفصلة في القرآن قال تعالى على لسان موسى: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) المائدة ٢١، (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) المائدة:٢٢، ثم (قالوا إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) المائدة:٢٤، (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض) المائدة:٢٦، ثم دارت المعركة وانتصروا فيها بعد حرب ضروس، وكان قائدهم فيها يوشع بن نون، (انظر: تفسير النسفي ج١ ص٢٧٥).

في التوراة تفصيل مطول لدخولهم الأض المقدسة، ووصف للمعركة التي دارت بين الجانبين، وتضيف إلى جانب ذلك أنهم اعتمدوا على جاسوسة اسمها «رحاب» قدمت لهم معلومات كافية سهلت لهم العبور والانتصار، كما تضيف أن نهر الأردن جفَّ ليتمكنوا من العبور، وأنهم كانوا ينفخون في الأبواق فتتهدم المباني وتتهاوى البيوت «سفر يوشع عدد ٤،٥،٦»، غير أن أساطيرهم لم تترك المسألة كما جاءت في التوراة، بل ذهب خيالهم إلى تصور عجيب، وهو أن المعركة التي دارت رحاها يوم الجمعة لم تحسم وأوشكت الشمس أن تغيب وبعدها سيأتي يوم السبت حيث يسبتون، هنالك دعا يوشع ربه أن يجعل الشمس تتوقف في السماء وألا تغيب حتى تتم المعركة، فاستجاب له الله ووقفت الشمس حتى أتم المعركة وكتب الله له النصر، فقصة دخولهم الأرض المقدسة يختلط فيها البعد الأسطوري البطولي بالبعد الديني التوراتي الذي لم يسلم من الخيالات والزيادات والاتكاء على الجاسوسية. ويتدخل عامل الزمن «الأجل أو النسيء» - أو هكذا أرادوا أن يكون للزمن دوره - في توقف الشمس، حيث يتوقف معها الزمن ولا يمضي وفقاً لنواميس الطبيعة والكون، وتستمر المعركة التي لاحت بشائر النصر فيها إلى جانبهم، وقد شاعت أسطورة توقف الشمس حتى انتشرت في التراث العربي، وربما كان مصدر هذه الأسطورة لدى العرب ما شاع في كتب المفسرين من إسرائيليات تطفح بها أكثر كتب التفسير، حتى وصلت الشاعر أحمد شوقي فقال:

ألا يا أخت يوشع خبّرينا
بما فعلتْ قرونُ الغابرينا

فأطلق على الشمس أنها أخت يوشع، في إشارة منه إلى جوهر الأسطورة السابقة وهي توقف الشمس في السماء ريثما تنتهي المعركة.

المراهنة على الزمن في بعض الأعمال الأدبية

قدم الشاعر والكاتب وليام شكسبير (ت القرن ١٦م) مسرحية تاجر البندقية واتخذ من شخصية «شايلوك» رمزاً للمرابي اليهودي الذي راهن على الزمن ليكون في صالحه ضد خصمه المسيحي أنطونيو ومنافسه في البورصة، فقد أقرض شايلوك خصمه مبلغاً من المال

● لماذا ينسى اليهود أن الزمن ملك للجميع ؟

ووضع شرطاً تعجيزياً إذا لم يسدد أنطونيو ما عليه وهو اقتطاع رطل من لحمه، وظل هذا المرابي ينتظر بفارغ الصبر انتهاء الأجل عسى أن يصبح خصمه عاجزاً عن السداد لينتقم منه، وفقاً للعقد المبرم بينهما وجاءت الأخبار في صالحه، حيث شاع أن خصمه خسر جميع ثروته وتجارته، وفي يوم المحاكمة لم تنفع وسيلة ولا حيلة ولا ضمان يمكن أن يبعد شبح اقتطاع رطل من لحمه، وقد وجد شايلوك في هذا العجز المالي فرصة للانتقام... إلى أن جاءت سيدة تزيت بزيّ رجل للدفاع عن أنطونيو وقلبت الموازين لصالحه، حيث اعتمدت في دفاعها عنه أن العقد ينص على اقتطاع رطل من اللحم دون إراقة قطرة واحدة من الدم وطلبت من شايلوك أن ينفذ العقد وأن يقتطع رطل لحم كما ينص العقد، وفي حالة إراقة قطرة من الدماء سيكون تحت طائلة القانون، وبذلك ينجو أنطونيو من العقوبة ويقع شايلوك في قبضة العدالة ويتغرم بكل ما يملك، الربا هو موضوع المسرحية وهو يقوم أساساً على عامل الزمن الذي يوظف توظيفاً دراماتيكياً لصالح شايلوك أولاً ولمدة طويلة من العمل المسرحي، ثم يأتي لصالح أنطونيو أخراً كحل للعقدة المسرحية، ولم يقدم كاتبها على كتابتها واختيار موضوع الربا متمثلاً في شايلوك رمز المرابين إلا بعد أن غرقت أوروبا في مستنقع الربا الذي كان يتعاطاه اليهود في مختلف الأحياء ويمارسونه بشراهة على البسطاء والمحتاجين من أصحاب الحرف والأعمال البسيطة، حتى نبذتهم تلك المجتمعات فعاشوا في أحيائهم المنعزلة المعروفة «بالغيتو».

يهودي يفلت من حكم الإعدام بالرهان على الزمن

ظل عامل الزمن ضمن الموروثات الشعبية التي نسجها الخيال الإسرائيلي وضمن الوعي الجماعي الذي يدفعهم إلى تصرفات وردود أفعال تجاه الآخرين، فيروى أن أحد القياصرة حكم على يهودي بالإعدام، وكان القيصر يمسك بحبل كلبه، وفكر اليهودي كيف يتخلص من حكم الإعدام الذي سينفذ فيه بعد قليل، فقال للقيصر: أمهلني سنة واحدة أستطيع خلالها أن جعل كلبك يتحدث الروسية مثلك تماماً

الإسرائيليون راهنوا ويراهنون على الزمن لتحقيق مصالح أفضل

واقتنع القيصر بذلك وأخذ عليه عهداً، ثم أخذ اليهودي الكلب وخرج ومعه آخرون، فسأله أحدهم: هل تستطيع أن تجعل الكلب يتحدث الروسية خلال عام؟ فضحك اليهودي وقال: خلال عام إما أن يموت القيصر، وإما أن يموت الكلب، وإما أن أموت أنا، المهم أنني أجلت حكم الإعدام سنة... وهذه الحكاية تحمل في طياتها الكثير من الدلالات، في مقدمتها المراهنة على الزمن، والاستخفاف بعقول الآخرين.

المراهنة على الزمن والتلاعب به عند عرب الجاهلية

رأينا كيف راهن بنو إسرائيل على الزمن، فكانوا وما زالوا يلقون الكرة إلى الأمام من خصومهم، فيعطون لأنفسهم مهلة ووقتاً كافياً للتشاور والتساؤل، ومحاولة الانفلات من أمور لا ترضيهم أو تكلفهم أعباء لا يطيقونها ومسؤوليات هم في غنى عن تحمل تبعاتها، فكانوا يصيبون مرات ويخطئون مرات.

على أن المراهنة على الزمن ـ كما رأينا ـ أوجدت ظاهرة الربا، وقد انتشر الربا وتفشى في الأمم التي عاش بنو إسرائيل بين ظهرانيهم، وكان من بينهم عرب الجاهلية، كما أن ظاهرة التلاعب بالزمن وهو الوجه الآخر للمراهنة على الزمن أوجدت ظاهرة التلاعب بالشهور ومحاولة العبث بها وفقاً للمصلحة، وقد تأثر العرب في الجاهلية ـ فيما تأثروا ـ سلباً بكثير من سلوكيات بني إسرائيل، فبالإضافة إلى تعاطيهم الربا بصورة فاحشة، عبثوا بالشهور فكانوا يبدلونها فيضعون شهراً مكان شهر تحقيقاً للمصلحة، وقد نزلت آيات قرانية تحرم تلك الظاهرة، وتبين ضرورة التقيد بالمواقيت، قال تعالى: (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)(التوبة:٣٦، وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم لتحريمهم القتال فيه ورجب لتعظيم العرب له، وقد عرف العرب النسيء بعد مجاورة اليهود لهم، وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر لارتكاب المعاصي والحروب والغارات، وقد حرمه الله، قال تعالى: (إنما النسيء زيادة في الكفر يُضلُّ به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله) التوبة:٣٧، وانظر تفسير النسفي ج٢ ص ١٢٥ـ١٢٦.

المراهنة على الزمن في السياسة الإسرائيلية

من البديهي ـ في هذه الأيام ـ أن يدرك أقل الناس حباً لمتابعة الأخبار السياسية أن سياستهم من بين سياسات العالم تراهن على الزمن في كثير من القضايا الجوهرية والمصيرية، بحيث أصبحت المراهنة عندهم على الزمن إحدى الدعائم الأساسية التي تقوم عليها فلسفتهم السياسية. فوعد بلفور المشؤوم (٢/١١/١٩١٧م)، على سبيل المثال ضرب من المراهنة على الزمن، فقد بذلوا الكثير لاستصداره وعملوا الكثير هم وغيرهم لتنفيذه، وبين ذلك الوعد وبين قيام دولتهم نحو ثلاثين سنة، وهم ينتظرون ويخططون، ولو لم تنتصر بريطانيا في الحرب العالمية الأولى والثانية لظل الوعد حبراً على ورق.

وهناك أمور كثيرة في سياساتهم تقوم على المراهنة على الزمن، إذ إن رفضهم للكثير من القرارات الدولية تكون لكسب الوقت وتوظيفه لصالحهم، من ذلك ما أدلت به جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل سابقاً ذات مرة عن مشكلة اللاجئين: «إن الزمن كفيل بحلها، الكبار يموتون، والصغار ينسون». ولكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، ويقدرون وتضحك الأقدار، فقد ظهر من الصغار وهم الجيل الرابع لنكبة فلسطين ما عجز عنه الكبار الذين راهنت عليهم بالموت، من تضحية وفداء وحب لوطنهم وتشبث بحقهم في وطنهم وأرضهم.

الإسرائيليون ينسون أو يتناسون حقيقة جوهرية وهي أن الزمن ملك للجميع وقدرٌ يشترك فيه الناس كافة، ولكن الموازين قد تكون في صالح طرف دون طرف، وليست كل مراهنة على الزمن أو غيره رابحة، فكثير من المراهنات خاسرة، لأن عوامل الربح والخسارة ليست في مجرد المراهنة، بقدر ما تكون في درجة الاستعداد وأخذ الحيطة وإعداد العدة والعتاد، وللناس الحق المطلق في استثمار الزمن للصالح العام وللصالح الشخصي أيضاً دون مراوغة ومماطلة وتسويف واحتيال، ولهم أن يضعوا الخطط الخمسية وغيرها من خطط تنموية وإعمارية، وإلا تصبح الحياة دون ضوابط ودون معنى، وتصبح مفرغة من قيمها ومحتوياتها الحياتية والحيوية.

على أن هناك استخلاصاً لطيفاً من هذه الدراسة يتصل بموضوعها: وهو ما شاع بين العرب وغيرهم من وصف من لا تعجبهم تصرفاته بأنه «يهودي» أو كاليهودي، ويتساءل المرء: لماذا لم يقع الاختيار إلا على اليهودي من بين شعوب الأرض، وفيهم من الأجناس البشرية ومن الأشكال والألوان ما فيهم؟ في الواقع نرى أن هذا الوصف لم يأتِ اعتباطاً ولم يأتِ لمجرد الوصف أو السباب، فمعجم السباب عند العرب وغيرهم من الشعوب زاخر بألوان السباب المختلفة، ولا يعوزهم أن يجدوا فيه ما يريدون من الألفاظ والمفردات المطلوبة، ولكن الناس عندما يطلقون هذا الوصف على من يريدون شتيمته، ينظرون فيه، فيجدونه محباً للمال، عاشقاً للحياة، مرابياً، يحتال على الناس، يماطل لا يلتزم بعهد أو ميثاق، وأكثر من ذلك أنه يراهن على الزمن في تعاملاته مع الآخر مع استخفاف بالعقول، حينئذ يكون الوصف له بأنه يهودي مطابقاً للسمت الذي ارتسم في الذاكرة الإنسانية والوعي الجماعي، لذلك اليهودي الانتهازي المتقلب عبر التاريخ، وعبر شخصيته التوراتية، وعبر تمرده على الحق المطلق في جدلية تقوم أكثر ما تقوم، على الوهم والنرجسية وعبادة الذات، فيرسل الناس ذلك الوصف لعنة وسبة على ذلك السمت.

وهذا يؤكد الرواية القائلة إن بني إسرائيل، عندما خرجوا من مصر عاشوا فترة من حياتهم في التيه، على شاطئ البحر الأبيض شمال سيناء في منطقة تسمى اليوم «البردويل»، ومازال أهل هذه المنطقة يصيدون الأسماك في بعض المواسم بالطريقة نفسها التي كان بنو إسرائيل يصيدون بها الأسماك، فيفتحون فتحات الجدوال عند المد، إلى أن تمتلئ بالماء بما فيه من أسماك، وعندما يبدأ الجزر يسدون الفتحات ثم يقومون بصيد الأسماك وجمعها. ■

ملحوظة: اعتمدت الدراسة على النسخة الإنجليزية للتوراة.

بقلم : محمود النجيري

أسس التقريب بين المذاهب الفقهية

لايمكن أن ينجح التقريب بين المذاهب الفقهية إلا بأن يقوم به مجتهدون مخلصون يتحلون بنزاهة القصد وموضوعية الحكم، فلا ينصرون قولاً لفضل قائله، ولا يهملون قولاً لهوى في النفوس، ولا ينصرون مذهباً على آخر بالتشهي، ولا يقدسون إماماً، ولا يستخفون بإمام آخر.

وإذا كان الله تعالى قد بيَّن الدين وأكمله، كما قال سبحانه: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)(١)، إلا أن الناس يتفاوتون في مراتب الفهم، بل قد يقصر أكثرهم عن فهم ما دلت عليه النصوص وعن وجه الدلالة، ولهذا يقع الاختلاف بينهم، ويلزم التقريب بينهم حتى يضيق الخلاف، ولا يتسع الخرق على الراقع، وتتحقق المصلحة الشرعية في الاجتماع والائتلاف.

ويمكن تفصيل الأسس والقواعد التي ينبغي أن تقوم عليها عملية التقريب بين المذاهب الفقهية في الآتي:

١ ـ تجمع الأمة الإسلامية على أن مصدر الأحكام الشرعية هو الكتاب والسنة الصحيحة، فلا تسليم لحكم إلا أن يكون مستنداً إليهما، فالله سبحانه هو المشرع كما قال تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)(٢)، وعقيدة المسلمين أن الله وحده هو الذي يحل ويحرم، والفقيه في عمله الاجتهادي إنما يتلمس حكم الله في المسألة التي يجتهد فيها.

وأما المصادر الفقهية الأخرى ـ غير الكتاب والسنة ـ كالإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها، فهي ليست مصادر مستقلة لاستمداد الأحكام، ولكنها تابعة لنص شرعي، وإن كان مختلفاً في ثبوته أو دلالته.

ويجمع الأئمة على العمل بالحديث متى صح، وأنه لا رأي لأحد مع السنة الشريفة، كما يجمعون على العمل بحديث الآحاد الصحيح، وتقديم الحديث الحسن على القياس، بل يتفقون على تقديم الحديث الضعيف غير الواهي على محض القياس، ومذهب الأئمة الأربعة العمل بقول الصحابي على الجملة، ولكنه ليس حجة على الإطلاق، إذ هو ليس بمعصوم، وإنما العصمة بإجماع الصحابة أو بمجموع الأمة.

وهكذا يتفق الفقهاء على وحدة المصدر، ولكنهم يختلفون ف يالأحكام الجزئية التفصيلية.

٢ ـ القول لا يصح لفضل قائله، وإنما يصح بدلالة الدليل عليه، ولا يجوز تقديس شخص أو قول تقديساً يمنع من النقد والدراسة المنهجية الفاحصة في ضوء الكتاب والسنة وعلم أصول الفقه، وكلام العلماء ليس حقاً في ذاته، وليس بدليل شرعي، ولا حجة فيه بنفسه، وليس في هذا القول تنقيص لإمام ولا حط من قدره، وفضل الأئمة وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في كلامهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول: «فقالوا بمبلغ علمهم، وكان الحق خلاف ما قالوا»، لا يوجب اطراح قولهم جملة وتنقصهم والوقيعة فيهم، والحق ألا نؤثمهم، وألا نقول بعصمتهم، بل نقول في الأئمة الأربعة مثلما نقول في الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة، فلا نقبل كل أقوالهم ولا نهدرها، ولا منافاة بين هذين الأمرين عند من شرح الله صدره للحق، وإنما يتنافيان عند من جهل مقدار الأئمة وفضلهم، أو جهل حقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله ـ ﷺ ـ ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان، قد تكون منه الهفوة والزلة التي هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين.(٣).

٣ ـ لم يوجب الله على أحد اتباع إمام بعينه، ولا التزام مذهب معين، وإنما أوجب اتباع أهل العلم من غير تخصيص بعالم ولا بمذهب حيث يقول سبحانه: (فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)(٤).

ولا يلزم إن اتبع إماماً أن يتبعه في كل المسائل التي تعرض له، بل له أن يسأل من شاء من المجتهدين ويأخذ بقول من شاء منهم، وإن قلد إماماً في مسألة جاز له أن يقلد غيره في مسألة أخرى، وإن اتبع مذهباً جاز له الانتقال منه إلى مذهب آخر، وأقوال العلماء وآراؤهم في المذاهب المختلفة لا تنضبط ولا تنحصر، ولم تضمن لها العصمة، إلا إذا اتفقوا ولم يختلفوا، فلا يكون اتفاقهم إلا حقاً، ومن المحال أن يحيلنا الله على ما لا ينضبط ولا ينحصر، وإنما وقفنا عند المذاهب الأربعة لأنها منضبطة الأقوال منحصرة المصادر معلومة المراجع، ولم تضمن لنا العصمة لواحد من الأئمة، ولا قام دليل على أن أحدهم أولى بأن نأخذ قوله كله، وندع قول غيره كله.(٥)

٤ ـ ليس للعامي مذهب، ولا يلزمه أن يتمذهب ببعض المذاهب المتبوعة، ذلك لأن المذهب إنما يكون لمن يعرف الأدلة، ولهذا قيل: «العامي مذهبه مذهب مفتيه»، فله أن يستفتي من شاء من فقهاء المذاهب ويتبع ما شاء منها شريطة ألا يكون ذلك بحثاً عن الرخص في كل مذهب، بل عليه اتباع الحق بحسب الإمكان. وأن يكون محباً للأئمة موالياً لهم جميعاً، وأن يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له أنه موافق للسنة.(٦)ويمكننا أن نقول إنه قد انقضى عصر التمذهب عند العامة أو كاد، (بل هذا الرأي في المتفقهين المنتسبين للمذاهب الأربعة أكثر)، وهذا محفز للتقريب ومعين عليه، إذ إن التمذهب المتعصب تعصباً أعمى كان يحول دون ذلك فيما مضى، أما الآن فلا يلتفت المسلم من العامة «والخاصة أيضاً» على الجملة إلى الفروق بين المذاهب التفاتاً يرجح أحدها على الآخرين إذ كلها عند العامة مذاهب أئمة المسلمين، وليس أحدها أولى بالحق والاتباع من الآخر، وقد يوجد تمذهب في بعض المناطق لدى نفر قليل من الناس، ولكن هذا في طريقه إلى الانحسار والزوال، والحركة العلمية والتعليمية والدعوية الناشطة في أنحاء العالم الإسلامي كفيلة بالقضاء على العصبية المذهبية العمياء، والمشكلة كما قلنا في بعض المتمذهبين من المتفقهة المتعصبين، وفي قصور القانون في بعض الأقطار على الأخذ من مذهب واحد.

٥ ـ لم يجمع أحد بعد النبي ـ ﷺ ـ علم الدين كله، ولم يحط مذهب بكل الوقائع والأحداث، فلا يوجد إمام جمع كل الأحاديث ولا كل العلم بالأحكام، فبعضها كان يخفى على الواحد من الصحابة، وعلى رأسهم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، فليس أحد منهم ـ رضي الله عنهم ـ إلا قد خفي عليه بعض ما قضى الله ورسوله به، فهذا أبو بكر الصديق أعلم الأمة بالدين، خفي عليه ميراث الجدة حتى أعلمه به محمد بن مسلمة والمغيرة بن شعبة، وخفي عليه أن الشهيد لا دية له حتى أعلمه به عمر، فرجع إلى قوله، وخفي على عمر تيمم الجنب، فقال: لو بقي الجنب شهراً لم يصلّ حتى يغتسل، وخفي عليه دية الأصابع، فقضى في الإبهام والتي تليها بخمس وعشرين حتى أخبر أن في كتاب آل عمرو بن حزم أن رسول الله ـ ﷺ ـ قضى فيها بعشر، فترك قوله ورجع إليه، وخفي عليه شأن الاستئذان حتى أخبره به أبو موسى وأبو سعيد الخدري، وخفي عليه توريث المرأة من دية زوجها حتى كتب إليه الضحاك بن سفيان الكلابي وهو أعرابي من أهل البادية أن رسول الله ـ ﷺ ـ أمره أن يورث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها، وخفي عليه أمر المجوس في الجزية حتى أخبره عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ـ ﷺ ـ أخذها من مجوس هجر، وخفي عليه سقوط طواف الوداع عن الحائض فكان يردهن حتى يطهرن ثم يطفن، حتى بلغه عن النبي ـ ﷺ ـ خلاف ذلك فرجع عن قوله، وخفي عليه شأن التمتع في الحج وكان ينهى عنه حتى وقف على أن النبي ـ ﷺ ـ أمر بها، فترك قوله وأمر بها، وخفي عليه جواز التسمية بأسماء الأنبياء، فنهى عنه حتى أخبره به طلحة أن النبي ـ ﷺ ـ كناه أبا محمد، فأمسك عمر ولم يتماد في النهي، وهو كما قال ابن مسعود: «لو وضع علم عمر في كفة ميزان، وجعل علم أهل الأرض في كفة لرجح علم عمر»(٧).

٦ ـ من الثابت أن كلاً من الأئمة الأربعة نهى عن تقليده والأخذ بكل ما يقول، ولم يكن أحد منهم يعتقد أن كل قوله صواب لا يشوبه الخطأ، وكذلك كان تلاميذهم وأهل الفضل والهداية الذين اتبعوا مذاهبهم من بعدهم، فهؤلاء تلاميذ مالك: عبدالله بن وهب، وابن القاسم، وأشهب، وعبدالله بن الحكم كانوا يجتهدون ويخالفونه أحياناً، كما خالف المزني والبويطي شيخهما الشافعي، وكما خالف أبو يوسف ومحمد بن الحسن أستاذهما أبا حنيفة.

وعلى هذا الهدى سار أهل الهداية من أتباع المذاهب، فهذا ابن عابدين من الحنفية المتأخرين زماناً يقول: «إذا سئلنا أي المذاهب صواب؟... فلا نجزم بأن مذهبنا صواب البتة، ولا بأن مذهب مخالفنا خطأ البتة بناء على المختار من أن حكم الله في كل مسألة واحد معين وجب طلبه، فمن أصابه فهو المصيب، ومن لا فهو المخطئ، ونقل «معناه» عن الأئمة الأربعة»(٨).

ومن العلماء من كان لا يتقيد بمذهبه بل يجتهد لنفسه، فإن صح عنده حديث عمل به، وإن وجد قولين للعلماء تخير لنفسه، ومن هؤلاء كثرة مثل: ابن تيمية وابن القيم، وابن دقيق العيد، والعز بن عبدالسلام، وابن كثير، بل من تلاميذ الأئمة أنفسهم من كان يفعله، فهذا محمد بن الحسن، لم يمنعه انتسابه إلى أبي حنيفة من اختياره من مذهب مالك، وهكذا غيره.

٧ ـ العمل بالحديث الذي على خلاف المذهب ليس ضد المذهب، ولكنه عمل بالمذهب نفسه، لأنه يسير على قواعد الإمام في تقديم السنة، وقد بيّن أبو عمرو بن الصلاح أن المنتسب «الشافعي» إذا كان ذا اجتهاد فوجد حديثاً يخالف مذهبه، أو أداه اجتهاده إلى مذهب إمام آخر اتبع الحديث وصار إلى اجتهاده، وذكر أن ممن سلك هذا المسلك من الشافعية من عمل بحديث تركه الشافعي عمداً على علم منه بصحته لمانع اطلع عليه وخفي على غيره، مثل أبي الوليد موسى بن أبي الجارود من أصحاب الشافعي، إذ روى عنه أنه روى عن الشافعي قوله: «إذا صح عن النبي ـ ﷺ ـ حديث، وقلت أنا قولاً فأنا راجع عن قولي، قائل بذلك» قال أبو الوليد: وقد صح حديث: «أفطر الحاجم والمحجوم» فأنا أقول: قال الشافعي: أفطر الحاجم والمحجوم.(٩)

٨ ـ الأئمة لم يقصدوا إلى الخلاف، ولكنهم اجتهدوا فاختلفوا والخلاف الفقهي في الفروع قديم قدم الإسلام نفسه، وهو خلاف لا خوف منه على الدين، ولا بأس به مادام ناتجاً عن دراسة نزيهة من أهل الاختصاص على أصول العلم، وإنما ذم القرآن من الخلاف ما كان راجعاً إلى الهوى وعوج العقول والتشهي ومؤدياً إلى التنابذ والتحزب والتقاتل بين أهل الدين، بعد ترك البينات الظاهرة في النصوص المحكمة.

والخلاف طبيعة لا تزول، ذلك لأن أسباب الخلاف قائمة في طبيعة البشر، وطبيعة الحياة، وطبيعة اللغة، وطبيعة التكليف، فمن أراد أن يزيل الخلاف بالكلية فإنما يكلف الناس والحياة واللغة والشرائع ضد طبائعها، إلا أننا في مع هذا مأمورون بدرء النزاع والاجتماع على الحق بعد تحريه، كما في قول الله تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)(١٠).

وقوله عز وجل: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)(١١).

والخلافيات بين المذاهب محصورة أو يمكن حصرها، كما يمكن التقريب بين أكثرها، وهي ليست في أصل الدين، ولكنها في الفروع الفقهية وبعض الأصول التي يقوم عليها الاستنباط، وهذه الخلافيات يمكن ردها إلى أسبابها، كما يمكن الوصول في أكثرها إلى قول واحد إذا قربنا بين المذاهب، وهذا دور من يقومون بعمل التقريب: اكتشاف الأرضية المشتركة بين المذاهب وتوسيعها، وتقليل الخلافات، ومحاولة الفصل في الأمور الاجتهادية، بما يلائم عصرنا، فكل عمل فقهي هو لعصره، ولذلك فالحاجة إلى الاجتهاد متجددة، ولا خير إن ظل هناك جانب من الخلاف لا يمكن حسمه، ولا يستطاع الفصل فيه برأي واحد، وذلك لتنوع النظر وتعدد المناهج في الاستدلال على الأحكام، ولا بأس بهذا الاختلاف، وخصوصاً في المسائل الفردية التي ليست ذات صفة عامة، أما المسائل العامة فحكم الحاكم يفصل في موضوع النزاع إذا لم يتفق الفقهاء فيها على قول واحد، وقد تقرر في الأصول أنه إذا حكم حاكم في مسألة خلافية، أن حكمه يرفع الخلاف، والمراد بالحاكم هنا كل من له سلطة شرعية، سواء كان السلطان، أو الوالي، أو القاضي أو نائبه.(١٢) وفي عصرنا الحاضر تعد التشريعات التي تصدرها الجهات المختصة والقوانين الصادرة عن الدولة في الأمور الشرعية مندرجة تحت هذه القاعدة الفقهية.

ويجب أن نفهم أن الاختلاف في الأحكام الفقهية لا ينافي كمال الإيمان، فأهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يخرجون بذلك عن الإيمان، وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً.(١٣)

٩ ـ العمل الفقهي ينقسم إلى أصول وفروع، واختلاف الأئمة في الأصول ومناهج الاستدلال أدى إلى اختلافهم في الفروع، ولذلك ينبغي أن يعمل التقريب في الأصول والفروع معاً، وهناك الأصول التي اتفق عليها الأئمة والأصول التي اختلفوا فيها، والتقريب في هذا الجانب يناط به الاجتهاد في دراسة مصادر الأحكام التي نستفيدها من المذاهب الأربعة مجتمعة، فنأخذ من كل مذهب ما عنده من أصول تأخذ بيدنا إلى الحق، وأن ندع ما لا حاجة لنا به، ولسنا في حاجة إلى ابتداع أصول فقهية أخرى، ذلك لأن هذه الأصول قد استوت على سوقها ونضجت.

وليس من المبالغة أن نقول إن مناهج الأئمة في الأصول متقاربة أشد التقارب، بل لقد عبر أحد الدارسين عن أنها: «تكاد تكون واحدة في العدد، ولكن الاختلاف إنما هو في سعة الدوائر وضيقها، فإن ضاقت دائرة الحديث، واتسعت دائرة الرأي عند الأولين، كان الأمر على العكس عند الآخرين، أما عدد الدوائر نفسها فتكاد تكون واحدة»(١٤)

أما الاجتهاد في الفروع فيتسع لاتساع الاختلاف فيها، ومقصده الوصول إلى الدليل ومعرفة وجه الدلالة فيه، والتخير من المذاهب الفقهية في حال غياب الدليل، ويكون هذا التخير على أسس منها مراعاة المصلحة والتيسير وتحقيق العدل والمساواة بين الناس، وإعمال مصادر الأحكام في ذلك من قياس واستحسان ومصالح مرسلة وسد للذرائع واستصحاب وعرف وعادة وقواعد كلية فقهية.

١٠ ـ القطعيات (ثبوتاً ودلالة. قرآنا وسنة متواترة)، لا مجال فيها لعمل التقريب بين المذاهب مادام تم الاتفاق عليها، وهي نوعان: أحدهما ما يعلم من الدين بالضرورة كالصلاة والصيام والزكاة والحج، والآخر ما خفي على بعض الناس كمقادير المواريث.

والإجماع الصريح المنقول نقلاً صحيحاً لا مجال للتقريب فيه، أما الإجماع غير الصريح ففيه الاجتهاد لمعرفة حجيته وثبوته، ومن يقوم بهم الإجماع، ومن خالف فيه، وتغير الإجماع لتغير المصلحة إن كان الإجماع يقوم على مصلحة متغيرة.

وأما الظنيات ثبوتاً ودلالة، فهي مجال لعمل التقريب بين المذاهب، وأمثلتها:

أ ـ قطعي الثبوت ظني الدلالة، مثل قول الله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)(١٥)، وظنية الدلالة تأتي من فهم القرء: هل هو الحيض أو الطهر على خلاف في ذلك بين المذاهب والعلماء.

ب ـ ظني الثبوت قطعي الدلالة مثل قول النبي ـ ﷺ ـ «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»(١٦) وهو ظني الثبوت لأنه حديث آحاد، إلا أن دلالته قطعية وعليها العمل.

ويتسع مجال الاجتهاد التقريبي ليشمل القواعد الفقهية، وأدلة الأحكام في المذاهب كما أسلفنا، ففي مجال القياس مثلاً، ترد الفروع والجزئيات إلى أصولها وتكشف علل الأحكام الباطنة أو حكمتها الظاهرة، وهكذا. ■

المراجع:

١ ـ المائدة:٣.

٢ ـ الشورى:٢١.

٣ ـ إعلام الموقعين لابن القيم (٣/٣٤٨).

٤ ـ النحل:٤٣.

٥ ـ د.عبدالمجيد مطلوب: المدخل في التعريف بالفقه الإسلامي، ص٣٢٤، إعلام الموقعين (٢/١٦٤).

٦ ـ انظر تفصيل ذلك في: إعلام الموقعين (٤/٢٢٦ ـ ٢٢٨)، حاشية ابن عابدين (١/٣٤)، أدب الفتوى لابن الصلاح ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

٧ ـ إعلام الموقعين (٣/٢٠٠ـ٢٠١، ٤/٢٣٠)، وانظر أدب الفتوى لابن الصلاح، ص ٥٤

٨ ـ حاشية ابن عابدين (١/٣٤).

٩ ـ أدب الفتوى لابن الصلاح، ص٨٧ـ٩٠، والحديث رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان، وانظر إعلام الموقعين (٤/٢٠٦).

١٠ ـ الأنفال:٤٦.

١١ ـ النساء:٥٩.

١٢ ـ المغني (٦/٤٥٠).

١٣ ـ إعلام الموقعين (١/٤٠).

١٤ ـ أحمد أمين: ضحى الإسلام (٢/٢١٢ـ٢١٣).

١٥ ـ البقرة:٢٢٨.

١٦ ـ رواه الترمذي وهو صحيح.

بقلم : غازي التوبة

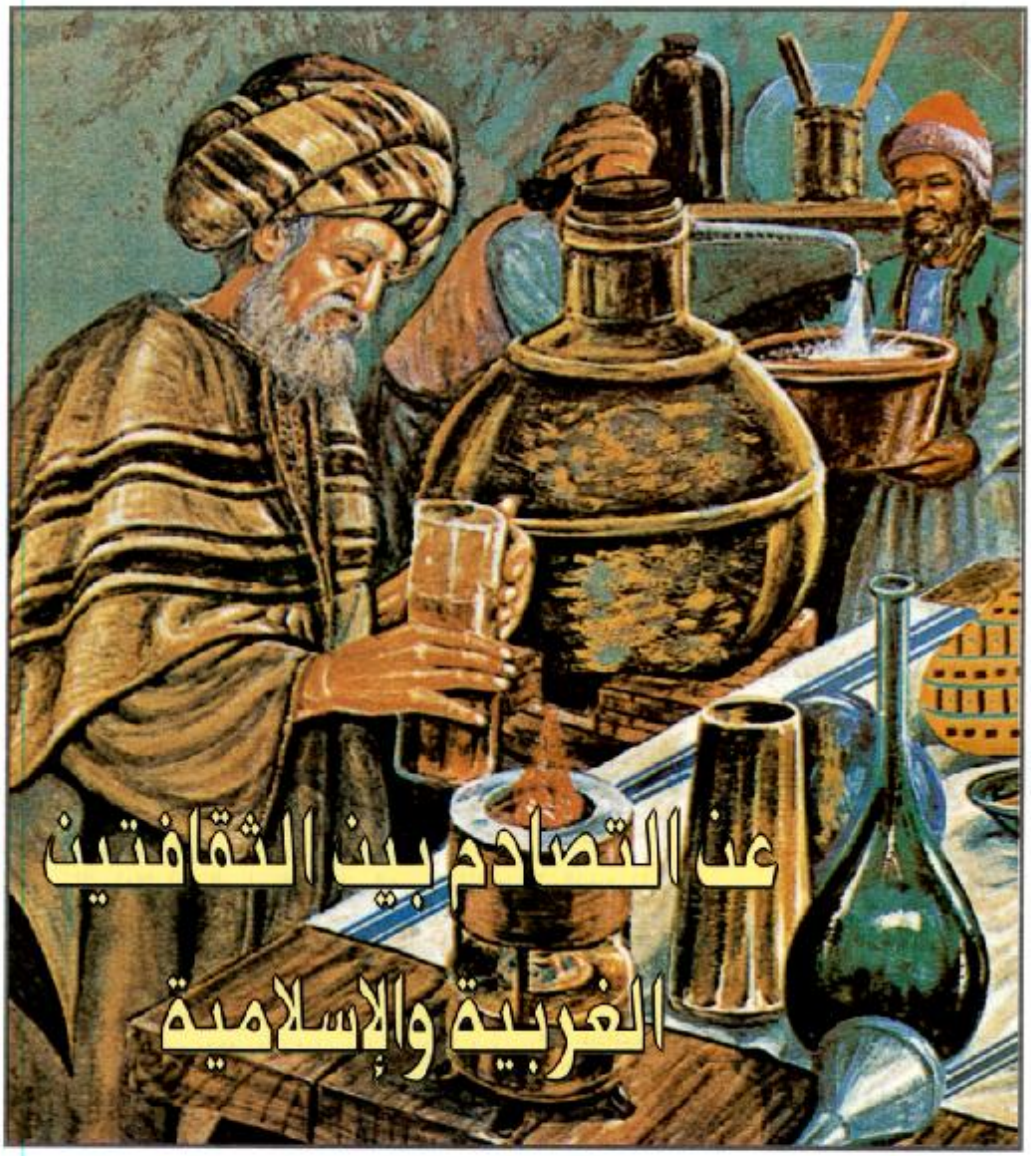

عن التصادم بين الثقافتين الغربية والإسلامية

إنّ نسبية الحقيقة إحدى الركائز التي تقوم عليها الثقافة الغربية منذ نهضة أوروبا الحديثة، ويربط المفكرون الغربيون بين تلك الركيزة وتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحيطة بالمجتمع، ويعتقدون أنّ تغير الحقائق الحياتية يقتضي نسبية الحقيقة، ولكنّ تكوّن تلك الركيزة في الثقافة الغربية يعود إلى فترة أبعد من العصور الحديثة ويرتبط بالعصور الوسطى، فمن المعروف أن الكنيسة كانت تنطلق آنذاك في حكمها لأوروبا من نص الإنجيل المقدس، والذي كان ثابتاً والذي كانت تحتكر تفسيره، وعندما قامت حقائق علمية وكونية متعددة تناقض النص المقدس الثابت، وتناقض

تفسير رجال الكنيسة له ووقع التصادم المريع بين الدين والعلم، وكانت النتيجة اضطهاد رجال العلم بحجة مخالفة النص المقدس الثابت، ولكنّ الكنيسة انهزمت أمام الثورة عليها وأمام حقائق العلم، واعتبرت الثورة الدين عقبة في طريق العلم والتقدم، وصار الربط حينئذ بين النص المقدس وثبات الحقيقة، والعلم ونسبية الحقيقة.

ومنذ أن بدأ التفاعل بين الثقافتين: الغربية والإسلامية خلال الفترة الماضية، فإن أبرز صور التصادم كانت بين نسبية الحقيقة في الثقافة الغربية وبين النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في الثقافة الإسلامية، وسأعرض لبعض صور التصادم في السطور التالية.

من أول صور التصادم ما أثاره طه حسين في كتاب «في الشعر الجاهلي» عام ١٩٢٦م، فقد تعرض لنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة تحدثت عن بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للكعبة، وتشكك في تلك الحقيقة، وحتى في وجودهما التاريخي، وفي هجرتهما، ورأى أن قريشاً اختلقت تلك القصة لأسباب سياسية واقتصادية، ورأى فيها نوعاً من الحيلة لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهودية، والقرآن والتوراة من جهة أخرى.

ومن صور التصادم أيضاً حديث الدكتور حسين أحمد أمين في كتابه «حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية» عن حد السرقة الذي ورد في نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة في قوله سبحانه وتعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله) المائدة ٣٨، فقد ربط الدكتور بين ذلك الحد وبين الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية آنذاك، وبيَّن أن العربي كان ينقل كل متاعه على راحلته، وإنّ سرقته تعني سلبه كل ما يملك من جهة، وتعني هلاكه من جهة ثانية، لذلك جاء الحكم بتلك الصورة لأنه مرتبط بالأموال المنقولة، والآن أصبحت الأموال غير المنقولة أثمن وأغلى من الأموال المنقولة لذلك فهو يقترح تغير الحكم انطلاقاً من تغيّر الوضع الاقتصادي.

أما الدكتور نصر حامد أبو زيد فقد تحدث في كتابه «نقد الخطاب الديني» عن النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في عدة مجالات منها: صفات الله وفي مجال آخر هو الحسد والسحر والجن والشياطين، وقد اعتبر أن الألفاظ الأخيرة مرتبطة بواقع ثقافي معين ويجب أن نفهمها في ضوء واقعها الثقافي، وإن وجودها الذهني السابق لا يعني وجودها العيني، وقد أصبحت الآن ذات دلالة تاريخية، والدكتور نصر حامد أبو زيد في كل أحكامه السابقة ينطلق من أن النصوص الدينية نصوص لغوية تنتمي إلى بنية ثقافية محدودة، تم إنتاجها طبقاً لنواميس تلك الثقافة التي تعد اللغة نظامها الدلالي المركزي، وهو يعتمد على نظرية عالم اللغة «دي سوسير» في التفرقة بين اللغة والكلام، وينتهي الدكتور نصر حامد أبو زيد إلى ضرورة إخضاع النصوص الدينية إلى المناهج اللغوية المشار إليها سابقاً.

أما الدكتور محمد شحرور في كتابه «الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة» فقد اعتبر أن جميع النصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة في مجال الحياة الاجتماعية: كالنكاح، والطعام، وفي مجال الحدود: كحد السرقة، والزنى، والحرابة، والقتل العمد إلخ...، وفي مجال الأحكام: كتوزيع الميراث، وأخذ الربا إلخ... اعتبر جميع تلك النصوص خاضعة لاجتهاد رسم له حدين: أدنى وأعلى، وقد اعتبر أن سنة الرسول ﷺ هي اجتهاد محمد ﷺ، لتطبيق حدود الإسلام ضمن بيئة الجزيرة العربية، وبالتالي فإن تطبيقه لها ليس ملزماً لنا في شيء.

لا شك أن نسبية الحقيقة هي النظام الذي يشمل كل تلك الطروحات بدءاً من تشكك طه حسين في الوجود التاريخي لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وفي واقعة بنائهما الكعبة، ومروراً بربط الدكتور حسين أحمد أمين لحد السرقة بظاهرة الأملاك المنقولة، وباعتبار الدكتور نصر حامد أبو زيد السحر والجن والشياطين ألفاظاً ذات دلالات تاريخية، وانتهاءً باعتبار الدكتور محمد شحرور جواز تأرجح الحد بين اجتهادين أعلى وأدنى... ولا أريد أن أكرر الحديث عن الخصوصية التاريخية التي جعلت ثقافة الغرب تقوم على نسبية الحقيقة، ولا أريد أن أفصل مناقشة رأي كل كاتب فيما يتعلق بالنصوص القطعية الثبوت القطعية الدلالة التي تعرض لها فقد فعلت ذلك في مواضع أخرى أو فعل غيري ذلك، ولكني أرد موجزاً مختصراً فأتساءل: هل يجوز لطه حسين أن يرد نصوصاً قطعية الثبوت قطعية الدلالة في شأن وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وفي شأن بنائهما الكعبة من أجل وجود أساطير مشابهة قبلها الرومان عن بناء روما من قبل بإينياس بن بريام صاحب طروادة اليوناني؟ لماذا يربط الدكتور حسين أحمد أمين بين حد السرقة والأموال المنقولة ولا يربط ذلك بفعل السرقة الشنيع وما يشتمل عليه من ترويع وتخويف واعتداء على المسروق وما يصوره من طمع السارق ودناءته وتطلعه إلى ما في يد الغير بغير حق مشروع؟ لماذا يعتبر الدكتور نصر حامد أبو زيد الكلمات: السحر والحسد والجن والشياطين ألفاظاً ذات دلالات تاريخية؟ فهل نفى العلم بشكل قطعي وجود حقائق عينية لتلك الألفاظ حتى نعفي عليها ونعتبرها ألفاظاً لا حقائق لها وذات دلالات تاريخية؟ لماذا يُخضع الدكتور محمد شحرور كل الألفاظ القرآنية للتحليل اللغوي المعجمي مع أنّ الإسلام أخرج كثيراً من الألفاظ من معناها اللغوي وجعلها مصطلحات أعطاها معاني أخرى أمثال: الصلاة، الزكاة، الإيمان، الكفر، الحدّ إلخ... وعليه أن يحترم هذه المصطلحات عند أي بحث علمي؟

والآن أعود إلى نسبية الحقيقة التي تتصادم مع النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة الذي يؤدي إلى ثبات الحقيقة وأتجاوز الظروف التاريخية التي جعلت نسبية الحقيقة جزءاً أساسياً من ثقافة الغرب والتي تختلف عن ظروفنا التاريخية وأتساءل: هل حقاً ليس هناك ثبات في الحقيقة؟ ومن أين جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في ثقافتنا الإسلامية؟ وما سنده الواقعي في صيرورة الكون؟

لقد جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة الذي يشير إلى ثبات بعض الحقائق من الفطرة الثابتة التي لا تتغير، قال سبحانه وتعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) الروم:٣٠، فطالما أن هناك فطرة ثابتة لا تتغير، وهذا ما قادت الظروف التاريخية أوروبا لإنكاره، وليس بالضرورة أن يكون الصواب مع أوروبا. ■

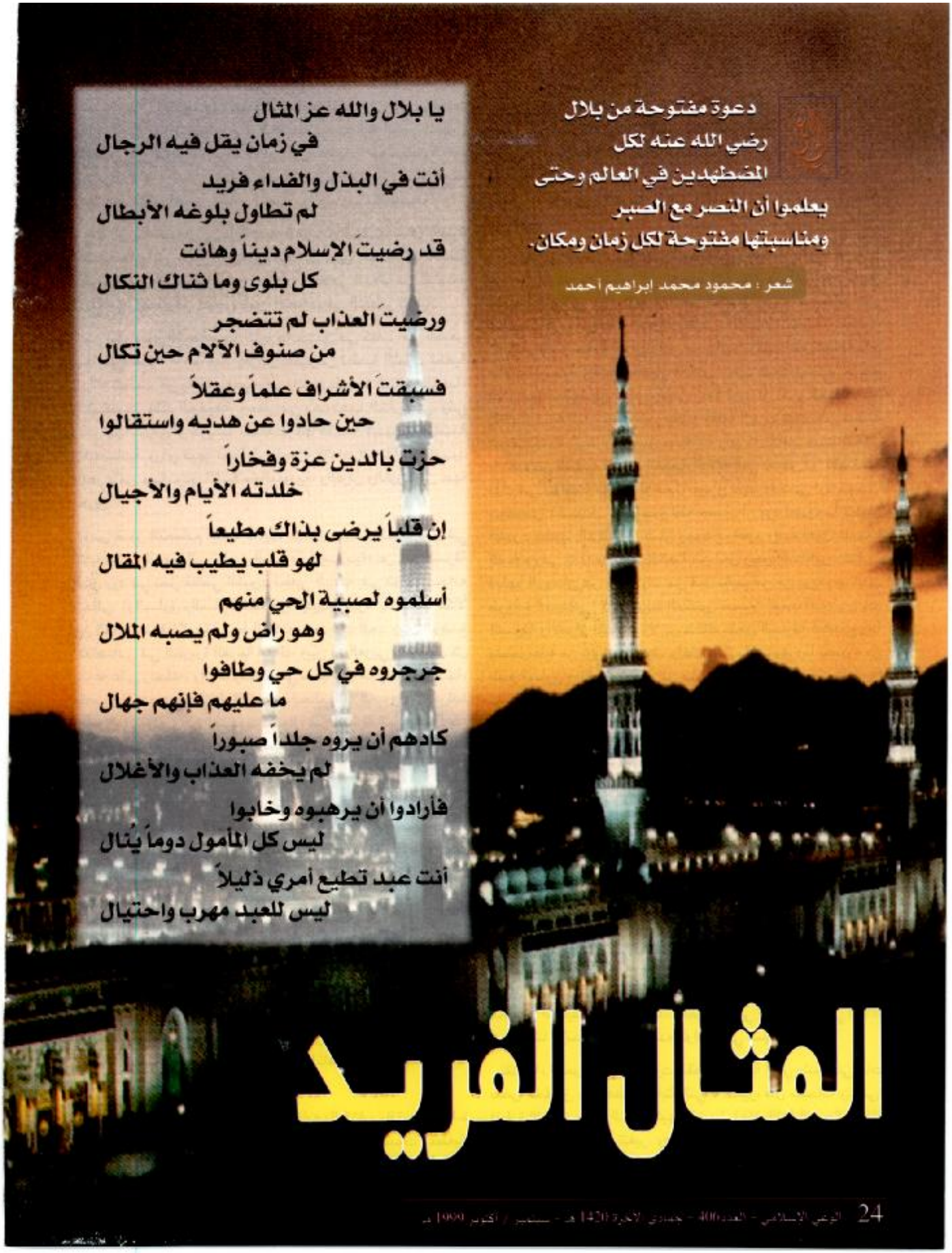

المثال الفريد

دعوة مفتوحة من بلال
رضي الله عنه لكل
المضطهدين في العالم وحتى
يعلموا أن النصر مع الصبر
ومناسبتها مفتوحة لكل زمان ومكان.

شعر : محمود محمد ابراهيم أحمد

يا بلال والله عز المثال
في زمان يقل فيه الرجال
أنت في البذل والفداء فريد
لم تطاول بلوغه الأبطال
قد رضيتَ الإسلام ديناً وهانت
كل بلوى وما ثناك النكال
ورضيتَ العذاب لم تتضجر
من صنوف الآلام حين تكال
فسبقتَ الأشراف علماً وعقلاً
حين حادوا عن هديه واستقالوا
حزت بالدين عزة وفخاراً
خلدته الأيام والأجيال
إن قلباً يرضى بذاك مطيعاً
لهو قلب يطيب فيه المقال
أسلموه لصبية الحي منهم
وهو راض ولم يصبه الملال
جرجروه في كل حي وطافوا
ما عليهم فإنهم جهال
كادهم أن يروه جلداً صبوراً
لم يخفه العذاب والأغلال
فأرادوا أن يرهبوه وخابوا
ليس كل المأمول دوماً يُنال
أنت عبد تطيع أمري ذليلاً
ليس للعبد مهرب واحتيال

أنا عبد أجل ولكن لربي
وله العز والثناء والجلال

ها هوالجسم فافعلوا ما أردتم
قطعوه أو حرقوه وغالوا

فهو للترب لحمه ودماه
يأكل الدود عظمه والرمال

غير أن الفؤاد لن تملكوه
ومحال أن تكرهوه محال

لا تراعوا يا إخوتي من عذابي
فالأعادي هموا بما لم ينالوا

لا تبالوا بما جنوه كأني
دمية اللهو والعدا أطفال

لم تكن هذه القيود حديداً
بل سوار يزيننني وجمال

هذه الصخرة التي وضعوها
فوق صدري تئن منها الجبال

لم تكن صخرة ولكن أراها
مثل حب الغمام إذ ينثال

والمهاد الذي طرحت عليه
حشوه الشوك والحصى والرمال

يتلظى في ساعة القيظ ناراً
لا تطيق المسير فيه الجمال

تحذر الطير أن تمر عليه
ما لجنب المجلود فيه احتمال

كأن عندي استبرقاً وحريراً
فيه نُعمى وظلة وأخضلال

يئسوا من عذابه فأرادوا
أن يبيعوا ولو أتى مثقال

فيجيء الصديق عجلان يفدي
ذلك الطود والهموم ثقال

لم يكن حين عذبوه ضعيفاً
كان عزماً تزول منه الجبال

راودوه فلم يجبهم لشرك
وبريق الوعود: حر ومال

وأراهم من نفسه أي عزم
وإباء تهفو إليه الرجال

أحد قالها وقد أرهبتهم
من صنيع المملوك صالوا وجالوا

اقتلوه وخلصوا الأرض منه
ما لهذا المسحور حي وآل

إن يعش بينكم سيجلب شؤماً
وتضيع الهيبات والأموال

فطريد الأحباش صلب عنيد
وبه سوف تضرب الأمثال

يا بلال كان العذاب شديداً
يوجع النفس حينما ينهال

لا تظنوا أني رأيت عذاباً
كان حلماً بل إنه لخيال

إن صدق الإيمان في القلب أقوى
لم تزله الأحداث والأهوال

وجسوم العباد في الأرض تفنى
وإلى الله ترفع الأعمال

«فإذا لم يكن من الموت بد»
فمن الفخر أن يموت الرجال

في سبيل الإسلام نقضي ليحيا
وليكن موتنا له والقتال

إن يكن ذاك في الإله فحسبي
أن تكون الجنان نعم المآل

حين شاع الإسلام في كل حي
قرت العين واستراح البال

فاحفظوا الدين إخوتي وانشروه
ما بدا النجم واستدار الهلال

بقلم : محمد نور سويد

كيف تتجدد المعاني القرآنية

2/1

نزل القرآن بلسان عربي مبين، وهذا اللسان العربي، يضم في ثناياه عدداً من المعاني في بيانه، وذلك حسب السياق والموضوع الذي يبحث فيه، كما فيه المعاني الظاهرة والمجملة والمشتركة والمؤولة حسبما هو معروف في علمي: علوم القرآن وأصول الفقه، وحتى يظهر بيانه يحتاج إلى الترجيح، وترجيح معنى على آخر يكون بقرينة ذاتية او خارجية، وأحياناً بمرجح من السنة أو من فهم الصحابة رضى الله عنهم، وهذا الترجيح متعدد الأنواع، ومختلف الاتجاهات، حتى يصل الأمر أحياناً إلى معنيين أو أكثر، وكل من المعاني له دليله ومؤيده من الأئمة الأعلام.

قال الله تعالى: (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق) الرعد:٣٧.

(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) النحل:١٠٣.

(وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يُحدث لهم ذكراً) طه:١١٣.

(وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين. وإنه لفي زُبُر الأولين. أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل. ولو نزلناه على بعض الأعجمين. فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٩.

إن اكتفاء المفسر بأحد المعاني يغلق باب التأمل والتدبر في كتاب الله تعالى

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (بلسان عربي مبين) أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بيننا واضحاً ظاهراً قاطعاً للعذر مقيماً للحجة دليلاً إلى المحبة» انتهى.

وقال تعالى: (قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) الزمر:٢٨.

قال ابن كثير في التفسير: وقوله جل وعلا «قرآناً عربياً غير ذي عوج» أي هو قرآن بلسان عربي مبين: لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان وإنما جعله الله تعالى كذلك وأنزله بذلك «لعلهم يتقون» أي يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد» انتهى.

وقال الله تعالى: (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون) فصلت:٣.

قال ابن كثير في تفسيره: قوله تبارك وتعالى: (كتاب فصلت آياته) أي بينت معانيه وأحكمت أحكامه (قرآناً عربياً) أي في حال كونه قرآناً عربياً بيناً واضحاً فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشكلة كقوله تعالى: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) أي هو معجز من حيث لفظه ومعناه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله تعالى: (لقوم يعلمون) أي إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون) انتهى.

وقال تعالى: (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) فصلت:٤٤.

(وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير)الشورى:٧.

(إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) الزخرف:٣.

(ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) الأحقاف:١٢.

فتأكيد الآيات السابقة عربية القرآن لمواجهة فصحاء العرب وإعجازهم الإتيان بمثله، فلو كان العرب يستطيعون السيطرة عليه لأتوا بمثله، ولكنهم عجزوا لأسباب كثيرة منها اتساع معاني الكلمة العربية لتشمل أغلب المعاني اللغوية المنتشرة بين القبائل العربية، وهذا لا يستطيع أن يحيط به إنسان بكل جزئيات المعاني للكلمة الواحدة.

وتأتي أهمية البيان الدعوي بالعناية الخاصة بلسان الرسول المبعوث بلغة قومه قال الله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضلُّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) إبراهيم:٤.

قال القرطبي في تفسير الآية: قوله تعالى: «ما أرسلنا من رسول» أي قبلك يا محمد «إلا بلسان قومه ليبين لهم» أي بلغتهم، ليبينوا لهم

أمر دينهم، ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة، فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير، ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية، لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي ﷺ ترجمة يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ:٢٨.

وقال ﷺ : «أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها، وأرسلني الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه»(١).

وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» أخرجه مسلم. انتهى

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه في يوم دجن،

إذا قال لهم: «كيف ترون بواسقها»؟

قالوا: ما أحسنها وأشد تراكمها!

قال: «فكيف ترون قواعدها»؟

قالوا: ما أحسن وأشد تمكينها!.

قال: «فكيف ترون جريانها»؟

قالوا: ما أحسنه وأشد سواده!

قال: «فكيف ترون رحاها استدارت»؟

قالوا: ما أحسنها وأشد استدارتها!

قال: «فكيف ترون برقها أو ميض أم خفق أم يشق شقاً»؟.

قالوا بل يشق شقاً؟

قال: «الحياء الحياء إن شاء الله».

قال: فقال رجل: يا رسول الله بأبي وأمي ما أفصحك! ما رأيت الذي هو أعرب منك!

قال: فقال: «حق لي، وإنما أنزل القرآن بلساني، والله يقول: «بلسان عربي مبين» الشعراء: ١٩٥.(٢)

وتبرز أهمية المعاني المتجددة في تلاوة القرآن كخاصية أساسية من خواصه المتعددة والمتنوعة، وذلك في معالجة جميع المشكلات التي يعاني منها المسلم في مختلف الأزمنة والأمكنة.

وقد ورد في الأثر أن القرآن: (ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه» رواه الترمذي.(٣).

قال في تحفة الأحوذي شرح الترمذي: قوله: «ولا يَخلُق» بفتح الياء وضم اللام، وبضم الياء وكسر اللام من خلق الثوب إذا بلي، وكذلك أخلق «عن كثرة الرد»، أي لا تزول لذة قراءته وطراوة تلاوته، واستماع أذكاره وأخباره من كثرة تكراره. قال القاري: أي لا يصدر الخلق من كثرة تكراره كما هو شأن كلام غيره تعالى.

وهذا أولى مما قاله ابن حجر، من أن «عن» بمعنى «مع» انتهى. قلت: قد وقع في بعض نسخ الترمذي «على» مكان «عن»، وهو يؤيد ما قاله ابن حجر «ولا تنقضي عجائبه» أي لا تنتهي غرائبه التي يتعجب منها، قيل: كالعطف التفسيري للقرينتين السابقتين ذكره الطيبي» انتهى.

أي لا يجمد على معنى واحد بكثرة التلاوة، فالحالة النفسية للقارئ، ومدى تفاعله بالواقع، وقدرته العلمية، وتقواه وصلاحه، يؤهله بذلك أن يستنبط من المعاني ما لا يخطر ببال غيره، حتى ما كان ذلك الباحث يتوقع أن يخرج منه ذلك المعنى، وهذا سماه العلماء في كتبهم: بالفتح الإلهي أو بالفتح الرباني، أو بفتح الباري، أو بفتح القدير، أو بمنحة المعبود، فكل هؤلاء أقروا بالفتح بالمعاني بفضل من الله تعالى، وهذا أصبح ظاهرة عامة في كل عمل موسوعي إسلامي.

ومدام القرآن قد نزل بلغة العرب: (الر. تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون)يوسف:٢.

قال ابن كثير في تفسيره: «وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من كل الوجوه» انتهى.

وقال القرطبي في تفسيره: (لعلكم تعقلون) أي لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه. وبعض العرب يأتي بأن مع «لعل» تشبيهاً بعسى، واللام في «لعل» زائدة للتوكيد، كما قال الشاعر:

يا أبتا علك أو عساكا

وقيل: «لعلكم تعقلون» أي لتكونوا على رجاء من تدبره، فيعود معنى الشك إليهم لا إلى الكتاب، ولا إلى الله عز وجل.

من أسباب اعجاز القرآن اشتماله على أغلب المعاني اللغوية المنتشرة بين القبائل العربية

وقيل: معنى «أنزلناه» أي أنزلنا خبر يوسف، قال النحاس: وهذا أشبه بالمعنى، لأنه يروى أن اليهود قالوا: سلوه لِمَ انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن خبر يوسف، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذا بمكة موافقاً لما في التوراة، وفيه زيادة ليست عندهم. فكان هذا للنبي ﷺ - إذ أخبرهم ولم يكن يقرأ كتاباً قط ولا هو في موضع كتاب - بمنزلة إحياء عيسى عليه السلام الميت على ما يأتي فيه» انتهى.

فالتعقل والتدبر في آيات القرآن مطلب قرآني، وذلك بحثٌ وتنشيط العقل على استنباط المعاني، وفق منهج القرآن ومنهج اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

وقد اعتاد كثير من المفسرين على ترجيح معنى على غيره، والانتصار له بشتى طرق الترجيح العقلية واللغوية، فإذا استبعد المفسرون في عصر من العصور أحد المعاني، فلا يلبث إلا أن يثبته مفسرون آخرون في عصر لاحق.

إن اكتفاء المفسر بأحد المعاني عن طريق الترجيح وعدم سبر جميع المعاني، وعدم إيراده للمعاني الأخرى، يغلق باب التأمل والتدبر في كتاب الله تعالى، الذي دعيناه إلى تدبره، وتأمله، والتفكر فيه، والاعتبار عند عجائبه: الفكرية واللغوية والفقهية والعقدية والكونية والغيبية السابقة واللاحقة.

وإن انتصار المفسر لأحد تلك المعاني على غيرها، حسب علوم ذلك العصر، وقدرة المفسر اللغوية، والفكرية، والعملية، وصفائه النفسي، وشفافيته الروحية، يؤدي لحال الجمود التي تنافي خصائص القرآن التجديدية، ولكن الحقيقة التي يراها كاتب هذه السطور، أن كل تلك المعاني مقصودة، ولكن تحتاج إلى من يستطيع كشف تلك المعاني، وذلك حسب الربط بين المعاني في السياق القرآني الموضوعي واللغوي، والربط بين الكلمات، والربط حسب معلومات العصر، والقدرة اللغوية المتجددة.

والجديد الذي نحب أن نطرحه للتأمل والتدبر والدعوة إليه هو: أن المعاني اللغوية للكلمة القرانية جميعها مطلوبة التأمل فيها، وما على هذا العقل إلا أن يتدبر في استنباط المعاني وإظهارها حسب السياق القرآني، وذلك لاستنهاض العقول والهمم في استحداث المعاني المتجددة للقرآن.

وقد وفق كل التوفيق على تجلية هذه الفكرة عملياً، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني في كتابه القيم: (الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز) في تفسير أخطر موضوع حساسية، لدى أهل السنة والجماعة، وهو حول معنى كلمة «استوى» في قوله تعالى: (ثم استوى على العرش...) الأعراف:٥٤، نعرضه فيما يلي، لنثبت كيف أن العالم الرباني: (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) آل عمران:٧٩، يستطيع هذا العالم الرباني أن يضع الأمور في نصابها، ويهدي الحيارى إلى رشدها، وكيف يستطيع ألا يستبعد أحد المعاني في أدق المواضيع التي تنزلق تحتها الأقدام، فإذا به يثبتها جميعاً ولا ينفيها، ويؤكد تفسيره لهذه الكلمة، القاعدة التي أدعو إليها، وهي: عدم استبعاد أي معنى لغوي ورد في اللغة، قال الإمام يحيى بن حمزة العلوي اليمني رحمه الله تعالى في مرشحه لقوله تعالى: (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) الأعراف:٥٤.

القرآن لا يجمد على معنى واحد بكثرة التلاوة وهذا هو المقصود من كونه لا يَخْلَقُ

وبعد أن استعرض الإمام المعاني الرائعة الجميلة التي أظهرها في الآية كلمة كلمة، قال رحمه الله:

قوله: (ثم استوى على العرش) ظاهر الآية دال على أن الاستواء إنما كان بعد خلق السموات والأرض، وإمال أحوالهما، أما خلق العرش فليس في ظاهر الآية ما يدل على تعين وقت خلقه، فبقي الأمر فيه على الاحتمال حتى يدل دليل شرعي على ذلك.(٤)

ولأن العرش والكرسي من أعظم المخلوقات، لما خصهما الله تعالى من عظم الخلق، ولما اشتملا عليه من الأسرار الإلهية، والحكم المصلحية التي لا يحيط بعلمها إلا الله تعالى.

والاستواء فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون بمعنى الاستيلاء، يقال: فلان الملك قد استوى ملكه، أي استولى عليه وأحاط به، فلا يشذ عنه منه شيء.

وثانيهما: أن يكون الاستواء على حاله من غير تأويل، من قولهم: الأمير استوى على سرير مملكته، أي تمكن فيه. وتحقيقه: قعد عليه قعود المتمكن المستقر، لا قعود القلق المنزعج وكلاهما حاصل في حق الله تعالى:

فعلى المعنى الأول: أن الله استولى على العرش وملكه وأحاط به علماً واقتداراً

وعلى الوجه الثاني: يكون على جهة التخييل كقوله تعالى: (يد الله فوق أيديهم) الفتح:١٠.

وتقرير التخييل: أن الحالة الحاصلة للملك في الاستقرار والتمكن على تخت مملكته وسريره، هي حاصلةلله تعالى على عرشه، كما في قوله تعالى: (بل يداهُ مبسوطتان) المائدة:٦٤، كما سنقرره في التخييل ونوضح أمثلته بمعونة الله تعالى.

وأتى بـ«ثم» دون الفاء ليدل بها على التراخي، ولأن نظام الآية يكون أسلس وأسهل، والسبك بها أتم وأعجب، وهذا يذوقه من جاد ذوقه، وسلم طبعه، عن عجرفة الكلام، وزال عن العنجهانية في القول. انتهى قول الإمام يحيى رحمه الله.

فأنت تلاحظ كيف استطاع الإمام يحيى تقرير المعنيين مع التنزيه الكامل لله تعالى، فالمعنى الأول يرد به على الفلاسفة الذين قالوا: إن الله تعالى خلق العالم ونظامه وتركه ولم يعد يتصرف به، فيأتي معنى استولى لاستوى، ليرد ذلك الزعم، فيثبت بأن الله تعالى أحاط بالعرش وما حوى فيه، علماً وقدرة وأنه على كل شيء قدير، وانه على كل شيء وكيل، وأن المخلوقات كلها تستمد وجودها في كل لحظة وأجزائها، القدرة من القادر سبحانه وتعالى، وأنها كلها في قبضة الله تعالى، وبذلك تنقض مزاعم الفلاسفة.

وفي المعنى الثاني يقرر معنى الاستقرار للمملكة بأنها كلها تجري بمشيئة الله سبحانه، ودليل الاستقرار أنه لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، فهو سبحانه المتفرد في الملكوت، وهو الفعال لما يريد في مملكته التي خلقها، لا أحد غيره سبحانه، يفعل ما يشاء لما يشاء كيف يشاء، وبهذا يصبح معنى الاستقرار له عظيم الفائدة في النفوس، بتقريبه إلى العقول، عن طريق التخييل، ليتوصل به إلى معاني التنزيه والتقرير بأن واحد، ومعاني العظمة في القدرة والتصرف في الملك.

وبمثل هذا التفكير تتفتح معاني القرآن، وتظهر أفكاره الكثيرة، وتتضح معالم العمق اللغوي والفكري، والربط بينهما مع آيات القرآن الأخرى.

بينما نجد مدرستين مختلفتين، منها من تمسكت بمعنى «استولى» لـ«استوى» ومنها من تمسكت بمعنى «استقر» لـ«استوى» وتنافرت المدرستان وتضادتا حتى وصل الأمر إلى التضليل، وأحياناً إلى التكفير بينهما، بينما نلاحظ أن كلا المعنيين له جانبه السامق، لو عبر عنه بنحو ما أسلفنا، وهو التنزيه والتعظيم، والتقرير والإثبات لآيات القرآن وفهمها بوساطة التخييل حسب المعاني اللغوية وسياق وموضوع الآية.

والتخييل: هو اللفظ الدال لظاهرة على معنى، والمراد غيره على جهة التصوير.

ثم يشرحه فيقول: فقوله هو اللفظ الدال على معنى بظاهره: يحترز به عن اللفظ المشترك، فإنه غير دال على معنى بظاهره فإنه لا ظاهر فيه، وإنما دلالاته على جهة البدلية.

وقوله: والمراد غيره: يحترز به عن البصر، فإنه دال على معنى بظاهره وهو المراد بنفسه لا يُراد غيره.

وقوله: على جهة التصوير: يحترز به عن سائر المجازات كلها.

وقال ابن أبي الأصبع المصري (٥٨٥ ـ ٦٥٤هـ) في كتابه (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن) في باب التمثيل: «ومن شواهده في السنة قول الرسول ﷺ حكاية عن بعض النسوة في حديث أم زرع: «زوجي ليل تهامة، لا حر ولا برد، ولا وخامة ولا سآمة»(٥) فعدلت عن لفظ المعنى الموضوع له إلى لفظ التمثيل، لما فيه من الزيادة، وذلك تمثيلها الممدوح، باعتدال المزاج، المستلزم حسن الخلق، وكمال العقل اللذين ينتجان لين الجانب، وطيب المعاشرة، وخصت الليل بالذكر لما في الليل من راحة الحيوان، وخصوصاً الإنسان، لأنه يستريح فيه من الكد والفكر، ولكون الليل جعل سكناً، والسكن الحبيب، ولا سيما قد جعلته ليلاً معتدلاً بين الحر والبرد، والطول القصر، وهذه صفة ليل تهامة لأن الليل يبرد فيه الجو، بالنسبة إلى النهار مطلقاً لغيبة الشمس، وخلوص الهواء من اكتساب الحر، فيكون في البلاد الباردة شديد البرد، وفي البلاد الحارة معتدل البرد مستطيابة، فقالت: «زوجي مثل ليل تهامة، وحدقت أداة التشبيه، ليقرب المشبه من المشبه به، وهذا مما يبين لك لفظ التمثيل في كونه لا يجيء إلا مقدراً بـ«مثل» غالباً»، ولا كذلك لفظ الإرداف، وإلا فانظر إلى قول صاحبتها في الإرداف: «زوجي رفيع العماد» فتجدها قد وصفته بصيغة المبتدأ والخبر، لكون الخبر غير المبتدأ لا مثله، إذ لا يجوز ها هنا تقدير «مثل» في الكلام لتعلم أن لفظ الإرداف أقرب إلى لفظ المعنى من التمثيل. اهـ.»(٦).

إن جميع معاني الكلمة في القرآن الكريم مطلوبة لتوسيع دائرة التأمل

فاتضح من ضابط التخييل بتقدير «مثل»، ومن هنا نرى أن الآية الكريمة «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى:١١، أفادت أن حصول التخييل يجب أن يصحبه نفي المماثلة، وبذلك نفهم سبب ورود «كمثله» ولم يرد: ليس كشبيه شيء، أو ليس كنظير شيء، لأن ضابط التخييل هو «مثل»، ومن هنا لم ينقل عن الصحابة رضوان الله عليهم الاختلاف بآيات الصفات لأنهم أكثر عمقاً باللغة العربية وفهماً لها من غيرهم والله أعلم بالصواب.

وقد استطاع الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى أن يتناول في كتابه «التصوير الفني في القرآن» جانب التخييل بالتصوير وأن يرقى إلى معنى عظيم، وذلك باستطاعته غرس فكرة التصوير القرآني للمعاني، وتقريبها من الأفهام، ليتناولها العقل بعد تصورها وتخيلها إلى معاني متعددة، وأفكار متجددة، وأن يحولها إلى واقع في الحياة.

ثم انتقل في «ظلال القرآن» إلى فكرة تصوير الواقع العملي في مكة والمدينة، ليعيش القارئ الجو الذي تنزلت فيه الآية القرآنية، والجو الدعوي الذي تعيشه الدعوة في صراعها مع المشركين المعاندين، والمنافقين الكاذبين.

والتخييل هو الفارق بين الإنسان والحيوان، فوجود عقل الإنسان وقدرته على التخيل والتخييل، والتصور والتصوير لما ليس موجوداً محسوساً، وهو الفارق الأساسي حتى بين العقول البشرية، وهذا ما عبَّر عنه القرآن بنعمة البيان التي منَّ الله بها على الإنسان: (الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان.) الرحمن:١ ـ ٤، فالنعمة والرحمة الكبرى هي الهداية، ثم الإيجاد، ثم البيان، ومن لم يتعلم البيان فقد فاته خير كثير، لأنه لم يدرك الرحمة الإلهية فيه.

والإنسان يمارس في حياته اليومية البيان في كل شيء، فإذا رسم أو نطق «جبل» فهمه منه الشخص المقابل ويتصوره في ذهنه، وإن لم يكن الجبل حاضراً موجوداً الآن أمام كليهما. فعن طريق البيان يتعامل الناس حياتهم اليومية، فمالنا لا نتعامل به مع القرآن وهو قمة البيان؟!، بل هو كلام صاحب واهب البيان الإنساني، أفليس جديراً الغوص في معاني القرآن وعدم إهمال أي معنى من معانيه أمر مهم وضروري؟!. وأن يحصل التفكير في تبيان تناسق وتناسب هذه المعاني مع الآيات القرآنية الأخرى، وبذلك يفتح باب قوله تعالى: (أفلا يتبدرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء:٨٢.

قال ابن كثير في تفسيره: «يقول تعالى آمراً لهم بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه، وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ومخبراً لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لأنه تنزيل من حكيم حميد فهو حق من حق، ولهذا قال تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ثم قال: (ولو كان من عند غير الله) أي لو كان مفتعلاً مختلقاً كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم لوجدوا فيه اختلافاً أي اضطراباً وتضاداً كثيراً أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله كما قال تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا: (آمنا به كل من عند ربنا) أي محكمة ومتشابهة حق فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا والذين في قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغووا ولهذا مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين.

قال الإمام أحمد ـ وأسنده عن عمرو بن عشيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ على باب من أبوابه فكر هنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجزة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم فخرج رسول الله ﷺ مغضباً حتى احمرَّ وجهه يرميهم بالتراب ويقول: «مهلاً يا قوم بهذا أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً إنما نزل يصدق بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه».

وهكذا رواه أيضاً عن أبي معاوية عن داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم

والناس يتكلمون في القدر فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال لهم: «ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم» قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله ﷺ ولم أشهده ما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده ورواه ابن ماجه من حديث داود بن أبي هن به نحوه.

وقال أحمد ـ وأسنده ـ عن عبدالله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً فإنا لجلوس إذ اختلف اثنان في آية فارتفعت أصواتهما فقال: «إنما هلكت الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب»، ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن زيد به» انتهى.

ويفتح باب قوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد:٢٤.

قال ابن كثير في تفسيره: «يقول تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهمه وناهياً عن الإعراض عنه فقال: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) أي بل على قلوب أقفالها فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه.

قال ابن جرير ـ وأسنده ـ عن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها فمازال الشباب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به» انتهى.

وذلك لأن القرآن كلام الله تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت:٤٢.

الا: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ق:٣٧. ■

الهوامش:

١ ـ روى الإمام مسلم عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود... الحديث» ورواه أحمد والدارمي.

٢ ـ انظر تفسير ابن كثير سورة الشعراء آية ١٩٥.

٣ ـ والحديث بتمامه قال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد حدثنا حسين بن علي الجعفي قال سمعت حمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في بالأحاديث، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين! ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: وقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إن قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة»، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: (إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به)، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن كم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم) خذها إليك يا أعور! قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال».

٤ ـ انظر إلى أدب هذا العالم، فهو لم يقطع، ولم يجزم، وإنما أحال إلى الدليل، والدليل في ما البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: «اقبلوا البشرى يا بني تميم» قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قبلنا جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»، ثم أتاني رجل فقال: يا عمران! أدرك ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وايم الله لو ددت أنها قد ذهبت ولم أقم» ورواه الترمذي وأحمد.

٥ ـ وتمام الحديث: أخرج البخاري عن عائشة قالت: جلس إحدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً:

قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية: زوجي لا أبثُّ خبره إني أخاف ألا أذره إن أذكره أذكر عجره وبجره.

قالت الثالث: زوجي العشنق إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة

قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عمّا عهد.

قالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب أشنف، وإن اضطجع التف، ولا يولجُ الكف ليعلم البث.

قالت السابعة: زوجي غياياء أو عياياء طباقاء، كل داء له داء شجك أو فلّك أو جمع كلاً لك.

قالت الثامنة: زوجي المسُّ مسُّ أرنب، والريحُ ريحُ زرنب.

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد.

قالت العاشرة: زوجي مالك وما ملك، مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر أيقنّ أنهنّ هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع وما أبو زرع! أناس من حُلي أذنيَّ، وملأ من شحم عضدي، وبجحني فبجحت إليَّ نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبّح، وأشرب فأتقنح:

أم أبي زرع فما أم أبي زرع! عكومها رداح وبيتها فساح.

ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع! مضجعة كمسلّ شطبة، ويشبعهُ ذراعُ بنتُ أبي زرع فما بنتُ أبي زرع! طوع أبيها وطوع أمها وملء كسائها وغيظ جارتها.

جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع! لا تبث حديثنا تبثيثاً، ولا تنقث ميرتنا تنقيثاً ولا تملأ بيتنا تعشيشاً.

قالت: خرج أبو زرع ولاأوطاب تمخض فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلاً سرياً، ركب شرياً، وأخذ خطياً، وأراح علي نعماً ثرياً، وأعطاني من كل رائحة زوجاً وقال: كلي أم زرع وميري أهلك.

قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع.

قالت عائشة: قال رسول الله [: «كنت لكِ كأبي زرع لأم زرع» رواه مسلم.

٦ ـ انظر الطراز: الصنف السابع، وانظر (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن) لابن أبي الإصبع المصري ص ٢١٤، إشراف محمد توفيق عويضة طبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

بقلم : حيدر قفه

الرأي العام وأثره في المجتمع

ثمة مقولات كثيرة تلوكها الألسنة، وتبرق بها وسائل الإعلام من كل حدب وصوب، ومن هذه المقولات مصطلحات من مثل «الرأي العام»، و«سلطان الرأي العام»، و«اتجاه الرأي العام»، و«قياس الرأي العام»، و«حسابات الرأي العام»، وما شابه.

كثر دوران هذا المصطلح على ألسنة وأقلام الكُتاب والمراقبين والمحللين وأهل الفكر عموماً، فماذا يعنون بالرأي العام؟ وما أهمية هذا الرأي العام؟ وهل عمل الإسلام على تكوين الرأي العام؟ وما ضوابطه في ذلك؟ وهل يفسد الرأي العام؟ وما موقف المسلم من الرأي العام؟... أسئلة كثيرة قد تجيب عليها مقالتنا هذه.

تعريف الرأي العام:

وفي رأينا المتواضع، أن الرأي العام هو: ما استقرَّ عند الأغلبية من قناعة تملي عليهم مشاعر ومواقف معينة تجاه أمر ما، وعندما نقول «الأغلبية» فهذا يعني أنّ هناك قلة من الناس ليست داخلة في هذه القناعة، ومن ثمّ لا تتصرف تصرف الأغلبية، وأغلب ما تكون هذه «القلة» من أهل الفكر وعلية القوم، أما الرأي العام فلحمته وسداه وجيشه اللجب فمن الطبقة المتوسطة، أو ما اصطلح على تسميته بالسواد الأعظم أو الدهماء، وعندما نقول «قناعة» فإنما نعني أنها حالة قابلة للتحول، وهي تفرق كثيراً عن «العقيدة» التي لا تتبدل ولا تتغير كالإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر... إلخ. العقائد الراسخة، والقناعة أيضاً غير التقاليد، التي هي مواضعات تواضع الناس عليها في بيئة ما، ثم توارثوها كابراً عن كابر.

فالقناعة العقلية بأمر ما، قابلة للتحول إذا اعتراها ما يبدلها، ومن ثم تتبعها المشاعر والمواقف تجاه الأمر ذاته، وطالما أنها قابلة للتحول، فهي يقيناً قابلة للإيجاد من عدم، أو قابلة للتأثير أو التطوير أو التخطيط ولذا قد نجد الرأي العام في إقليم تجاه قضية معينة يختلف - اختلافاً يبلغ حد التناقض - مع الرأي العام في إقليم آخر تجاه القضية نفسها، وأمامنا حرب الخليج وما أنتجته من تباين مواقف الرأي العام في أقاليم العالم العربي.

> **إذا استوت نفس المسلم على الجادة وأوت إلى ركن مكين من المقياس الصائب في التمييز بين الغث والسمين كان لا خوف عليه**

والرأي العام لايقتصر على السياسة، بل يتعدى ذلك إلى جوانب الحياة الأخرى كالطعام والشراب والسلوك وكل أمر له مساس بحياة الناس، فالرأي العام في البلاد العلمانية - أمريكا وأوروبا وروسيا وغيرها - لا يجد غضاضة في المخادنة، بينما الرأي العام في مناطق أخرى يرى أنها جريمة نكراء، والرأي العام في بلد يعتمد على مشروب القهوة «البن» اعتماداً كلياً في حياته، بحيث يتأثر به ارتفاعاً أو هبوطاً أو فقداناً كلياً أو ندرة مرحلية غير الرأي العام في بلد لا تشكل القهوة في حياته أهمية تذكر بينما الأهمية لغيره... وهكذا...

أهمية الرأي العام وأثره في السلوك

وللرأي العام أهمية لا يستهان بها في تحديد مسارات سلوك الناس، ذلك أن الإنسان مدني بطبعه، ويجب أن يعيش في مجتمع يُقدِّره ويحترمه، لذا يحرص على أن يتوافق مع مجتمعه ولا يختلف، ويفعل ما يرضي الناس وإن جار على ما يرضيه هو، وكثيراً ما يتنازل عن رأيه كلياً لرأي المجموع، أو يسلك سلوكاً يوافق المجتمع وإن كان لا يقره في داخله.

والرأي العام حاجز لمنع السلوك الخاطئ من الأفراد، خوف العار أو الآثار الاجتماعية المترتبة عليه أو على أسرته، لذا يتحسَّب لكل فعل أو سلوك قد يُعاب عليه مستقبلاً وفي هذا التحسب ما فيه من ضبط السلوك

ونهنهة الرغبات.

والرأي العام يعمل على تهيئة النفوس لقبول كل جديد، ومخالفة الرأي العام قد تؤدي إلى فتن وثورات، ولذا تحرص الحكومات على تهيئة الرأي العام قبل التجديد أو التطوير أو التغيير، فهي تسخر وسائل الإعلام من إذاعة وتلفاز وصحف ومجلات وخطب ومحاضرات وندوات لتسويق خطواتها قبل الإقدام على هذه الخطوات بمدة كافية، حتى إذا اطمأنت، مارست التغيير الذي تريد.

والرأي العام مسبار لاستكناه مقدرة اتجاه ما - سواء أكان حكومة أم هيئة أم جماعة - على توظيف قدراته التأثيرية في الإقناع، ومن ثم يكشف الفروق بين هذه الاتجاهات، فإذا قلنا إن الرأي العام الأمريكي مع اليهود مثلاً، تبين لنا قدرة اليهود على توظيف جهودهم في هذا المضمار، بينما كشف - الأمر ذاته - ضعف العرب والمسلمين في هذا الجانب.

والرأي العام ليس دائماً على صواب - لأنه قد يكون نتج عن تأثير قوى ضاغطة لها سلطان ونفوذ - كذلك لا يكون دائماً صالحاً، فقد يكون الرأي العام فاضلاً، وقد يكون فاسداً «كالإقرار بالفاحشة» مثلاً.

كيف عمل الإسلام على تكوين الرأي العام الفاضل؟

وقد اعتمد الإسلام في تكوين الرأي العام الفاضل في مجتمعه، على أسس ثلاثة رئيسة هي:

أولاً: العبادة، من صلاة وصيام وزكاة وحج... لتقوية الضمير المتصل بخالقه، الرقيب عليه في السر والعلن، ولو لم يكن هناك رقيب ظاهر من البشر، ولذا ينطلق المسلم من عقيدة راسخة بأن الله مطلع عليه في كل أفعاله وأحواله، وتذكّره بها عباداته المتنوعة المنضبطة الإيقاع في أزمان وأوقات محددة.

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو ركن عظيم من أركان الإسلام، لخلق البيئة الصالحة التي يأتلف معها المسلم، ويتعايش فيها العابد، أما عبادة من دون بيئة تعين فقلما تثمر، بل العابد - والحالة هذه - يتعرض لضغوط كثيرة وجواذب شتى تصرفه عن عبادته.

ثالثاً: تقوية خُلق الحياء لأن من يتملكه الحياء لا يقدر على فعل ما يُعاب وإن نازعته في ذلك نفسه الجهول، ولا يُقصر في مطلوب منه ممدوح وإن استمالته للتقصير صوارف آنية ضاغطة، ولذا قال رسول الله ﷺ «الحياء لا يأتي إلا بخير»(١).

ضوابط صلاح الرأي العام

قلنا إن الرأي العام منه ما هو فاسد، وما هو صالح، والمطلوب شرعاً وعقلاً واجتماعياً تقوية الرأي العام الصالح - إن وجد أو إيجاده إن لم يكن موجوداً - ورفض الرأي العام الفاسد، ومقاومة استقراره إن بدرت بوادره، لكن، ما الذي يحكم هذه العملية؟ ومن الذي يقرر إن كان هذا الأمر فاسداً أو صالحاً؟ القضية تحتاج إلى ضوابط. والضوابط عندي أربعة:

١ - الاهتداء بالقرآن الكريم، لأن الله خالق البشر ومدبر الكون والعالم بصلاح أحوال خلقه يقول عن القرآن الكريم: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) الإسراء:٩، ويقول لأناس أعوجت مسالكهم: (قل «الله آذن لكم أم على الله تفترون) يونس:٥٩.

٢ - الاهتداء بالسنة النبوية المطهرة، لأن الرسول ﷺ مأمور من الله، وهو الحريص على هذه الأمة، ومن شأن الحريص ألا يدل إلا على ما فيه صلاح من يرعى، والإيمان لا يكتمل إلا بطاعته والسير في ركابه، قال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر:٧.

وقال: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) التوبة:١٢٨.

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»(٢).

٣ - الاهتداء بإجماع الأمة، والمعنيّ بالأمة هنا أهل العلم والصلاح، لا الدهماء من الناس، ولا أهل البدع والأهواء وإن نالوا أعلى الشهادات، وتسنموا أرفع المناصب، فإن صلاح أهل العلم عاصم من الانحراف وقد قال ﷺ: «إن الله لا يجمع أمتي - أو قال: أمة محمد - على ضلالة»(٣).

٤ - موافقة العقل - المسترشد بما سبق من ضوابط - فالعقل الذي لا تكون مرجعيته الثلاث السابقات عقل يضل، فالعقل السليم وما ينتج عنه لا يختلف مع القرآن والسنة، قال تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) يوسف:١٠٩، وهي دعوة لاستخدام الحواس والعقل في الوصول إلى الحق، وقال تعالى أيضاً: (وقالوا: لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) الملك:١٠.

هذه عندي ضوابط الحكم على الرأي العام إن كان صالحاً أو فاسداً.

إفساد الرأي العام

ويفسد الرأي العام نتيجة عوامل معينة تؤثر فيه، فيصبح الناس وقد فسد تصورهم وتقديرهم للأمور، فيرون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وتموت المروءات وتتبلد الحواس، فيرضى الناس بما كان لا يسلك لهم في خيط من قبل، وربما رأوه غاية المُنى، ومن المؤثرات التي تفسد الرأي العام ما يلي:

القناعة العقلية بأمر ما قابلة للتحول إذا اعتراها ما يبدلها

أ ـ نشر خبر الجريمة دون نشر عقوبتها معها، وذلك أن نشر خبر الشر، وجعله يظهر على السطح، والناس تتحدث عنه، ثم تنزل العقوبة بفاعله بعد زمن طويل، يكون الناس عندها قد خرجوا من حالة الشعور المؤلم الرافض للشر، وهذا يؤدي إلى التآلف معه، وبالتالي يغري الناس بالتساهل، ومن ثمَّ يُجرِّئ ضعاف النفوس على التقليد، وكثيراً ما سمعنا بأن جريمة ارتكبت نتيجة لجريمة سابقة، ولذا حذر النبي ﷺ من إعلان الجريمة أو المجاهرة بالانحراف، واستعلان المعصية، قال ﷺ : «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره ربه فيقول: يا فلان، قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيبيتُ يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»(٤)، وقال ﷺ ايضاً: «يا أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله.. من أصاب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله، فإنه من يُبد لنا صفحته، نقم عليه كتاب الله»(٥).

ب ـ ترك المنكر يستشري حتى يألفه الناس، فيمسي لا يُحرك فيهم نائمة رفض ومن ذلك الإعلانات العارية والفاضحة للراقصات، الموضات الجديدة في لبس الناس وما تكشف من عورات، ودعوات الاختلاط في المناسبات تحت ذريعة التقدم أو التحضر.

ج ـ انتشار الأكاذيب والتهاويل، والاستطالة في سرد الأخبار والحوادث والقصص بإضافة زيادات لم تكن فيها، حباً في جذب جمهور القراء أو السامعين أو المشاهدين باسم الحرية الصحفية أو الإعلامية، تحت مظلة الديمقراطية، فتعمل هذه المسالك على دغدغة مشاعر الأغرار، ومن ثمَّ استدراجهم لتتبعها وانتظارها.

موقف المسلم من الرأي العام:

لقد هيأ الإسلام المسلم ليكون واعياً فطناً، فحصنه ضد بهرجة الكثرة ووقر في حسه أن الكثرة لا تكون دائماً على صواب، وإنما مقياس الصواب الصحة في ذاته لا الكثرة الملتفين حوله، وقد نزلت آيات كثيرة تصب في هذا المجرى، منها قوله تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) يوسف:١٠٦، ومنها (... وإن كثيراً من الناس لفاسقون) المائدة:٤٩، ومنها (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) البقرة:٢٤٣، (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يوسف:٢١، وآيات كثيرة مبثوثة في سور المصحف، حتى إذا تهيأت نفس المسلم وتيقَّنت أن الصحة لا تكون حكماً لازماً مع الكثرة، ولا الخير ولا العلم ولا الصواب في صفها ضربة لازب، ألقى إليه بالحكم الفصل في توجيه رباني لنبيه ﷺ الذي هو أسوة المسلم وقدوته، والخطاب إليه خطاب للمسلم في أي زمان وأي مكان فقال تعالى: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) الأنعام:١١٦.

الرأي العام ليس دائماً على صواب لأنه قد يكون نتج عن تأثير قوى ضاغطة لها سلطان ونفوذ

فالقضية إذن تمييز بين حق وباطل، لا انبهار بكثرة كاثرة، فقد تكون الكثرة خبيثة، فلا خير فيها عندئذ، والخير كل الخير مع القلة الصافية: (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) المائدة:١٠٠.

فإذا استوت نفس المسلم على الجادة، وآوت إلى ركن مكين من المقياس الصائب في التمييز بين الغث والسمين، كان لا خوف عليه، وعليه أن يصطفَّ مع الرأي العام الصالح، ويرفض الرأي العام الفاسد، ومقياس الصلاح ما قدمنا آنفاً «القرآن، والسنة، والإجماع، والعقل»، وتأتي النصوص تترى لتثبيت المسلم المؤمن في مواجهة معمعان الحيرة، وضبابية الرؤية، وضغوط الباطل، وبهرجة الزائف، فيقول تعالى: (فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) المائدة:٤٤، (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) الروم:٦٠، ثم يأتي التوجيه النبوي المباشر الذي لا يحتمل تأويلاً ولا تخريجاً: «لايكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت، بل وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم»(٥)، وبذا تتحدد شخصية المسلم المستقلة المتميزة الواضحة الرؤية، السليمة النهج، ولا عليه من صيحات العوام، أو هيشات الطغام ـ من أنَّ الانفراد بالرأي خروج على إجماع الجماعة ـ فقد قال ابن مسعود ﷺ : «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك. ■

الهوامش:

١ ـ متفق عليه من رواية عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ وفي رواية لمسلم «الحياء خيرٌ كله» انظر رياض الصالحين، كتاب الأدب، باب الحياة وفضله ص ٢٩٠.

٢ ـ قال النووي في أربعينه: هذا حديث صحيح، انظر المشكاة ج١ ص ٥٩ رقم ١٦٧.

٣ ـ حديث صحيح، انظر مشكاة المصابيح ج١ ص ٦١ رقم ١٧٣.

٤ ـ رواه مسلم، صحيح مسلم ج٤ ص ٢٢٩١ رقم ٥٣

٥ ـ رواه الإمام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم، نقلاً عن فقه السنة لسيد سابق ج٢ ص ٣٦٤.

٦ ـ هكذا أحفظه منذ كنت على مقاعد الدرس صغيراً، وما وجدته في سنن الترمذي من حديث حذيفة ﷺ ـ قال رسول الله ﷺ : «لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا» وقال الترمذي: هذا حديث غريب (٣/٢٤٦ رقم ٢٠٧٥) وفي صحيح البخاري من قول عثمان ﷺ : الصفوة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم» ج١ ص ١٧٨ باب إمامة المفتون.

حاوره : أحمد محمد عبدالعظيم

المفكر الإسلامي د . عبدالحليم عويس لـ : الوعي الإسلامي

الإسلام حسم الخصومة المصطنعة بين الدين والعقل

في ظل الواقع المؤلم الذي تعيش الأمة الإسلامية تحت إنقاضه وتتلظى بنيرانه وفي هذا الجو المشحون بالدسائس والمكائد والتربص إلى جانب السباق المحموم للإجهاز على المسلمين والقضاء على مواريث الإسلام ومقدساته.. وسط هذا كله من المكر والخيانات والتنازلات.. فإذا بخيط رفيع من النور يتدلى ليضيء الطريق نحو الخلاص والخروج من دائرة الأزمة وإذا بجيل الصحوة الإسلامية الواعد الذي ينتشر الآن من الخليج إلى المحيط ومن جزر الفلبين شمالاً إلى سواحل الهادي جنوباً.. هذا الجيل الذي تتعلق عليه آمال الأمة العظام ليستعيد شباب الإسلام ومجده وعنفوان حضارته، وفي هذا اللقاء مع أحد رموز الصحوة الإسلامية المفكر الإسلامي الدكتور عبدالحليم عويس الأستاذ بجامعة الزقازيق وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ... التقينا به لاستلهام رؤاه حول الصحوة الإسلامية ما لها وما عليها.. وحول القضايا الإسلامية الشائكة وكيفية البحث للخروج من مأزق التبعية والاستدانة الفكرية.. وهذا هو نص الحوار:

● د. عبدالحليم عويس

● هناك معركة مفتعلة في الآونة الأخيرة يروج لها العلمانيون والشيوعيون وهي قضية «العقل والنقل».. ترى ما مدلول هذه المعركة وأبعادها؟

- نعم... في الإسلام يستحيل تعارض النقل والعقل... فليس كما يزعم البعض أن العقل أولاً ويزعم آخرون أن العقل ثانياً... فليس في القضية أولاً ولا ثانياً... فالعقل الرشيد ابن شرعي للوحي الصحيح... ومن أبرز مهام الوحي تكوين العقل بعيداً من التقليد والتعصب والجزئية والعمى والجمود واستلاب الغرائز والضلال وتحكم الهوى والأثرة والعنصرية والتحيز والجهل وغيرها من صور الضغط والتوجيه التي تمنع العقل أن يرى الصورة كلها وأن يضع الأمور في نصابها وأن ينتهي إلى الحكمة الراشدة والرأي الدقيق المحيط السديد.

ولو أن الصحابة رضي الله عنهم انشغلوا بهذه المسائل مثلنا لتاكلوا داخلياً، ولما جيشوا الجيش وفتحوا الفتوحات ونشروا دين الله في الآفاق.

إن البناء الإسلامي منذ قام وهو يتكئ على تشابك خيوط الوحي والعقل معاً فإذا كان الأساس وحياً، فإن طبيعة الوحي لم تكن من مواد مناقضة للعقل أو عسيرة الاستيعاب بالنسبة له وليس في القرآن الكريم ولا في

تطبيق الشريعة بشكلها الواعي يضع قطار المسلمين فوق القضبان الصحيحة

سنة الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة ما يتناقض مع العقل الصحيح.

وفي ضوء هذا نقول: إن علاقة الوحي بالعقل لم تكن مطروحة في عصر الرسالة أصلاً لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أصحاب عقول صافية نقية لم يكتشفوا تناقضاً بين حقائق الإسلام والفطرة والعقل والمبادئ البسيطة التي تعارف عليها الوعي الإنساني وقد كان الصحابة مشغولين بتغيير أنفسهم وتغيير العالم ولم يكونوا مشغولين بفلسفة الأشياء وفلسفة العالم وإغراق أنفسهم في متاهات جدلية شبيهة بمتاهات عصور السفسطة الجدلية.

إن بعض ما كان علماً في السابق في مجال الطب أو الجغرافيا أو الفلك قد أصبح خرافة مضحكة في عصرنا الحديث، وبعض ما هو موجود في عصرنا مثل الفاكسميلي والطائرة والكمبيوتر والهاتف كان خرافة غير معقولة في الماضي.

لكن الإسلام واجه البشرية منذ البداية بالإمكانية العقلية الكاملة للإبداع وكان حادث الإسراء والمعراج بداية تأكيد هذا الأساس وبالتالي فلم يظهر في عصور القوة الإسلامية ذلك التعارض الوهمي بين ما هو وحي وما هو عقل، ولم يطرح استفهام حول أسبقية الوحي أو العقل ومع أن الوحي كان السابق بيقين منذ علم الله آدم الأسماء كلها إلا أنه في الإسلام بخاصة لم يعقل تعارض الوحي مع العقل أبداً.

وقد حسم الإسلام الخصومة المصطنعة بين الدين والعقل وحرر الإنسان من أزمة الصدام بين الدين والعلم ولهذا فليس الإسلام في حاجة إلى العلمانية لأن الأسباب التي أدت إلى العلمانية في أوروبا لا مكان لها في الإسلام والزعم الشائع في تاريخ الفكر الإنساني بأن هناك صراعاً مستمراً وتناقضاً أبدياً بين الدين والعقل أو بين الدين والعلم لا ينطبق بحال من الأحوال على الدين الإسلامي فكلاهما - الدين والعقل - يشكلان في الإسلام وحدة واحدة تتشابك أنسجتها تشابكاً محكماً.

الإسلام جوهره

● ما تفسيركم لتلك النداءات التي تحارب تطبيق الشريعة الإسلامية في مختلف بلدان العالم الإسلامي على وجه الخصوص؟

- اتفقنا على أن هناك صحوة إسلامية... إذن كيف تعتبر إسلامية إذا لم يكن جوهرها شريعة إسلامية... ومهما التزمنا نحن المؤمنين بهذا الدين العظيم بالتسامح وبالدعوة الحكيمة وبإقامة الجسور بيننا وبين كل الناس، فإننا لا نستطيع أن ننكر أو نخفي أننا نرنو ونسعى لتطبيق شريعة الله... إنها حلمنا وهدفنا من كل كتاباتنا ونشاطاتنا.

والذين يتخيلون «صحوة إسلامية» لا تسعى لتطبيق الشريعة إنما يخدعون أنفسهم وأمتهم... فليس هناك «أمة إسلامية» من دون شريعة إسلامية أنها في هذه الحال أمة من الورق!!

إن تطبيق الشريعة سوف يضع قطار

د . عبدالحليم عويس

أكبر انحراف في العملية التربوية هو الذهاب إلى استيراد المناهج الغربية والنظريات الوضعية

المسلمين فوق القضبان الصحيحة ليتجهوا الوجهة الصحيحة في التاريخ، وسوف يقدمون النموذج الإنساني والأخلاقي للحياة، ذلك الذي تبحث عنه - لاهثة - إنسانية اليوم التائهة.

فالشيء الطبيعي أن يحارب أعداء الإسلام تطبيق الشريعة وصياغة الحياة وفق مبادئها.

وفي رأيي - أن الذين يقاومون تطبيق الشريعة لا يمكن أن يكونوا مسلمين إذا كانوا واعين بما يفعلون، فهم بسلوكهم هذا يلغون خمسمائة آية قرآنية صريحة الدلالة أنه نوع من الكفر وإلا فبماذا نسمي إلغاء خمسمائة آية على أقل تقدير.

ويجب علينا أن نعلم أن الدعوة إلى تطبيق الشريعة مع الصحوة الإسلامية لم تتواكب عبثاً أو مصادفة، فالذي يعي المستوى الأخلاقي الذي انحدرت إليه الأمة الإسلامية سوف يدرك كم كان ضرورياً لدى كل المخلصين أن تكون المطالبة بتطبيق الشريعة لعلاج الانحدار الأخلاقي عملاً من أوجب الضرورات.

وبعد أن أفلست - في عصرنا الحديث - كل النظريات المستوردة والقوانين الوضعية، وأصبح المسلمون، بل البشرية كلها على شفا جرف هار، وانتشرت في ظل غيبة شريعة الله كل الموبقات من القتل والاغتصاب والسرقات والرشوة وتجارة المخدرات والربا والخمور... إلخ، أفلا يحق للمسلمين في كل قطر إسلامي العمل على تطبيق الشريعة بعد أن أفلست أمامهم النظريات الوافدة وبعد أن منوا بكل الهزائم في ظلال القوانين الوضعية التي يسهل كل السهولة النفاذ من ثغراتها لتقحيق كل الجرائم وحماية كل المجرمين!

أجل... إن الأمة الإسلامية في عصر الصحوة تنادي من أعماقها وتستصرخ ولاة أمورها ومفكريها المخلصين تناديهم أن يقودوها في رحلة العودة إلى تطبيق الشريعة وأن يكونوا مخلصين في تحقيق هذا المطلب المصيري مهما واجهتهم الضغوط الصليبية أو الصهيونية أو الشيوعية أو عملاء هذه التحديات.

● وماذا عن رأيكم نحو موقف الذين يرون إرجاء أو تأخير قضية تطبيق الشريعة الإسلامية واعتبار أنها ليست من أولويات العمل الإسلامي؟!

- إنه شيء أشبه بالخيال أن يجد المسلمون وهم يقاومون الغزو الثقافي الأوروبي أن هناك بعض جماعات ينضمون إلى صفوف الأعداء... فتارة يحاربون الشريعة بحجة أن الإسلام عقيدة شخصية وأنه لا نظام فيه!

وتارة يقولون بضرورة «التطور» بدون ثوابت! أو يقولون بأن الإسلام مجرد كليات أقرب إلى المواعظ الأخلاقية أو يشككون في

الأحاديث وقيمتها، أو يقولون بأن العصر يوجب قصر هذه الأحكام على عصر السلف... وهذه تهدف إلى إلغاء الشريعة وتحويل الإسلام إلى عقيدة ميتة كالعقائد المنتشرة في الأرض... مع كل ذلك فالواقع يشهد أن الشريعة الإسلامية وقفت - كما يراها أبناؤها وخصومها - شامخة قادرة على استيعاب كل مشكلات العصر.. متجاوزة كل مراحل التشكيك والأرجاء، والتعطيل التي يتعلل بها خصومها من الخارج والداخل.

ومن هنا بدأ أعداء الشريعة يغيرون مواقعهم وقسموا صفوفهم قسمين، قسم يحارب تطبيق الشريعة بوضوح شديد ما دام تطبيق الشريعة قد أصبح مطروحاً طرحاً علمياً، بل بدأ تطبيقه فعلاً في بعض البلدان وهؤلاء معروفون سواء كانوا من القوى

د . عبدالحليم عويس

الإسلام حرر الإنسان من أزمة الصدام بين الدين والعلم

الخارجية المعادية للإسلام ديناً وحضارة صليبيين كانوا أو يهوداً، أو وثنيين أو شيوعيين ظاهرين أو مستترين أم من عملاء هذه القوى الذين حاولوا إخفاء هويتهم لكن الأمة كشفتهم.

وقسم آخر يحارب تطبيق الشريعة بنفاق شديد... وهذا الصنف هو الميكروب المؤذي الذي يدخل إلى الأحشاء ويحاول أن يغزو العقول بمغالطاته المفضوحة وبجرأته العمياء على دين الله وقوله فيه بالهوى، ويكاد هذا الصنف أن ينسخ شريعة الله وأن يهدم قواعدها قاعدة قاعدة وهو مع عدم تخصصه ومع انقطاع صلته بالشريعة يمنح نفسه حق القول فيها أكثر مما يسمح للعملاء والمتخصصين الذين اتصلت كل حلقات حياتهم بالشريعة، فهو وحده المجدد والفقيه والعصري.

والمهم أن هذين القسمين تصديا لتطبيق الشريعة وكانا السبب المباشر في إيقاظ الوعي العام لدى المطالبين بتطبيق الشريعة، من واقع الشعور بالغيرة والمسؤولية.

ليس مفروشاً بالورد

● ترى إذن ما الطريق لتطبيق الشريعة الإسلامية وسط هذا الخضم من الآراء والمقترحات والجهود المبذولة؟

- لا ينكر أحد من المفكرين المسلمين أن الطريق لتطبيق الشريعة ليس مفروشاً بالورد فإن القوى الخارجية تتربص بالمسلمين وتحول بينهم وبين شريعتهم بكل الطرق، كما أن الغزو الفكري الثقافي قد أوجد طبقة مسلمة «عازلة» تقاوم عودة الأمة إلى دينها، بالإضافة إلى كثير من الاتجاهات الفاسدة التي تراكمت كالاقتصاد الربوي والإعلام الهابط وهي تحتاج إلى جهود متدرجة في تغيير مجراها... ومن هنا فالفكر الإسلامي الحديث يمنع من عمليات التمهيد، والتدرج في كثير من القضايا التي تحتاج لهذا التدرج ... لكن مع ذلك لا نملك إلا أن نقول: إن هناك مغالطات لابد من فضحها في موضوع تطبيق الشريعة الإسلامية، فبعض الدول تزعم أنها في طريقها للتطبيق منذ سنوات طويلة وقد شكلت لذلك لجاناً استغرقت سنوات طويلة لتطوير القانون البحري حتى يوافق الشريعة... أما القانون البري الذي يعيشه كل الناس في كل يوم فات يأخذ الدرجة الثانية.

إننا لا نمانع في التمهيد لتطبيق الشريعة لكن هذا التمهيد لا يكون بالإعلانات المتكررة عن لجان التقنين ولكن التمهيد يكون:

بتنقية التلفاز من الأفلام المخلة والصحافة من الحرب على تطبيق الشريعة قولاً أو فعلاً والمذياع من الأغاني الماجنة، بتنقية المناهج الدراسية في المدارس والجامعات من كل ما يخالف الشريعة والإسلام كله، بتوفير العمل الشريف لكل المنحرفين حتى لا يتاجروا بأنفسهم حتى لا تكون لهم حجة في التطبيق.

بتنقية الاقتصاد والمؤسسات التجارية والمالية من الفائدة وكل صور الربا والاحتكار والفساد - وهذا أمر ميسور جداً بعد نجاح تجربة البنوك الإسلامية وشركات المال والتأمين الإسلامية.

بتطبيق مبدأ الشورى في كل المؤسسات والأجهزة صغيرها أو كبيرها... هذه الحلول المستقيمة النافعة.

انحراف العملية التربوية

● ما تفسيركم لمحاولات التغريب التي اكتسحت العالم العربي والإسلامي على السواء... خاصة في العمليات التربوية والتعليمية والتثقيفية؟

- إن العملية التربوية لابد أن تكون ذات صلة بالبيئة، بتحديات البيئة وبمستوى البيئة ولا بد أن تكون ذات هدف بالنسبة لمواصفات البيئة وعاداتها... وإلا فإنها ستكون كقصيدة شعر إنجليزي تلقى على مسامع من لا يعرفون كلمة في الإنجليزية ويبدو أكبر انحراف في العملية التربوية هو الذهاب - دون وعي - إلى استيراد مناهج للتربية قد لا تكون صالحة للتربة وللأرض التي يراد غرس بذور التربية فيها... ومظاهر هذا الانهيار كثيرة جداً في العملية التربوية، ولم يستطع المجتمع العربي أن يرسو على حال صحيح كما أنه لم يهدأ لحظة واحدة من الصراع الذي ينهك قواه ويشل حركته.

وبما أن المناهج المستوردة والعمليات التغريبية، والمحاولات التعليمية التي لم تراع ظروف التراث والتطور التاريخي والوضعيات الاجتماعية والفكرية... كلها لم تنجح ولا يمكن أن تنجح في زرع الفكرة التغريبية الدخيلة، مكان النبض القلبي الأصيل فإن الشك والقلق والضياع كان هو الحصاد لوضعية من هذا النوع.

وكما لم يلتئم العرب تربوياً وفكرياً... فإنهم لم يلتئموا عسكرياً وسياسياً وعقائدياً!!

ووسط هذا التيه والحيرة والضياع.. توالت على العرب نكبات من كل جانب، ووجد أعداؤهم الحضاريون الفرص سانحة لزرع كل بذور الشقاق بينهم وتحويلهم إلى أمم بعد أن كانوا أمة، وإلى عقائد بعد أن كانوا عقيدة وإلى عناصر متصارعة بعد أن كانوا يخضعون لراية واحدة!!. ■

بقلم : د. محمد السيد بلاسي

منذ أن نشأت العلمانية وهي تحاول أن تضرب بجذورها في التربة العربية والإسلامية، مستخدمة في ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

وقصة العلمانية في بلادنا هي في الحقيقة صراع بين بلادنا المسلمة والاستعمار كآخر حلقة من حلقات التحدي الوثني الأوروبي المتسربل بقشرة مسيحية مزورة!(١).

العلمانية...

خطر على الأمة الإسلامية

فما هي العلمانية؟

يقرر المرحوم الدكتور محمد البهي: أن العلمانية منسوبة - على غير قياس - إلى العالم أو العالمية.

ويراد بالعلمانية فكرة إيثار «الفهم» المادي للعالم، وسلوك «الاتجاه الدنيوي» في تصريف شؤون البشر، وسن القوانين لتنظيم حياة الإنسان على هذه الأرض.(٢)

والعلمانية بالإنجليزية SECULARISM وترجمتها الصحيحة: اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات: اللادينية في الحكم.

وينبغي أن نعلم أنه اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم SCIENCE والمذهب العلمي SCIENTISM(٣).

أفكار العلمانيين وأهدافهم (٤)

١ - العداء المطلق للكنيسة أولاً، وللدين ثانياً أياً كان، سواء وقف إلى جانب العلم أم عاداه.

٢ - إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية.

٣ - فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي.

٤ - الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب.

٥ - تطبيق مبدأ النفعية «البراكماتيزم» على كل شيء في الحياة.

٦ - اعتماد مبدأ «الميكيافيلية» في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق.

٧ - نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية.

العلمانية بدأت في أوروبا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية

عقيدة العلمانيين (٥)

١ - بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً!.

٢ - وبعضهم يؤمنون بوجود الله، لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله وبين حياة الإنسان.

٣ - إنكار الآخرة وعدم العمل لها واليقين بأن الحياة الدنيا هي المجال الوحيد للمتع واللذات.

أهداف العلمانيين نحو الإسلام (٦)

أما معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي التي انتشرت بفعل الاستعمار والتبشير فهي:

١ - الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.

٢ - الزعم بأن الإسلام استنفد أغراضه وهي عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

٣ - الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني.

٤ ـ الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف.

٥ ـ الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

٦ ـ تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي والزعم بأنها حركات إصلاح.

٧ ـ إحياء الحضارات القديمة.

٨ ـ اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها.

٩ ـ تربية الأجيال تربية لا دينية.

نشأة العلمانية

من المشهور أن العلمانية بدأت في أوروبا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، وقد عمت أوروبا في القرن التاسع عشر وانتقلت لتشمل معظم دول العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار والتبشير.(٧)

ويرجع المؤرخون السبب الحقيقي من وراء نشأة هذه الدعوة الخبيثة إلى أنه كان ردّ فعل لتحكم الكنيسة المسيحية في أوروبا في شؤون الناس طوال القرون الوسطى وانحرافها عن النهج القويم، وممارساتها الظالمة للرعية، ووقوفها في وجه البحث العلمي وتطوره، وتكريسها تقسيم المجتمع إلى طبقات ثلاث هي:

أ ـ طبقة الإكليروس: وهم كهنة الكنيسة والقساوسة والرهبان، وعلى رأسهم «البابا» الذي كان بمثابة ملك ملوك أوروبا، ولهذه الطبقة قداسة مستمدة من قداسة الكنيسة، ولا يجوز معارضة قراراتها مهما كانت مجحفة.

ب ـ طبقة النبلاء والأشراف: وهم أصحاب الإقطاعيات الكبيرة، وعلى رأسهم الملك أو الأمير الحاكم، ولها من الرعية الطاعة العمياء ما دامت متمتعة برضا الكنيسة، ولهذا الرضا ثمنه المقرر من تبادل التأييد، واقتسام المغانم على حساب الشعب الخاضع.

ج ـ طبقة العامة: والذين هم غالبية الشعب من زراع وصناع وصغار تجار، وعليها كل الواجبات من قيام بالأعمال المختلفة، ودفع للضرائب الباهظة وخدمة للسادة، ولا حقوق

العلمانية بكل مدارسها وتياراتها ورموزها مشبوهة الارتباطات مشبوهة الأهداف

لها تذكر في واقع الأمر.(٨)

ونجح الاتجاه العلماني في بسط سيطرته على الدولة في أوروبا، وبخاصة الدولة الفرنسية، حيث كان من نتيجة الصراع بين الكنيسة من جهة، وبين الحركة الجديدة من جهة ـ ولادة الحكومة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب، وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم.(٩)

كما نجح الاتجاه العلماني في إبعاد الكنيسة الممثلة للدين المسيحي عن شؤون السياسة والحكم، وحصر نشاطها في داخل الكنائس، وفي دويلة رمزية بلا شعب ولا أرض هي دولة «الفاتيكان» على جزء صغير من مدينة «روما» بإيطاليا، من باب إرضاء الخاطر، وتذكاراً لماضٍ عتيد باد واندثر.(١٠)

وعلى الصعيد الإسلامي:

استطاع الاستعمار أن يطبق العلمانية ويفرضها فرضاً على معظم بلاد العالم الإسلامي بوسائل ضغط عديدة وبواسطة أنظمة وحكومات تابعة له، خاضعة لتوجيهاته، فطبقها تطبيقاً كاملاً في «تركيا»

معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي انتشرت بفعل الاستعمار والتبشير

المسلمة، مستغلاً ظروف هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، بعد أن كانت مقراً للخلافة الإسلامية، وطبقها تطبيقاً شبه كامل في أغلب البلاد الإسلامية الأخرى التي ابتليت به، ولمّا رحل الاستعمار عنها عسكرياً، بقيت هذه الأنظمة ذات الصبغة العلمانية «الكاملة أو الغالبة»، بقيت محتفظة بهذه الصبغة دون تغيير أو تبديل، بل كرستها ودافعت عنها، واعتبرت من يخرج عليها خارجاً على الدولة مناهضاً لها.(١١)

الرحلة التاريخية للعلمانية (١٢)

وأرى أن قصة العلمانية هي قصة الصراع بين الحضارة الوثنية الأوروبية أو آخر فصول هذا الصراع مع الحضارة الإسلامية، وهذا الصراع ممتد في التاريخ والجغرافيا وشهد الكثير من المراحل وأخذ الكثير من الملامح حسب الزمان والمكان.

وهذا الصراع بدا مبكراً جداً في حياة الرسول ﷺ ، الذي أدرك بفراسته، ونبوته أن هذا الصراع سيشكل المساحة الأكبر في تاريخ الإسلام، ووضع له الأسس الصحيحة وهي أن الهجوم خير وسائل الدفاع، وهكذا خاض المسلمون في حياة الرسول ـ ﷺ ـ الكثير من المعارك ضد الدولة البيزنطية وحلفائها، على اعتبار أن هذه الدولة تمثل في ذلك الوقت المواقع المتقدمة للحضارة الأوروبية الإغريقية والرومانية، واستمر الصراع بعد الرسول ـ ﷺ ـ والتاريخ يحدثنا عن نتائج تلك الصراعات والتي تمثلت في الفتوحات الإسلامية، تلك التي عمّت العالم.

ولكن عندما أحست أوروبا بالخطر الشديد، قررت تغيير التكتيك من الصدام العسكري مع المسلمين إلى الاختراق الثقافي والسياسي، ومن خلال هذا الاحتكاك المباشر والذي وصل إلى قلب أوروبا عن طريق الأندلس إلى جنوب فرنسا وسويسرا، وعن طريق العثمانيين إلى كل أوروبا الشرقية ومن خلال جزر البحر المتوسط كان من الممكن أن يعرف الأوروبيون حقيقة الإسلام فيدخلوا فيه، وقد حدث هذا بالفعل في أكثر من مكان أوروبي مثل ألبانيا والبوسنة والهرسك وكوسوفا وغيرها، وكان لابد لأوروبا من جهاز للدعاية لحماية رعاياهم من الأثر الإسلامي، ونشأ من هنا الاستشراق الذي كان في البدء محاولة لمعرفة الإسلام

بهدف تشويه صورته في عيون الأوروبيين، ومع حالة النوم والاسترخاء التي عاشها العالم الإسلامي طمعت أوروبا في ذلك الوقت فيما هو أكثر من ذلك بعد أخذها بأسباب العلم والقوة، فتحول جانب من الاستشراق إلى تجسس أوروبي مباشر وغير مباشر على الدول الإسلامية، لمعرفة نقاط الضعف والتجهيز لحملة صليبية جديدة، تحت اسم الاستعمار، وكذلك نشأ التبشير، ومن الاستعمار والتبشير والاستشراق بدأت الحملة الصليبية الجديدة التي انتهت بسقوط الخلافة العثمانية ووقوع معظم بلاد العالم الإسلامي في قبضة الاحتلال الأوروبي، وحدث تطور جديد في الاستشراق فكان لابد أن يمنع أي محاولة للنهضة في العالم الإسلامي وأي محاولة للمقاومة، وذلك بطمس معالم القوة في الثقافة الإسلامية وإحداث ما سمي بـ «التفريغ الثقافي»، وهذا التفريغ الثقافي يقوم على تشكيل مدرسة ثقافية محلية تتلمذ على يد مستشرقين، وتردد نفس رؤيتهم للإسلام واللغة العربية والآداب الإسلامية وغيرها، وهكذا وجدنا أنفسنا أمام تيارين أسوأ من بعضهما:

التيار الأول: هو هؤلاء الذين ينظرون إلى الثقافة الإسلامية والآداب واللغة، بل والدين بمنظور المستشرقين، وفضلاً عما في هذا الأمر من تآمر واضح فإنه أيضاً أمر غريب وعجيب لأنه من البدهي أنه مهما كان المستشرق قد وصل في تعلم اللغة العربية أو الآداب فإنه سيظل مجرد تلميذ في هذا الإطار ولا يمكن أن يتحول إلى أستاذ أو صاحب مدرسة لأنه نشأ وتعلم واكتسب ثقافته في أرضية ثقافية أخرى، وبدهي أن أحداً لن يفهم لغة أو ثقافة ما إلا إذا كان ابناً لهذه اللغة ولهذه الثقافة.

أما التيار الثاني: وهو الذي التقطته أوروبا وعلمته بحيث أصبح غربيّ التفكير والسلوك وحصل على العلوم وخاصة الاجتماعي منها من منظور أوروبي، فهذا سيأتي إلينا للتبشير بالقيم الأوروبية مباشرة، أي أننا أمام تيار كامل تقريباً أو تيار يفهم اللغة والآداب، بل والدين من منظور المستشرقين وهو منظور سطحي في أحسن الفروض أو مشبوه في أسوئها.

قصة العلمانية هي قصة الصراع بين الحضارة الوثنية الأوروبية والحضارة الإسلامية

من هؤلاء وأولئك نشأت العلمانية وهي محاولة للتفريغ الثقافي الذي يخدم مخططات الغرب أو محاولة لزرع القيم الثقافية الأوروبية فينا، وكل هذا جزء من مخطط واضح المعالم معروف الأهداف.

وقد فضح نابليون نفسه هذا الأمر في رسالته إلى كليبر الذي يقول فيها: «اجتهد في جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠ شخص من المماليك أو من العرب ومشايخ البلدان لنأخذهم إلى فرنسا فنحتجزهم فيها مدة سنة أو سنتين يشاهدون فيها عظمة الأمة الفرنسية ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا وعندما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب ينضم إليه غيرهم».

وهكذا وجدنا كل الدعوات العلمانية: من دعوة إلى القومية العربية لضرب الوحدة الإسلامية وتقطيع أواصر المسلمين.

أو دعوة إلى الفرعونية وغيرها من الدعوات المقيتة التي تستهدف استبعاد الإسلام، أو هؤلاء الداعين إلى الكتابة باللغة العامية نكاية في اللغة العربية وعزلاً لها، وبالتالي عزل القرآن الكريم عن الواقع حتى يضحى كل تراثنا طلاسم عن أبنائنا، يحتاج لمن يترجمه لهم، أو هؤلاء الذين يدرسون في الإسلام ما ليس فيه أو يهيلون التراب على قيمه الثابتة.

كلمة أخيرة

يجب أن نتيقن: أن العلمانية بكل مدارسها وتياراتها ورموزها مشبوهة الارتباطات، مشبوهة الأهداف(١٣)، وكلها تصب في النيل من الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم، وتحقيق أطماع الأوروبيين وضمان استبقاء نفوذهم في ديار المسلمين، ونهب ثرواتهم، والحيلولة بينهم وبين تحقيق الرقي والرخاء والحياة الآمنة الكريمة.(١٤)

ومن الواجب علينا أن نعلم: أن لليهود دوراً بارزاً في ترسيخ العلمانية، من أجل السيطرة، وذلك من أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض.(١٥)

حفظ الله أمتنا الإسلامية من شرور العلمانيين وأذنابهم، وأمن مقدساتنا من بغيهم، وجعل كيدهم في نحرهم، إنه سبحانه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير. ■

الهوامش:

١ ـ العلمانية ـ النشأة الخبيثة: محمد السيد عامر، ص ٦٤، (مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي العدد ٣٦٣ ـ ذو القعدة ١٤١٦هـ).

٢ ـ العلمانية... مفهومها ومنشؤها، ونقدها، وبيان موقف الإسلام منها: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي، ص٢ وهامشها، «بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر: العدد الخامس عشر، سنة ١٤١٥هـ).

٣ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، ص ٣٦٧، الطبعة الثانية ـ سنة ١٤٠٩هـ.

٤ ـ المرجع السابق: ص٣٧، ٣٧١.

٥ ـ انظر المرجع السابق: ص ٣٧٠، ٣٧١.

٦ ـ المرجع نفسه: ص ٣٧٠، ٣٧١.

٧ ـ المرجع نفسه: ص ٣٧١.

٨ ـ انظر العلمانية: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي: ص ٤، ٥.

٩ ـ راجع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص ٣٦٨.

١٠ ـ انظر: العلمانية: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي: ص٥.

١١ ـ المرجع السابق: ص ٦.

١٢ ـ العلمانية... النشأة الخبيثة: ص ٦٤، ٦٥.

١٣ ـ المرجع السابق: ص ٦٥.

١٤ ـ العلمانية: للدكتور محمد عبدالمنعم العربي: ص ١١.

١٥ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ص٣٧١.

دراسات تاريخية

بقلم : د. خالص جلبي

الانقلاب الكوني

كان عام ١٥٩٣م عام العجائب(١) ففيه حصل أعظم زلزال عقلي في التاريخ الحديث. مشكلا العالم الحالي الذي ننتسب إليه. حيث تم اختراق المستحيل، والمجهول، والمسلم به، فأصبح المستحيل ممكنا ومفيدا، والمجهول معروفا ونافعا، والمسلم به عائقا يجب تجاوزه والتحرر منه!!

ما الذي حصل في هذه الحقبة القصيرة ما بين العقد الثاني والخامس من القرن السادس عشر الميلادي؟؟.

لقد تم اختراق ثلاث فضاءات جديدة للمعرفة الإنسانية، قلبت التصور الإنساني السائد، ودفعت حركة التاريخ باتجاه جديدة، وكونت العالم الحديث، وباكورة النهضة الغربية.

إنها ثلاث رحلات: الأولى في الجغرافيا، والثانية في البايولوجيا في جسم الإنسان، والثالثة في الفلك.

في الوقت الذي كان فيه ماجلان في العشرين من سبتمبر أيلول من عام ١٥١٩م يشق فيه طريقه عبر «صحاري» المحيطات المائية اللانهائية، كانت هناك مغامرات أخرى من نوع مختلف لارتياد مجاهيل جديدة، في القبة السماوية فوق رؤوسنا، في الكون الكبير، وفي أبداننا التي نحملها كل يوم، في مستوى العالم الصغير.

وفي عام ١٥٤٣م، تم صدور كتابين يعتبر كل واحد منهما ثورة في اتجاهه، الأول هو كتاب كوبرنيكوس في «دورات الأجسام السماوية»، والثاني هو «تركيب الجسم البشري» للمشرح فيساليوس، وبذلك وضعت خرائط جديدة لسطح الأرض، والجسم الإنساني، والفلك.

في الوقت الذي كان فيه ماجلان يعبر بحر الظلمات «الاتلانتيك»، ثم يلتف حول أمريكا الجنوبية عند رأسها السفلي ليصل إلى المحيط الهادئ «الباسفيك»، ليصل بعدها إلى جزر الفلبين، ويثبت بذلك - وعملياً - كروية الأرض، ويرسم بذلك خريطة جديدة للكرة الأرضية، كانت خريطة السماء تتغير شيئاً فشيئاً لتتشكل كون جديد وعالم مستحدث على يد كوبرنيكوس، كما أن بدن الإنسان بدا وتحت مبضع المشرحين الجدد يتم الكشف فيه عن بديع خلق الله.

بهذه الاختراقات الثلاث تغيرت صورة العالم بشكل جذري، فلم تعد السماء تلك السماء التي نحدق النظر إليها، كما لم تعد الأرض تلك الأرض التي نطأها بأقدامنا، كما لم يعد الجسم ذلك الشكل البسيط الذي نظنه، بل أصبح أشبه بماكينة هائلة التعقيد (وهو ليس كذلك!!).

ولكن كيف حدث هذا ودفعة واحدة؟؟

كيف نمت روح المغامرة عند ماجلان فهداه تفكيره أن يصل للشرق بواسطة الإبحار غرباً؟؟ كيف تجرأ فيساليوس أن يضع جلد الإنسان تحت المبضع؟؟ ويطرح السؤال الحيوي عن مصير الدم الذي ينطلق من القلب، أين مصيره؟ وكيف يتسنى له الرجوع إلى القلب مرة أخرى؟ وليس هناك من اتصال بين الشرايين والأوردة؟

كيف استطاع كوبرنيكوس أن يخالف الكنيسة بكل ضغها الرهيب، وتعليماتها الوثوقية الدوغمائية، ليقول إن الأرض ليست بعد اليوم مركز الكون، بل هي تابع بسيط يدور حول الشمس من أصل تسع كواكب؟؟ ومنظر العين يقول إن الشمس هي التي تدور؟ بل وكيف يمكن التخلص من ضغط مسلّمات بطليموس التي أصبحت أغلالاً في أعناق الناس فهي إلى الأذقان فهم مقمحون!!

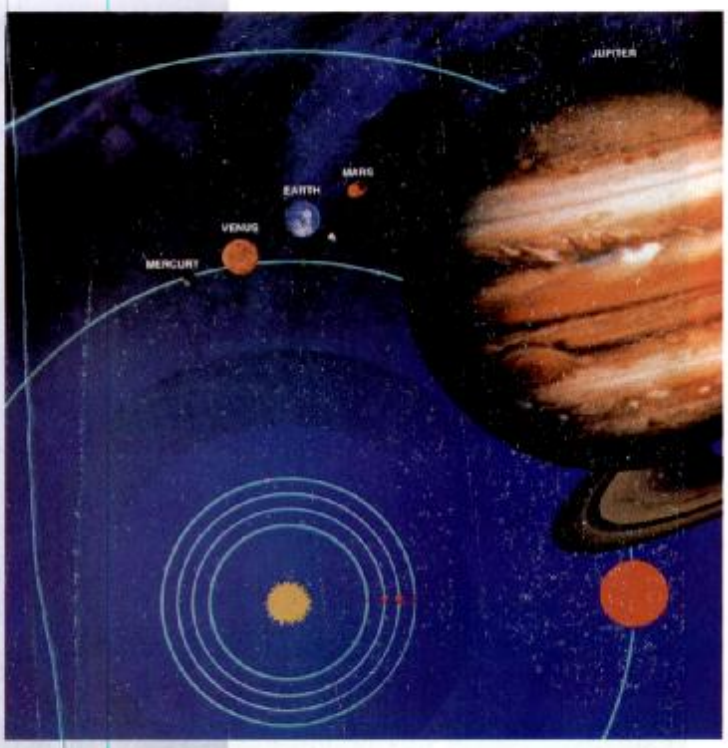

ذلك أن بطليموس كان يرى أن الأرض لو مشت ودارت حول محورها ولم تكن ثابتة لطارت الأشياء من فوقها!! أو إذا قذفت بشيء إلى السماء لم يعد إلى مكانه الذي انطلق منه، حيث غادره من تحته بحركته!!

هل الوصول إلى أرض «التوابل» هو الذي حرك ماجلان ليقوم بهذه الرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات، يقتل فيها ماجلان نفسه في جزيرة صغيرة في الفلبين، وليرجع من أصل ٢٦٥ بحاراً (١٨) فقط، ومن السفن الخمس سفينة واحدة هي «فيكتوريا» أصغر السفن حجماً، وأحقرها شأناً، وأضعفها تسليحاً وتموينا؟؟(٢).

ما الذي دفع كوبرنيكوس إلى هذا المركب الوعر ليقول بفكرة تُعتبر لإناس ذلك اليوم شيئاً إداً، وأمراً عظيماً منكراً؟؟

ما الذي حمل فيزاليوس على شطب آراء أرسطو وجالينوس وأبقراط في الطب، بل يقول إنه مصاب بالدهشة لاستنتاجات جالينوس التي توحي أنه لم يشرِّح جثث الآدميين مطلقاً؟؟(٣)، لماذا تحدث مثل هذه الانفجارات الاجتماعية، والزلازل العقلية، والتحولات النوعية في وقت قصير متقارب؟؟

وحتى يمكن تصور القفزة النوعية للفكر الجديد، من خلال سيطرة الفكر اليوناني السابق الذي بلغ من الشمول والسيطرة على العقول درجة أن أستاذ فيزاليوس نفسه اعتبر تفكيره وقحاً ومعتدياً على آراء القدامى، ومن أجل تطويق الفكر الجديد الذي يفقأ العين

جيوردانو برونو وتحت سحر «التأمل الإبراهيمي» للكون قال: إن الشمس لا تمثل شيئاً من هذا الكون الفسيح الممتد

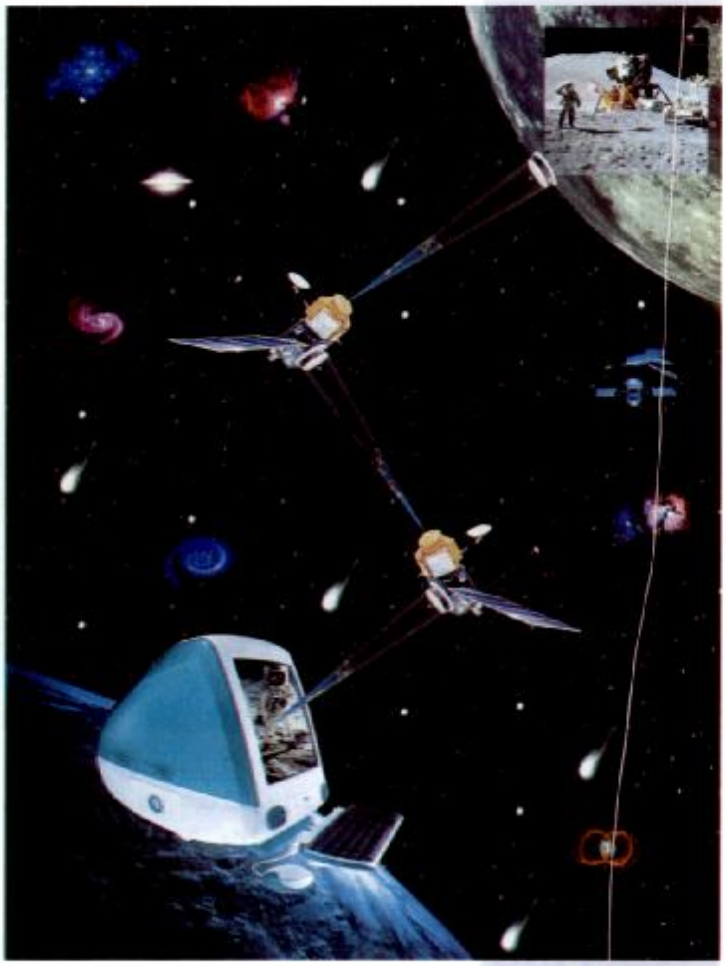

بحقائق الواقع، وللمحافظة على قدسية جاليليوس فقد اعتبروا أن جاليليوس لم يكن مخطئاً أبداً في التشريح، ولكن جسم الإنسان هو الذي اعتراه التغير(٤)؟؟

وحتى يمكن معرفة ضغط الفكر الذي كان سائداً في تلك الأوساط، فيكفي أن نعرف مصير جيوردانو برونو، الذي دُشن مطلع القرن السابع عشر بإحراقه حياً في ١٧ من فبراير من عام ١٦٠٠م، وكانت جريمته التي أحرق من أجلها بعد إذلال طويل ومعاناة نفسية مرعبة في سجون ومحاكم التفتيش في إيطاليا لمدة ثماني سنوات (١٥٩٣م - ١٦٠٠م) شيء نضحك له هذه الأيام، فقد اعتبر أن ما جاء به كوبرنيكوس محدوداً ناقصاً، واعتبر أن الشمس ليست مركز الكون كما تصور كوبرنيكوس، صحيح إنه وافق كوبرنيكوس أن الأرض تدور حول الشمس، وهي ما تعتبر لوحدها هرطقة تلك الأيام، ولكنه أضاف أن شمسنا ليست أكثر من كوكب من مجموعات لانهائية من الكواكب التي تشكل عوالم أخرى غير عالمنا، ففكرة العوالم الأخرى التي ثبت عندها ولم يتراجع كلفته الحرق حياً، ويبقى أن نضيف

نمت روح المغامرة عند ماجلان فهداه تفكيره أن يصل للشرق بواسطة الإبحار غرباً ؟؟

هنا أن الكوسمولوجيا الكونية اليوم ترى أن الشمس التي نعيش حولها هي كوكب في ركن مجرتنا «الطريق اللبني» وليست في مركز المجرة، ويوجد في مجرتنا نحو مائة مليار نجم مثل شمسنا التي ندور حولها، وأما مجرتنا الحبيبة فهي أيضاً تنتسب إلى عالم المجرات التي يبلغ عدد المجرات فيه نحو مائة مليار مجرة، وليس هذا فقط، بل الكون الذي نعيش فيه يبلغ من العمر نحو عشرين مليار سنة، وهو يتمدد منذ ذلك الوقت من دون توقف، مثل البالونة التي تنتفخ نحو مصير مجهول لم يستطع العلماء الكونيون الكشف عن سر توجهه الأكيد حتى الآن (لا يجليها لوقتها إلا هو)، فأين مجمع الكرادلة الذي أدان جيوردانو برونو وطالب بإحراقه، والذين خاطبهم برونو بقوله: «ربما كنتم يا من نطقتم الحكم بإعدامي أشد جزعاً وخشية مني أنا الذي تلقيته» ليطلع على هذه المعلومات الجديدة المثيرة (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً).

إن جيوردانو برونو وتحت سحر «التأمل الإبراهيمي» للكون فقال إن الشمس لا تمثل شيئاً من هذا الكون الفسيح الممتد، من مجموعات شمسية لا يحصيها العدد، ولا ينفذ إليها البصر، ولا يصل إليها خيال، تأمل معي هذه الفقرة من كلامه التي كلفته حياته وهو في الثانية والخمسين من العمر: (هناك في الطبيعة أضداد، وقوى متعارضة، ومتناقضات، ولكن بعمل الكون بأسره بمشيئة الله تتوافق كل المتضادات وتختفي، ووراء التنوع المحير الساحر في الطبيعة توجد هناك وحدة أروع وأشد عجباً، تظهر في كل الأجزاء، وكأنها أعضاء في كائن واحد، إنها وحدة تسحرني، فأنا بقوة هذه الوحدة حر ولو كنت مستبعداً، سعيد في غمرة الحزن، غني في حمأة الفقر، حيٌّ حتى في الموت»(٥).

إن الذي أطلق العقل الأوروبي بعد فترة التخمر من الفكر العربي الإسلامي واليوناني لمدة قرنين، هو التخلص من المسلمات العقلية، والعادات الفكرية، التي تشل التفكير وتمنع الإبداع، وإيجاد الحلول للمشاكل، بالسرعة المثلى، والمردود الأقصى.

إن الذي حرض «كوبرنيكوس» ومن بعده «تيكوبراهي» و«كبلر» و«جاليلو» للوصول إلى تأمل جديد للكون هو التخلص من ضغط المسلمات السابقة على العقل، حتى يعمل العقل بشكل حر واستقلالي، وللوصول إلى تفسير أكثر شمولاً، وأعظم دقة، وأقرب للصحة، وأنفع واقعية.

إن هذه العقدة «عقدة الأبائية، والإرهاب الفكري، والوصاية على العقول، واحتكار الفهم النهائي والمطلق لكل شيء، وادعاء القنص والقبض على الحقيقة الحقيقية المطلقة، والاتهام بالزندقة والهرطقة لكل من يختلف في التأويل، والفهم المضاد، والتي يجب أن تعتبر على العكس رحمة لتنمية جو البحث العلمي، إذ لا نمو

من دون خلاف، ولا تألق من دون تفاعل، ولا إنجاز مدهش من دون حوار عقلاني خصب». هي أم الأمراض، وانتبه الإمام ابن تيمية إلى أن العلماء يخطئ بعضهم بعضاً عند الخلاف، في حين أن المبتدعة يكفر بعضهم بعضاً.

من هنا تأتي أهمية ممارسة النقد الذاتي لأفكارنا من دون توقف، وبإصرار ومن دون ملل ولا رحمة، لأن قوانين الكون أعوص وأعقد مما نتصور، وكل ما نحصله من الكون هو في الواقع صوراً ذهنية لا أكثر، كما حصل مع جيل ما قبل كوبرنيكوس الذين استرخوا على ظهورهم في كرة أرضية ثابتة هي مركز الكون وكل الكون يدور حول هذا الكوكب التافه (نسبة للكون).

وعندما لجأ فيساليوس إلى «الواقع العملي الذي يزكيه القرآن دوماً، أفلا ينظرون إلى الإبل... السماء... الجبال... الأرض» ليرى طبيعة الجسم كما هو في الواقع (وفي أنفسكم)، اكتشف أن كل الفكر اليوناني كان يتكلم من الكتب والورق، من دون الاتصال بالواقع، بما فيهم أسماء كبيرة من أمثال «جالينوس وأبقراط الذي يكلف الأطباء في العادة بترديد قسمه في أثناء التخرج»، هذه الأسماء الكبيرة لجمت الحركة العلمية حين خرجت من إطارها أنها كائنات تاريخية محددة إلى حقائق كونية ثابتة لذا كان لابد من كسر هذه الأصنام ليتحرك العقل، وصدق الفيلسوف الإسلامي حين قال: «تلون في كل حال مناة... شاب بنو الدهر وهي فتاة».

وإليك هذه القصة في هذا الصدد:

يروى أن شاحنة كبيرة مرتفعة مرت تحت جسر لا يلائم ارتفاعها، فانحبست تحت الجسر، واجتمع العديد من الناس لمحاولة شدها للخلف أو دفعها للأمام عبثاً، وهي تزداد استعصاءً، وكان طفل صغير يراقب المنظر فتقدم إلى رجل البوليس الذي يشرف على عملية الإنقاذ الصعبة قائلاً: هل تسمح لي يا سيد بالمشاركة؟ فحياه الشرطي مبتسماً من فضوله وجرأته: نعم هل عندك شيء. فقال الصبي: فرّغوا الإطارات من الهواء فتنخفض السيارة الشاحنة عن مستوى الجسر فتمشي بأي اتجه ترغبون!!

هذه القصة المعبرة تروي بشكل جوهري مشكلة العادات العقلية وضغطها على مسارات الفكر، فالحل الذي انقدح في ذهن الطفل الصغير، بسرعة وبشكل عفوي، سببه هو حرية الحركة العقلية نوعاً ما، وروح الفضول والسؤال، والدهشة، والفكر بدون قيود، وعدم التقيد بالعادات العقلية، التي سُجن في إطارها الآخرون، واستقبال الأحداث من دون قرارات مسبقة، حيث إن كل حادثة هي واقع مستقل قائم بذاته، كل هذا وغيره يقود العقل إلى عمل عقلي إبداعي، كما أن القصة تعطينا العظة من تشجيع الرأي من أي مستوى صدر، ومن أي عمر جاء، لذا فإنني أحياناً أقرأ مقالتي هذه على ابنتي الصغيرة في المرحلة الابتدائية، لشعوري أن الأطفال أذكى مما نتصور، لأنهم يفكرون بانطلاق، وعفوية، وحدة ذهن، وذكاء نشيط خلاب، ودماغ لا يشكو من تصلب في الشرايين؟!

وهكذا، فعندما سمح الشرطي للطفل بإبداء رأيه أراحهم من ورطة كبيرة بفكرة مبدعة جديدة، فالقصة تروي أن المشاكل الكبيرة يمكن حلها بأفكار صغيرة، وهذا يقودنا إلى بحث العقل والنقل، التقليد والإبداع، الاجتهاد والمتابعة، بين احترام رأي الآباء والمجتمع وانتقادها، لقد وضع القرآن علاقة جميلة بين الاقتفاء والاتباع فلا اقتفاء من دون علم (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل ذلك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦.

وكانت حجة فرعون في نقاشه مع موسى أيضاً: هل خفي ما تقول على آبائنا الأولين (فما بال القرون الأولى)؟!، في حين أن الحجة الإبراهيمية كانت: هل ينفعونكم أو يضرون؟ وكان جوابهم: بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون!! ■

بدن الإنسان تحت مبضع المشرحين الجدد كشف عن بديع خلق الله

المراجع:

١ ـ كتاب قصة الحضارة ـ تأليف ويل ديورانت ـ طبع الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ـ الجزء ٢٧ ـ الفصل السابع والثلاثون ص ١١٤، بحث العلم في عصر كوبرنيق، تحت فصل السحر والتنجيم جاء ما يلي: «إن الحقائق الجديرة بالملاحظة أن هذا العهد الذي استغرقه اللاهوت والثقافة المدرسية قد أنجب رجلين لهما أرفع مقام في تاريخ العالم كوبرنيق وفيزاليوس، ومن العجيب أن الكتب التي أحدثت عصارة حياتهما قد ظهرت في سنة واحدة هي سنة العجائب ١٥٤٣م.

٢ ـ راجع القصة المثيرة الوثائقية بعنوان ماجلان قاهر البحار ـ تأليف ستيفان زفايج ـ ترجمة حبيب جاماتي نشر مختارات الإذاعة والتلفاز ـ الكتاب الماسي ـ الدار القومية للطباعة والنشر.

٣ ـ قصة الحضارة ـ ويل ديورانت ـ مجلد ٢٧ ـ ص١٥٢: «وقد أدهشت أخطاء ندت عن جالينوس وكانت خليقة بأن يدحضها أبسط تشريح لجسم الإنسان كقوله مثلاً: إن الفك السفلي قسمان، وأن القص سبع عظام متميزة، والكبد عدة فصوص، وما كان ممكناً تعليل هذه الأخطاء واغتفارها إلا على فرض أن جالينوس لم يشرح قط آدميين بل حيوانات، وشعر فيساليوس أنه قد حان الوقت لمراجعة علم تشريح الإنسان بتشريح الآدميين وهكذا أعد أعظم كتبه».

٤ ـ قصة الحضارة ـ ويل ديورانت ـ الجزء ٢٧ ـ ص ١٥٤: «قال دوبوا إن جالينوس لم يخطئ، ولكن جسم الإنسان اعتراه التغير منذ عهد جالينوس، وعلى ذلك فعظام الفخذين الواضة الاستقامة، والتي ليست مقوسة كما وصفها جالينوس إنما هي في رأيه نتيجة لارتداء أوروبي عصر النهضة سراويل ضيقة».

٥ ـ قصة الحضارة ـ ويل ديورانت ـ الجزء ٣٠ ـ ص٢٩٦.

بقلم : د. حسن عزوزي

من أجل تكريس مفهوم «تعارف الحضارات»

يعتبر عنصر التلاقي والتفاهم بين الحضارات والثقافات أمراً طبيعياً في مسيرة الفكر الحضاري الإنساني، ويشكل التفاهم والتعايش أبرز المبادئ التي تحكمت في التقاء الحضارات وتلاقحها عبر التاريخ، وإذا حدث أن كانت هناك صدامات بين الحضارات، فإنما كان ذلك أمراً شاذاً يرجع إلى اعتبارات مصلحية أملتها ظروف شخصية أو قومية أو إثنية، أثرت بشكل سلبي على مبدأ التعارف الإنساني بين الشعوب والحضارات.

إن على أبناء الحضارات والثقافات أن يتعاملوا فيما بينهم على أساس الانتماء إلى أسرة إنسانية مشتركة، تتفاعل في إطارها مختلف الروابط الحضارية بين الأمم والشعوب، وهذا الأمر كفيل بنزع فتيل الأحقاد والكراهيات والعصبيات التي طالما أنهكت الإنسانية برمتها بفعل الحروب المدمِّرة والصراعات المنهكة التي أثرت بشكل كبير على مستوى التقارب بين الحضارات والشعوب حتى أمست متنافرة متباعدة.

فالتعارف كمبدأ إنساني حضاري سام له أكبر الدور في منع النزاعات والصراعات، فهو يُقرِّب الأفكار والمسافات وينسج أواصر التعاون والتفاهم ويهدف إلى بناء أسس حوار حضاري مثمر وبناء، إنه المبدأ الذي دعا القرآن الكريم إليه بشكل صريح في قوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير).

إن المبدأ القرآني في الدعوة إلى التعارف بين الشعوب والحضارات يهدف إلى تجاوز المصالح النفعية المحكومة بالأبعاد والميكانيزمات السياسية والاقتصادية، ويرمي أيضاً إلى استبعاد وإقصاء المعايير القومية الضيقة في التفاضل بالأعراق والأنساب واللغات، لكن بالمقابل لابُد من اعتبار الأسس الاجتماعية والأخلاقية القائمة على منظومة القيم والآداب لأنها الوحيدة الكفيلة باستمرار وتقوية أواصر ووشائج التقارب والتفاهم، ثم التعارف، فهي قواعد في التفكير والسلوك «يحكمها الضمير الإنساني السليم ويتفق على نظامها العام كل من كان سوياً رشيداً.

لقد راجت مصطلحات «حوار الحضارات» و«لقاء الحضارات» و«وحدة الحضارات» بشكل كبير في العقود الأخيرة، لكنها جميعاً من إنضاج الفكر الغربي الذي يفرض كل مرة، وحين من الأفكار والشعارات ما يناسب وضعه الاستراتيجي والأيديولوجي في إطار الحضارة الغربية التي تجد نفسها دوماً في تنافس وعداوة مع حضارات أخرى شرقية بالخصوص وإسلامية على وجه أخص.

من هنا كان المصطلح القرآني القاضي بضرورة التعارف بين الشعوب والقبائل، وبالتالي بين الحضارات والثقافات والذي يهدف إلى غايات أنبل ومقاصد أوسع، ذلك أنه إن لم يكن هناك تعارف، فلن يكون هناك حوار ولا تفاهم، فالتعارف ينجم عنه دوماً حوار هادئ وتعاون دائم، أما الحوار الذي يباشر بشكل مفاجئ فلا يعني بالضرورة حصول تعارف بين الأطراف، فكم من لقاءات حوارية أجريت إن على المستوى السياسي أو الديني لكنها جاءت بالفشل لأن جميع أطرافها الذين أخذوا مكانهم حول مائدة الحوار لم ينسجوا أواصر التعارف والتواصل من قبل، فلبث كل طرف جاهلاً للطرف الآخر.

إن للتعارف دوراً كبيراً في الحيلولة دون وقوع النزاع أو الصدام بين الحضارات، وهو يكفل نسبة كبيرة من نجاح لقاءات التفاهم والنقاش والتواصل، لأنه يرمي إلى تأصيل مفهوم الأسرة الإنسانية الواحدة ذات الأصل الإنساني الواحد، وهو مفهوم رمت إليه الآية القرآنية عندما دعت الناس جميعاً إلى التأمل في الأصل الإنساني الذي هو من ذكر وأنثى، وإلى التفكير في دعم أسس التعارف والتفاهم بين مختلف الشعوب والحضارات في إطار الجماعة الإنسانية الواحدة التي قد تختلف مشاربها الدينية والإثنية والحضارية لكنها تتعامل فيما بينها بمنطق الأسرة الوحدة ذات الأصل الواحد.

وإذا كانت الدعوة إلى حوار الحضارات التي تعتبر من الخصائص المميزة للعقود الأخيرة من هذا القرن، لم تؤتِ أُكلها الكامل، ولم تنجُم عنها نتائج ملموسة وواقعية على كافة المستويات، فإنما ذلك راجع بالأساس إلى عدم اكتشاف خصائص ومميزات وقيم الحضارات الأخرى، وخاصة من جانب الحضارة الغربية التي ما فتئت تضمر العداوة وحب السيطرة والتنافس تجاه الحضارةالأخرى، غير مكترثة بما تكتنزه تلك الحضارات من قيم ومُثُل وعناصر القوة الاستمرارية، ولعل هذا ما جعل الغرب يُروج في الآونة الأخيرة لمقولة «صدام

الحضارات»، لأنه أكثر توجساً وتخوفاً من شبح التصادم الذي يدفع به إلى الإحساس ببعض المخاوف وهو يستشعر تقدم وصعود بعض الحضارات وخاصة منها الحضارة الإسلامية التي أخذت تقلق راحة الساسة الغربيين وتقض مضاجعهم بعدما أمست تشكل قوة حضارية كبيرة ما فتئت تتغلغل داخل الكيان الغربي جغرافياً ودينياً وثقافياً.

لذا وجب التأكيد مرة أخرى على أن أهم سبب جعل الحضارة الغربية تعادي وتناوئ الإسلام وحضارته هو جهل أبناء تلك الحضارة بمقومات الإسلام الحضارية ومثله العليا وروحه السمحة ودعوته السلمية.

إن الغرب لمّا يتعرف بعد على حقيقة الحضارة والديانة الإسلامية فهو يجهل عنهما كل شيء ولا تنطبع في مخيلته سوى مدلولات سلبية موغلة في التحامل والقدح والكراهية، فالإسلام في نظر الغرب متخلف يدعو إلى العنف، غير منفتح، ولا يستطيع مواكبة التطورات والمستجدات الحديثة، وهو بالتالي غير جدير بإدراجه في المنظومة الحضارية الإنسانية العالمية، وهكذا قلما نجد في صفوف الغربيين عقلاء ومنصفين يعون جيداً حقيقة الحضارة الإسلامية ورسالة الإسلام العالمية المنفتحة على كل الثقافات والشعوب والداعية إلى السلم والسلام، والأمن والأمان، وتبقى أصوات هؤلاء المنصفين خافتة لا تتجاوز آفاق معينة ومحدودة لتترك المجال أمام أبواق الآلة الإعلامية الغربية الرهيبة تقدح في الإسلام وحضارته وترميه بأبشع الصفات والنعوت، وتقذفه بشتى الإسقاطات والمصطلحات القدحية.

إن الغرب لم يُتح لنفسه الفرصة الكاملة للتعرف على الإسلام ديناً وحضارة والتعارف مع المسلمين شعوباً وقبائل وثقافات وذلك لكي يعي حقيقة هذا الدين وبعده التام عن نية إدخال العالم في أي صراع أو صدام كما يحلو لكثير من المحللين السياسيين الغربيين الترويج له.

إننا نستغرب حرص الغرب والدوائر الكنسية على عقد لقاءات الحوار والنقاش بين المسلمين والنصارى دون سابق وعي من الطرف الآخر بمدى تمثله لحقيقة الدين الإسلامي وحضارته، وهذا ما يجعل عقلاءهم - في لقاءات حوارية متعددة - يعترفون في كثير من الأحيان، عندما تتبين لهم حقائق الأمور بأنهم يجهلون الشيء الكثير عن حضارة الإسلام وقيمه، مما يستلزمهم التعرف أكثر على مبادئ الإسلام الصحيحة وتعاليمه الروحية وحضارته الإنسانية القيمة.

إن الغربيين باتوا يجهلون عن الإسلام أبسط مبادئه وأدنى مرتكزاته الحضارية، من هنا جاءت ضرورة تعرف الطرف الآخر على منظومة الإسلام وحضارته في أزهى صورها وأنصعها وذلك قصد تمهيد السبيل للحوار والتلاقي والتفاهم، فالتعارف أساس وشرط كل مبادرة للحوار، إذ من مستلزمات وشرائط نجاح ملتقيات الحوار التعارف مسبقاً واطلاع كل طرف على ما تختزنه حضارة الآخر في كل أبعادها الدينية والثقافية والفكرية قصد استيعابها وتمثلها جيداً من أجل الاتفاق على مواطن ونقاط التلاقي، وبالتالي مناقشة وتداول مواطن ونقاط الاختلاف.

من جهة أخرى، يظهر لنا من خلال صورة الإسلام المشوهة والكاريكاتورية التي يعمل الغرب على تمييعها ونشرها عبر مختلف وسائل الإعلام سوء الفهم العميق لمعالم الدين الإسلامي وحضارته وقلة المعرفة بحقائقه ومبادئه، وإن كنا لا ننكر أن الغرب ينهج في ذلك أحياناً منهج تعمد سوى الفهم وتبييت سوء النية.

إن دعوة الإسلام إلى التعارف والتواصل والانفتاح على الثقافات والحضارات الأخرى ومد الجسور معها يهدف إلى إزالة كل الأحقاد والعصبيات ومحو كل أشكال العنصرية والكراهية ونزع بذور النزاعات والصراعات، مما يكفل فتح المجال الواسع للتفاهم والتحاور، خاصة أن القرن المقبل الذي سيكون لا محالة عصر ثورة المعلومات والتقدم المذهل في وسائل الاتصال سوف يجعل العالم قرية كونية صغيرة، من المفترض أن يتعارف سكانها يفتحوا نوافذ التفاهم والتقارب.

وإذا كان الجميع ينساق بوعي ومن دون وعي وراء مصطلحات الحوار والتفاهم في ثوبها الغربي، فإن مضامينها ومدلولاتها وأبعادها وكذا ما ترمي إليه وفق ما يهدف إليه منظروها الغربيون يكاد ينطلي على كثير من فئات الناس، فتجد أن حوار الحضارات لا يكاد يفهم إلا حسب المفهوم الغربي وعلى أساس شروط الاستراتيجيين الغربيين أيضاً، فهم الذين يدعون إلى إقامة نوع الحوار المنشور وهم الذين يشترطون شرائطه ويضعون أسسه وأهدافه، ولعل هذا ما جعل قضية «حوار الحضارات» وفق المنظور الغربي تتطور وتساهم في تكوين إحدى دعائم ومقومات نظام العولمة الذي وإن كان يبدو لنا يرمي إلى ترسيخ مرتكزات الهيمنة الغربية على الشعوب الأخرى، فإن بريقه الخادع يوهمنا بوجود نوع من التعاون والانفتاح والتقارب والحوار بين الشعوب والحضارات خاصة إذا علمنا أن المفهوم الساذج للعولمة والذي يُروج له بشكل شائع يعني تقريب الشقة بين أبناء الدنيا وإزالة الحواجز والحدود أمام العلاقات والروابط السياسية والاقتصادية والثقافية على أساس من التعاون والحوار.

إننا بالتالي نكاد نجزم بأن مصطلح «الحوار بين الحضارات» يكاد يفرغ من مضمونه ومحتواه الصحيح لأنه لا يقوم في أغلب الأحيان على أساس من التعارف المسبق الكفيل بانفتاح كل طرف على الآخر، كما لا يقوم أيضاً على أساس من «احترام الخصوصيات الدينية والثقافية» لكل الحضارات والشعوب وذلك باستبعاد أي محاولة هيمنة فكرية كانت أو اقتصادية من أي جهة تريد فرض قطبية أحادية الجانب تسعى من خلالها إلى استغلال واحتكار عولمة كاسحة، إنه باحترام هذه الشروط، يمكن فتح نوافذ التعارف بهدف تقريب الشقة بين مختلف الحضارات وجعلها ينفتح بعضها على بعض في سعي حثيث نحو تلاقح متميز وتفاهم مفيد مثاقفة مجدية وفعالة، كل ذلك مع الاعتراف بوجود مساحات الاختلاف بين جميع الحضارات والأديان وتمتع كل واحدة بخصوصياتها ومميزاتها مما لا يسمح بأدنى محاولات التذويب أو الانصهار، وهنا نود التنبيه إلى أن مفهوم «تعارف الحضارات» كما نرمي إليه لا يسمح بأدنى محاولات الاختراق الدينية ولا يهدف بتاتاً إلى التقاء الديانات السماوية تبعاً لالتقاء الحضارات كما تدعو إلى ذلك بعض التيارات الفكرية والدينية التي تسعى إلى صهر وإذابة مقومات الديانات السماوية الثلاث في بوتقة واحدة وضمن قالب واحد يحلو لزمرة منهم إرجاعه إلى ميراث إبراهيمي واحد.

ختاماً: نرى أنه لا قيمة للحديث عن حوار الحضارات والأديان إذا لم يسع اتباعُ كل حضارة أو دين إلى التعرف أكثر على الحضارات الأخرى، وفهم مكوناتها واستيعاب قيمها ومُثلها قصد تصحيح المفاهيم الخاطئة والمغلوطة التي تكون قد تكونت بفعل ظروف وعوامل تاريخية وأيديولوجية معينة، ومن هنا نرى أن من أكبر أسباب عدم نجاح كثير من لقاءات الحوار التي تعقد بين القينة والأخرى بين الجانب الإسلامي والجانب النصراني كون هذا الأخير لم يستطع حتى الآن تمثل قيمة الإسلام الحضارية وسمو مبادئه وتعاليمه الروحية التي تدعو إلى قيم السلم والأمن والسلام والتسامح مع الذات ومع الآخر. ■

بقلم : عطية فتحي الويشي

هانتنجتون وقضية التزاوج الحضاري

اعتاد البروفيسور صموييل هانتنجتون أن يصوغ أفكاره حول تصادم الحضارات: بدهاء شديد ففي إحدى صياغاته عن قضية التزاوج الحضاري: يستلفت أنظار الغرب تجاه مشاريع النهضة الحضارية لأمم وشعوب أخرى من أرض الله... فهو يحذر المؤسسات المعنية - بصفة خاصة - من الرباط الإسلامي الكونفوشيوسي، ملمحاً إلى أنه بمثابة التحدي الأكبر لمصالح وقيم وقوة الغرب... فيقول: «إن الارتباط العسكري بين التحالف الكونفوشيوسي والإسلامي هو شكل جديد من سباق التسلح بين الدول الغربية وبين الدول الكونفوشيوسية والإسلامية، للوصول إلى الهيمنة والتفوق على الآخر... ولذلك من مصلحة الغرب أن يتحد من خلال حضارته، خاصة عن طريق التعاون بين أوروبا وشمال أمريكا حتى يستطيع التغلغل العسكري إلى أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية لتقارب ثقافتهما من الغرب.. ولكي يتسنى للغرب الحد من التوسع العسكري للتحالف الكونوفشيوسي الإسلامي، فعليه أن يساعد الحضارات المتحالفة مع القيم والمصالح الغربية...»هـ.

قلت: لعله قد استقر لدينا بما لا يدع مجالاً للشك: أن الدين هو مداد رقم الهويات الحضارية للأمم على اختلافها، ومن ثم نفطن إلى امتناع تحقق أي من أشكال الترابط أو التداخل الحضاري بين الإسلام والكونفوشيوسية، رداً إلى تباين معتقداتهما الدينية، وتوابعها الثقافية والتاريخية.

ولا ندري كيف تجاهل السيد هانتنجتون حقيقة طويلة من الصراع الحضاري لم تزل ناره مستعرة عند حدود الإسلام الشرقية مع الصين الكونفوشيوسية في إقليم تركستان الشرقية - سنكيانج - المسلم، الذي تمد حساسيته وردود أفعاله إلى عمق آسيا الوسطى والعالم الإسلامي كله.

وبالمقابل ليس بوسعنا إنكار بعض الصور البارزة للترابط بين حضارتين مختلفتين... وذلك الترابط إنما يأخذ - في الحقيقة - بعدين أساسين في ضوء اعتبارات متعددة، نرى تبيانها من الأهمية بمكان كبير:

البعد الأول

ترابط منفعة، وينشأ - كنتيجة طبيعية - عن شعور مشترك تجاه خطر ما، بغض النظر عن حقيقة هذا الخطر، ومبررات الشعور به... وسنضرب لذلك مثالين:

١ - الرباط الصهيوهندوسي: ذلك الذي ارتبط بغايات مشتركة، ووسائل متشابهة.. «وكلما تابع المرء أقوال زعماء الأحزاب الهندية المختلفة يراها كلها مقتنعة بلزوم تدعيم الصداقة مع إسرائيل، ويرى أن هذا الشعور قد اكتسى لباس العقيدة»(١)، وإنني لأجد جواباً مقدماً على لسان أحد زعماء الهند بشأن قضية ربما عنَّ لأحدنا السؤال بصددها: وهو ما يتصل بحقيقة العلاقات الهندية - العربية... يقول مستر كاسات أمام البرلمان الهندي في إحدى اجتماعاته التاريخية... «إن سياسة الهند نحو العرب ليست منبعثة من حبنا للعرب، بل من اعتبارات سياسية لخداع العرب»(٢)

وما بين اليهود والهنود علاقة أبجدية من «الود»، وقواسم أخلاقية مشتركة، افقدت أي علاقة بين العرب والهنود مصداقيتها، فالهندوس لا يغيب عن خواطرهم ارتباط كشمير وقضايا المسلمين في الهند بتاريخ وحضارة العرب والمسلمين، كما أن القادة الهنود يزعمون على الدوام بأن : «الهند لا تدين للدول العربية بشيء، وسوف نستمر على الاحتفال بذكرى استقلال إسرائيل» ويضيف آخر: «هذا وليكن معلوماً فإن الأحزاب الهندية قد تختلف كثيراً بشأن الكثير من القضايا السياسية والاقتصادية، ولكنها تتفق كلها وتتوحد حينما يعرض عليها أمر يتعلق بالديانة الهندوسية، وكل هذه الأحزاب تؤمن إيماناً راسخاً بالقومية الهندوسية وإن عداءها التاريخي للعالم الإسلامي عامة ولمسلمي القارة الهندية خاصة يجعل الهنادكة يشعرون بغبطة وراحة بالتعاون مع عدو آخر للمسلمين ونعني به إسرائيل»(٣)

كما أنه لا ينبغي أن يغيب عن ذاكرتنا قضية الانزعاج السرمدي من جانب اليهود تجاه المشاريع الاستراتيجية الباكستانية لا سيما المشروع النووي رغم التشتت الجغرافي بينهما، فهل لليهود علاقة بهذا القلق اليهودي إزاء باكستان، والذي أخذ في بعض انطباعاته صور التهديد بضربة يهودية أو هندية للمشروع النووي الباكستاني؟ الدراسات والوثائق والمواقف السياسية.. تنطق بنعم، إذ إن طبيعة تلك العلاقة وغيرها تحكمها أساساً: محددات استراتيجية مصيرية كما هو باد للعيان.

٢ - الرباط الغربي - اليهودي المسيحي: لقد كان للخصومات التاريخية بين اليهود والنصارى، والتي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، منذ أن اعتقد النصارى بأن لليهود في قتل المسيح وصلبه: ضلع كبير... (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبِّه لهم وما قتلوه يقينا ..) النساء:١٥٧

ولقد كان لتلك الخصومة الثأرية ارتباط وثيق - على امتداد التاريخ الأوروبي قبل الحديث - ببغض اليهود واضطهادهم، وقتلهم بوحي من بابوات أوروبا وأمرائها... مما أكسب اليهود خبرة هائلة في مجال فلسفة التحالف مع الأقوياء.

ولكن الدور الحديث من تاريخ العلاقات بين الطرفين - دور التحديث والعلمانية - شهد تقارباً والتحاماً... الأمر الذي أوحى بتلاشي وزوال ماشاب تلك العلاقة من رواسب تاريخية... ولقد كان وعد بلفور ١٩١٧م بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، بمثابة الصدى الحقيقي لذلك التطور الإيجابي في العلاقات بين اليهود والغرب والذي أثمر بمرور الوقت عن سقوط الخلافة الإسلامية على أيدي ثلة من يهود الدونمة... ثم بعد ذلك قيام الدولة اليهودية على أشلاء أرض فلسطين المسلمة!

وعلى الرغم من تقييمنا لتلك العلاقة على أنها نفعية، لكن هذا لا يمنع من أن ندفع بها إلى ما هو أعمق من ذلك، فبمقتضى العهد القديم كعنصر أساسي في تكوين الثقافة النصرانية: يمكننا أن نتكهن باحتمال حدوث تزاوج حضاري بين اليهود والنصارى، ولذلك التكهن مؤشرات واضحة، بل قوية أحياناً، فضلاً عن ظاهرة الصهيونية المسيحية الأرثوذكسية «شهود يهوه» وغيرها من صور ومواقف المحاباة السياسية والاستراتيجية الغربية الراهنة لليهود... نسوق ما جرى بين أروقة المؤتمر السابع للحوار بين ما يسمى بالأديان السماوية، والذي انعقد بمدينة ميلانو الإيطالية، أواسط شهر أيلول ١٩٩٣م... حيث لقي الوفد اليهودي حفاوة بالغة في التصنع... قد أثارت حساسية الوفود المشاركة من مسلمين وغيرهم... ولا سيما بعد استقبال بابا الفاتيكان «الراب إسرائيل مائير» كبير حاخامات اليهود، إثر قطيعة طويلة تمتد إلى ألفي عام تقريباً، مما ترجم على أنه مصالحة تاريخية...!! وبعدها بشهور اعترف الفاتيكان بالدولة اليهودية بعد أن أعلن عن تبرئة اليهود من دم المسيح عيسى عليه السلام!

ومنذ ذلك الحين وحتى الأسبوع الثالث من شهر مارس ١٩٩٨م، والفاتيكان بصدد إعداد مذكرة تاريخية توضيحية تفسر موقف الكاثوليك مما يسمى بمحرقة اليهود في أفران النازي - الهولوكست، حيث أعلن الفاتيكان رسمياً عن اعتذار الكنيسة الكاثوليكية عن عدم القيام بما يكفي لحماية اليهود من الاضطهاد النازي، واعتبرت أن المسيحيين يتحملون واجباً أخلاقياً لضمان ألا يتكرر أبداً، وأضافت تلك المذكرة: أن الكنيسة الكاثوليكية تطلب الغفران للأخطاء التي ارتكبها أعضاؤها، ووصف رئيس اللجنة الحبرية المكلفة بالعلاقات الدينية مع اليهود والتي أعدت المذكرة، هذا البيان بأنه «توبة وأكثر من اعتذار»!! ترى ما مغزى تلك المصالحة التاريخية التي تنازل - بمقتضاها - البابا وأشياعه في الأرض عن دم المسيح عليه السلام؟! ألا فلينتبه الغافلون!!

البعد الثاني

وهو ما يتصل بما نسميه ظاهرة التزاوج الحضاري، والتي ترد إلى تمتع حضارة ما بقوة روحية ومادية فائقة .. قوة ذات خواص استقطابية وجاذبية ذاتية... بحيث لا تملك حضارات أخرى تجاهها: إلا التمازج بها، والتزاوج معها، والذوبان فيها... فهي حالة من التغاير الجوهري على مسارات الفكر والعقيدة، والقيم والتصورات... وما يرتد عنها من أصداء في مجالات الاجتماع والسياسة والاقتصاد والعسكرية... إلخ، وتلك الظواهر المحورية لا تحدث غالباً إلا مع بواكير دعوات الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - وحوارييهم... وفضلاً عن ذلك فقد كان ثمة تحول روماني مبكر - ولكنه نسبي - إلى المسيحية في عهد قسطنطين الملك - ٢٧٤: ٣٣٧م - لكن لم تسجل تلك الظاهرة بصورة أكثر دقة وشمولاً واتزاناً: إلا في عصور الفتوحات الإسلامية، والتي رصدت أكثر من حال تزاوج بين الحضارة الإسلامية ومجموعات حضارية مختلفة: مثل الفرس والمغول والتتر والأتراك وغيرها... لتشكل في مجموعها العام: نسيجاً حضارياً واحداً هو الإسلامي.

نرجع إلى فتنة الرباط الكونفوشيوسي الإسلامي التي وضع قسماتها هانتجتون لتأخذ وضعاً استراتيجياً مضاداً للغرب، ومن ثم تتجه إلى ذلك الرباط سهام العداء الغربي المسيحي المغرور، بعد أن أفلح المنظر في تدبيج صياغة مثيرة وإنفعالية حول الإسلام، واصطناع موقف غربي متحفز تجاهه... يعمد هانتجتون إلى إقحام الصين - في وضعها الكونفوشيوسي - إلى جانب الإسلام لتضخيم نموذج التحدي المواجه للغرب.

ولعلنا ندرك أن مبررات الحساسية الغربية من حضارة الصين الكنفوشيوسية: لا تنبع في الحقيقة من حسبانها كياناً حضارياً ذا ثوابت ومنطلقات عقدية، كلا، فذلك أمر مستهان كما هو ماثل مع اليابان بالنسبة للغرب، بل تعزى تلك الحساسية إلى أمرين آخرين:

أولاً: أن الصين تمثل معقلاً حصيناً للفلسفة الشيوعية المهذبة المرنة، مما يعد في حقيقته مصدر إزعاج وقلق من نوع ما لدى دوائر الفكر الرأسمالي الغربي.

ثانياً: تنامي حركة النشاط الاقتصادي الصيني لتمتد بخطوات راسخة وجريئة نحو أسواق العالم... والأهم من ذلك: أنها حركة إنسانية عصية على التبعية والاحتواء... وهذا يفسر إلى حد كبير دوافع قرار أمريكا في عام ١٩٩٦م بإبعاد الصين من تحت مظلة رعايتها!

وعموماً: فإن مجرد التعاون بين الصين وبعض الدول العربية والإسلامية.... لا يعني بالضرورة وجود رباط وتكتل حضاري كما يزعم هانتجتون، وإن كنا لا نتجاهل أبداً أن الشعور العام من جانب الصين والمسلمين وغيرهم بالتعالي والغطرسة الغربية... من الدوافع الأساسية لعملية التعاون هذه - إن تمت - لا سيما إذا وضعنا فلسفة التعسف والهضم والانتقاص الغربي تجاهها في الاعتبار.

ولكن ربما كان مبرر حساسية هانتجتون تجاه ذلك الرابط المزعوم متصل بصفقات تجارة السلاح بين الصين وكوريا من جهة وبعض العرب والمسلمين من جهة أخرى، وتلك الحساسية بالطبع ليست لصالح الغرب بقدر ما هي لصالح الكيان الصهيوني الغاصب ذلك الكيان الذي ينخلع قلب هانتجتون، وأترابه من منظري الحركة اليهودية الغربية رهباً عليه كلما كان ثمة تصاعد في مؤشرات أي تنسيق دولي عربي إسلامي - بعيداً عن الغرب - في هذا المجال!! ■

بقلم : مصطفى محمد طه

لم يعد الاهتمام بالمستقبل مجرد ترف ثقافي أو حتى تكهُّن ورجم بالغيب، وإنما أصبح ضرورة ثقافية تحتمها إيقاعات العصر الذي نحيا فيه، ولعل مرجع هذا هو أن دراسة المستقبل أصبحت محاولات علمية جادة تبذل من قبَل الباحثين لرسم أبعاد صورة حية إلى حد ما لمعالم الغد المنظور واللامنظور الواقع الإنساني على ظهر هذا الكوكب الأرضي، وذلك وفقاً لنسق معرفي يستلهم كل القيم المشعة التي كوَّنت رصيد البشرية الحضاري عبر العصور، ودورات التاريخ المتتالية وذلك حتى يتسنى للبشرية تلافي كل سلبيات الماضي البعيد والحاضر الراهن ومن ثم سيكون المستقبل مشرقاً.

وفي ضوء هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة المستقبل برؤية إيمانية سوف تساعدنا على تحقيق الارتقاء الحضاري الشامل لأمتنا الإسلامية في كل مناحي الحياة، ولن يتحقق لنا ذلك إلا بعد التخلص من كل السلبيات التي تراكمت على مدار التاريخ، ومن ثم أسهمت بصورة أو بأخرى في تأخير مسيرتنا عن اللحاق بركب الحضارة الذي يغز في السير الحثيث نحو الأمام دائماً ولا سيما في الجانب التطبيقي مع العلم «التكنولوجيا»، ولذا رأينا الفكر التاريخي يتناغم مع هذه النزعة المستقبلية التي أصبحت ملمحاً بارزاً لجميع مناحي المعرفة البشرية، سواء في جانبها النظري أم التطبيقي، أو إذا شئنا الدقة العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الطبيعية البحتة.

رؤية توينبي لمستقبل الحضارة الإسلامية

ومن هنا، يعتبر المؤرخ البريطاني (ارنولد توينبي ١٨٨٩م - ١٩٧٥م) في طليعة فلاسفة التاريخ الذين أولوا دراسة المستقبل الحضاري للبشرية بعامة، ومستقبل حضارتنا الإسلامية بخاصة أهمية قصوى، ولعل أهم ما يضفي نوعاً من الدينامية المفتجرة على المعطيات الفكرية للرجل هو أن أطروحاته في هذا السياق قد جاءت بمثابة دراسة وتحليل لكل التجارب الحضارية المتباينة التي عرفها التاريخ منذ انبثاق فجره وحتى لحظتنا الراهنة.

ولعل هذا الاهتمام راجع إلى أن الحضارة الإسلامية تكاد تكون - بل هي بالفعل - الحضارة الوحيدة التي تمتلك عناصر البقاء في عالم اليوم والغد، وذلك لأن الرسول - ﷺ - هو الرائد الأول لها، وقد جاء إخبار الله عن ذلك في القرآن الكريم: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) الأحزاب:٤٠، كما أنه ﷺ قد بُعث للناس كافة ولم يُبعث للعرب خاصة، كما أوضح هذا القرآن الكريم: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) سبأ:٢٨، (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء:١٠٧، علاوة على ذلك فشريعته السمحاء - ﷺ - قد جمعت رسالات الأنبياء والمرسلين أجمعين - عليهم صلوات الله وسلامه - (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الشورى:١٣، وبالتالي فقد تأذّن الله عزّ وجل بحفظ الشريعة والرسالة - ومن ثم الحضارة الإسلامية - بحفظ القرآن الكريم، مصداقاً لقوله تعالى وهو أصدق القائلين: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر:٩، ومن هنا كانت معجزة القرآن العقلية باقية تتحدى الإنس والجن إلى يوم القيامة، وفي الواقع إن كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن هذه الرسالة وحضارتها جاءت لتبقى، ومن ثم فقد صُبغت تعاليمها ومعطياتها بصبغة إيمانية (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) البقرة:١٣٨، ولهذا تحمل هذه الحضارة بين طياتها أسباب هذا البقاء وخصائص هذا الدوام ولعلّ أهم تلك الأسباب والخصائص هو كونها حضارة للحياة الكريمة.(١)

ولذا رأينا أن كل دعوى التغريب في العالم الإسلامي - بكل اتجاهاتها - قد حاولت ولا تزال - تبديل وتغيير ثوابت الكيان الحضاري الإسلامي حتى لا يكون هو المرتكز الأساسي للمستقبل الإسلامي المنشود، وقد أدركت بأنه لا يمكن تقويض الأسس العقدية للشخصية المسلمة إلا بإحداث الشروخ والتصدعات في البناء الحضاري الإسلامي تمهيداً لهدم البناء من قواعده، ولذلك تنكر الاتجاه التغريبي للشريعة والحضارة الإسلاميتين وذلك من أجل التبني الراديكالي لقيم النظام الغربي ومحاولة زرعها في البيئة الإسلامية بالاشتراك مع كافة الاتجاهات الاستشراقية والتبشيرية (التنصيرية) على حدٍّ سواء، وهذا يهدف إلى تجريد الأمة من خصوصيتها العقدية وأبعادها الثقافية وبهذا المنهج أيضاً يطمح الاستعمار الثقافي - بواسطة وكلائه في العالم الإسلامي - إلى إخضاع الإنسان المسلم للسير في ركاب المنظومة الغربية ومن ثمّ فهو يكرس عجز العالم الإسلامي عن الانطلاق في المستقبل بمعزل عن التبعية الحضارية للنموذج الغربي (٢)

الحضارة الأوروبية تحمل في طياتها التناقض بين الفكر والعمل أي بين أفكار المساواة والإخاء والحرية وبين التفرقة العنصرية التي تمارسها الآن بالفعل

وفي هذا ما لعله يحتم طرح تساؤل حيوي مفاده، تُرى ما هي ملامح وآفاق مستقبل هذه الحضارة، كما يراه توينبي وتؤكده إرهاصات المتغيرات الكونية التي تجتاح عالم اليوم وعالم الغد؟ وللإجابة عن هذا التساؤل الحيوي نقول: ليس ثمة مجال للشك في أن الحضارة الإسلامية هي حضارة المستقبل، وذلك لأنها حضارة الإنسان، ولذا فالإنسان يحتاج إليها في يومه وغده، كما يحتاج إلى فطرته السوية وإلى استقراره وسعادته، فليست حاجته إلى الحضارة الإسلامية هي مجرد رغبة تنقضي أو تبقى وإنما هي طبيعة وضرورة ملحة واستقرار وحتمية لابد أن يصل إليها إن عاجلاً أو آجلاً لسبب بسيط وهو أن هذه الحضارة هي من عند خالقها ومنظم الحياة ومدبر الأمر كله.(٣)

وفي هذا السياق، يقول توينبي وهو بصدد رسمه لملاح مستقبل الحضارة الإسلامية: «لو أن محمداً - ﷺ - كان قد ظل داعياً دينياً ولم يصبح رجل الإسلام من الناحية الروحية لكان حال الإسلام أسمى مما هو عليه الآن، وعنده أيضاً أن بداية انحلال الحضارة الإسلامية تبدأ منذ الهجرة أو بتحديق أدق منذ غزوة بدر الكبرى - أول حرب إسلامية ضد الكفار - وفقاً لقضيته التي طبعها بطابع العدم دون استثناء حيث يرى أن الحرب هي تغطية لاضطرابات داخلية وإنها تُعبِّر عن بداية انحلال الحضارة»(٤).

ويرى الأستاذ الدكتور أحمد محمود صبحي بأن هذا تقييم للإسلام من وجهة نظر مسيحية لا من وجهة نظر تاريخية، أي أن توينبي نظر إلى حضارة الإسلام بوصفه مسيحياً لا يرى إلا ضرورة الفصل بين الدين والدولة «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» لا بوصفه مؤرخاً يُقيِّم الواقع بعد دراسة استقرائية له، يقول جرونبوم: «إنه إذا كان توينبي يعتبر أن خلط الدين بالسياسة يحط من قدر الدين، فإن المسلمين آنذاك على الأقل كانوا يرون العكس إنه يرفع من قيمة السياسة وإنه لا يحق لتوينبي أن ينظر إلى محمد - ﷺ - من خلال المسيح - عليه السلام - وإنما لابد من النظر إلى الحركة الإسلامية من وجهة نظر المسلمين، حيث إن

البذرة الإسلامية ما كان يمكن لها أن تنمو لو ظل الحال على ما هو عليه خلال مرحلة الدعوة قبل الهجرة إذ لم يُقدَّر لها النمو والازدهار إلا في مجتمع المدينة كما لم يقدَّر لها الانتشار إلا بما سلكته من غزوات وفتوحات». ومن ناحية أخرى كيف تتصف الحضارة بالصفة الدينية وتُلقب لقباً دينياً إذا كان توينبي يريد أن تبتعد السياسة عن تأثير الدين.(٥)

ومن جانبنا نرى أن توينبي قد جانبه الصواب، وهذا لأنه لم يحاول الارتقاء - عبر تنظيره هذا - إلى مستوى الفهم الديناميكي لروح الإسلام الخالد وحضارته الباسقة، ومن ثم فهو لم يدرك أن الهجرة المباركة وما تلاها من غزوات حربية - ويقف على قمتها غزوة بدر الكبرى - إنما كانت على الحقيقة بمثابة التحولات التاريخية الحاسمة التي أدت إلى انبثاق حضارة الإسلام من رحم الزمن.

واستكمالاً لمعرفة أبعاد رؤية توينبي لمستقبل حضارتنا على ظهر هذا الكوكب الأرضي، فإن ثمة تساؤل يطرح نفسه - أيضاً - وهو: ترى ما هو مصير الحضارة الإسلامية؟ فهل ستنقرض هذه الحضارة، كما انقرضت حضارات أخرى؟ وهل ستتحجر كبعض الحضارات المتحجرة الماثلة أمامنا، أم أن تيار الحضارة الغربية المعاصرة سيجرفها ويتمثلها؟. والإجابة عن كل هذه التساؤلات عند توينبي هي أنه لا شيء من ذلك كله سيحدث، وإنما ستبقى الحضارة الإسلامية حيَّة، قد يعترض الفرد الأوروبي في صلف على ذلك، ويقول: «هل تنتظر حضارة من فلاح مصري أو حمال اسطنبولي؟!»، ولكن هذه العبارة قالها الإغريقي من قبل وبالذات بعد فتوح الإسكندر الأكبر للعالم السوري، وتبيَّن أنه قول خاطئ، إن الحضارة الإسلامية قد تُنافس الحضارة الهندوكية أو بوذية الماهايانا من أجل السيطرة في المستقبل بوسائل تتعدى تصوراتنا، ولكن ماذا يكمن في الحضارة الإسلامية من طاقات غير موجودة في الحضارة الأوروبية المعاصرة تجعلنا نتوقع لها أن تكون هي حضارة المستقبل.(٦)

مستقبل الحضارة الإسلامية عند توينبي إنما هو إفراز حيوي لمعطيات تاريخ الإسلام الذي يتسم في أغلب مساحاته الزمنية بالتكامل والشمول والترابط

وللإجابة عن هذا التساؤل يرد توينبي قائلاً: «إن الحضارة الأوروبية تحمل في طياتها التناقض بين الفكر والعمل، بين أفكار المساواة والإخاء والحرية التي ورثتها عن الثورة الفرنسية، وبين التفرقة العنصرية التي تمارسها الآن بالفعل، ومن ثمَّ فهي تشكل خطراً عليها بزيادة وعي الشعوب الملونة، وهذا بينما طابع الحضارة الإسلامية الاتساق بين الفكر والعمل بصدد المساواة إذ تمكَّن في أزهى عصورها أن يصل إلى مراكز السلطة فيها الرقيق والعبيد «كافور الإخشيدي والمماليك». الأمر الثاني هو تحريم الخمر، وقد لا يدرك الكثيرون قيمة هذا التحريم بالنسبة للحضارة، ولكن من يشاهد عن قرب سكان المناطق الاستوائية يُدرك أن توقف نشاطهم راجع إلى شرب الخمر إلى حد كبير، ولقد فشل الإداريون الأوروبيون في علاج هذه المشكلة التي لا تحلها القوانين المفروضة لأن الامتناع عن الخمر لا يتم إلا بوازع ديني».(٧)

وعلى الرغم من ذلك، يبدو أن طالع حضارة الإسلام في المستقبل القريب لدى توينبي إنما هو متوقف، على أي حال، على نتيجة اختبار القوة بين العالمين الغربي والروسي اللذين يطوقان العالم الإسلامي فيما بينهما ولقد تعاظمت أهمية العالم الإسلامي في نظر هذين المتحاربين منذ اختراع محرك الاحتراق الداخلي، فللعالم الإسلامي - كإطار جغرافي لحضارة الإسلام - أهميته القصوى في المستقبل كمصدر للسلع الأساسية - مصادر الطاقة - وكمعبر للمواصلات الرئيسة، فضلاً عن أن العالم الإسلامي يضم ثلاثة مواطن من مواطن الحضارات الأربعة الرئيسة في العالم القديم «أي الحضارات المصرية، السومرية، السندية، الصينية».(٨)

ومن هنا نرى أن مستقبل الحضارة الإسلامية عند توينبي إنما هو إفراز حيوي لمعطيات تاريخ الإسلام الذي يتسم في أغلب مساحاته الزمنية بالتكامل والشمول والترابط، فضلاً عن ذلك، فإن تاريخ الإسلام ليس دوائر منفصلة ـ ولكنه نسيج عضوي حي ـ فالحدث السياسي لا يُفهم إلا بإدراك تفاعله مع الأوضاع الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، إنها خيوط واحدة تكوِّن «نسيج التاريخ» كل خيط له قيمته وأثره المتمثِّل في مدى التحامه مع سواه، ولذا فتاريخ الإسلام هو تاريخ حضارة مكتملة الدائرة ـ وليس تاريخ شعب أو قومية معينة ـ فالقوميات كلها حلقات يطبعها طابع موحَّد، وهو تاريخ ذو مضمون إنساني قوامه الحرية والعدل والتوحيد والمساواة، وتاريخ الإسلام هو فكر كلي شامل، وهذا الشمول يضم مختلف أوجه النشاط الإنساني، الاقتصاد والدين والعلم والفن والفلسفة والاجتماع.(٩)

وفي ضوء هذا المنطلق، ينبغي علينا أن نؤكد على أن أمتنا الإسلامية قادرة دائماً وأبداً على البعث والتجديد طالما اعتمدت على ذاتها الحضارية، واستنفرت إمكانياتها الخلاقة، شريطة أن يكون ذلك طبقاً للقانون الإلهي للتغيير «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد:١١، ومن هذا المنطلق يكون الإسلام ـ والإسلام وحده ـ هو البديل الحضاري الأمثل للتأزم الذي تعاني منه الحضارة المعاصرة في واقعها الراهن سواء على المستوى الداخلي أم الخارجي.

وبناء على ذلك، تتحدد أمام ناظرينا القسمات البارزة للصورة المشرقة لمستقبل الحضارة الإسلامية فيما يستقبلها من أيام تلوح في أفق الغيب، ولعل مرجع هذا هو أنه لا الحضارات السومرية والبابلية والمصرية ولا الحضارات الإغريقية واللاتينية والبيزنطية والهيلينية ولا حتى الحضارات الفارسية والصينية والهندية على ما قدمته جميعاً من عطاء زاخر ـ كما أثبت ذلك شاهد التاريخ ـ بقادرة على أن تسامت هذا الدور الرائد للحضارة الإسلامية في ارتقاء الإنسان كما أنه لا الفلسفات اليونانية والهندية ولا المذاهب الوضعية الغربية منذ عهد النهضة والتنوير حتى طوبويات الاشتراكيين والفرنسيين والإنجليز ـ ووجوديات هايدجر وكبر كجارد وسارتر وكامي ـ ومثالية هيجل ومادية ماركس وانجلز بقادرة أيضاً على تحويل القيم والأفكار إلى واقع منظور وتجربة معاشة وخبرات حية تتشكَّل في مساحات الزمان والمكان.(١٠)

الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي تمتلك عناصر البقاء في عالم اليوم والغد

ولعل هذا هو الذي أضفى طابعاً من الحيوية على الرؤية التاريخية الواعدة ـ بقدر ما هي واعية ـ التي ذهب إليها توينبي حيث أنه قد أكد عبر سياقها ومحتواها على أن الحضارة الإسلامية ستكون ولا ريب هي حضارة المستقبل، وذلك لأنها هي الوحيدة المؤهلة من ضمن الحضارات الست الباقية ـ وفقاً لمعطيات نظريته التحدي والاستجابة ـ لوراثة الحضارة الغربية المعاصرة التي تترنَّح أيلة للسقوط، ثم الزوال الحتمي شأنها في ذلك شأن كل حضارات الكون التي ضلت وانحرفت عن طريق الله المستقيم عبر تنكرها لسنن الله الكونية، إنها سنة الله الماضية في خلقه ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً، ولن تجد لسنَّة الله تحويلاً.

وأخيراً وليس آخراً، فإن هذه المعالجة قد حاولت قدر الإمكان دراسة وتحليل آفاق وملامح مستقبل حضارتنا الإسلامية التي تُعبر عن هويتنا وذاتنا كأمة متميِّزة على خارطة الوجود الكوني للحضارات، في ضوء نظرية التحدي والاستجابة التي اتسمت بالموضوعية إلى حد ما، وذلك بعكس غيرها من النظريات التي جسَّدت ظاهرة التحيز الحضاري عند دراستها للمعطيات الحضارية للإسلام. ■

الهوامش:

١ ـ أ.د. توفيق يوسف الواعي ـ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ـ دار الوفاء ـ المنصورة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ص ٦٢٦.

٢ ـ د. سليمان الخطيب ـ دور المناهج الغربية في سيادة فكرة التغريب والاستلاب الحضاري والثقافي على العقل المسلم ـ ورقة مقدمة إلى ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي ـ قسنطينة ـ الجزائر ١٢/٩ سبتمبر ١٩٨٩م ـ جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ المعهد العالي للفكر الإسلامي ـ القاهرة ـ من دون تاريخ ـ ص ٣٩.

٣ ـ أ.د. توفيق يوسف الواعي ـ المرجع السابق ـ ص ٦٣٧.

٤ ـ أ. امنة تشيكر ـ مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توينبي ـ المؤسسة الوطنية للكتاب ـ الجزائر ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ـ ص ٩٣.

٥ ـ أ.د. أحمد محمود ـ من فلسفة التاريخ ـ دار النهضة العربية للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م ـ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

٦ ـ أ.د. أحمد محمود صبحي ـ المرجع السابق ـ ص ٣٨٩.

٧ ـ أ.د. أحمد محمود صبحي ـ المرجع السابق ـ ص ٣٩٠.

٨ ـ أ. أرنولد توينبي ـ مختصر دراسة للتاريخ ـ الجزء الثالث ـ ترجمة فؤاد محمد شبل ـ مراجعة محمد شفيق غربال وآخر ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٣٦٤م ـ ص ٣١٤.

٩ ـ أ. أنور الجندي ـ الإسلام وحركة التاريخ «رؤيا جديدة في فلسفة تاريخ الإسلام» ـ الموسوعة الإسلامية العربية ـ رقم (٥) ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ دار الكتاب المصري ـ القاهرة ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ـ ص ٤٨٥.

١٠ ـ أ.د. عماد الدين خليل ـ حول إعادة تشكيل العقل المسلم ـ كتاب الأمة رقم (٤) ـ رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ـ الدوحة ـ رمضان ١٤٠٣هـ ـ ص٨٨.

م. : أحمد عبدالوكيل صافي

الحاسوب بين الأمية والحضارة

يقولون: الأمي - في عصرنا - هو الذي لا يعرف كيف يستخدم الحاسوب.

عبارة كثيراً ما نقرؤها في الصحف، في المجلات، في إعلانات بيع الحواسيب، حتى أصبحت عبارة شائعة على لسان الكثير من الناس وفيهم المثقفون وصانعو الأجيال، ولكن لنقف مع أنفسنا وقفة صادقة فيها قليل من التمعن والتحري ونسأل: من صاغ هذه العبارة؟ ولماذا؟ وهل هي صحيحة مطلقاً أم أنها صحيحة إلى حد ما؟ وإذا كانت صحيحة فهل نحن في عالمنا العربي أميون أم لا بمفهوم هذه العبارة؟!!

الحقيقة التي لا مراء فيها أننا في عصر المعلوماتية، ولا تكاد تدخل مؤسسة أو وزارة أو شركة صغيرة كانت أم كبيرة في أنحاء العالم المتقدم إلا وترى الحواسيب والشبكات الحاسوبية تملؤه وإذا توقف الحاسوب عن العمل شُل العمل وانقطعت أوصاله فأصبح كل أمر عندهم يعتمد على الحاسوب في مجال الصناعة، في السياحة، في الجامعات والأبحاث العلمية حتى أصبحت بعدة أقرص مدمجة (CD.Rom) تستغني عن مجلدات من الكتب والمراجع في شتى مجالات العلوم ناهيك عن خدمة الشبكة العالمية أو ما يسمى «الإنترنت» التي تفتح لك العالم لتجوب فيه وتحلق في آفاقه وتحضر ما شئت في شتى مجالات العلوم الطبيعية والهندسية والاجتماعية والسياسية والجغرافية وتستمتع بخدمات سياحية وغير ذلك من مستلزمات الحياة التي ما كنت لتصل إليها إلا بعد مشقة وجهد كبير، أما الأفراد في ذلك العالم فهم يعتمدون في بيوتهم عليه حتى أصبحت ترى طفلاً في الرابعة من عمره يتعامل مع الحاسوب ويستفيد من البرامج العلمية والرياضية التي يحويها والتي تناسب عمره ومستواه التعليمي.

وفي عالمنا العربي - وفي بعض أقطاره بالتحديد - أصبح الحاسوب جهازاً شائع الاستخدام حتى في البيوت يحرص الأب والأم كلاهما على اقتنائه كما يحرصان على اقتناء الرائي إيماناً منهم أنه لغة العصر وبذلك يطمئنون أنهم لن يكونوا أميي هذا العصر وكلهم أمل أن يصبح أطفالهم كالطفل الياباني - مثلاً - يصمم برامج ويطور أجهزة وهو في سن الحداثة!!... آمال وآمال ولكن ما الواقع الذي يجب الاعتراف به؟

لنسأل أنفسنا بصدق: ماذا نستفيد من الحاسوب في المنزل؟ ما هي جلُّ استخداماته؟ ساعات طوال قد يجلس فيها ابننا أمام شاشة الحاسوب يزيغ بصره وقد يترك واجباته الدراسية ويضيِّع حقوقاً ربانية واجتماعية، ماذا يستفيد مقابل هذه التضحيات الهائلة؟!!

لو قمنا ببحث ميداني كي نجيب بواقعية عن هذه الأسئلة لوجدنا أن ٨٠٪ من حالات استخدامه في البيوت «إذا تفاءلنا» تكون في العاب معظمها لا فائدة ترجى منها من الناحية التربوية أو العلمية حتى «الإنترنت» التي هي وسيلة رائعة للبحث العلمي وهدية العصر لنا كي نجوب العالم من جميع جوانبه ونعرف أحواله الاجتماعية والسياسية والعلمية والجغرافية أصبحت على أيدي أبنائنا ومراهقينا أداة للمحادثة (MIRC) التي أقل ما يُقال فيها أنه لا فائدة منها (جرِّب أن تدخل مرة إلى برنامج المحادثة على الإنترنت في دولة عربية لتقرأ ما يندى له الجبين ويخدش له الحياء، ولا تصدِّق أنك في بلد له تقاليد وأعراف محافظة»، وأصبح البريد الإلكتروني بين فتياتنا وفتياتنا

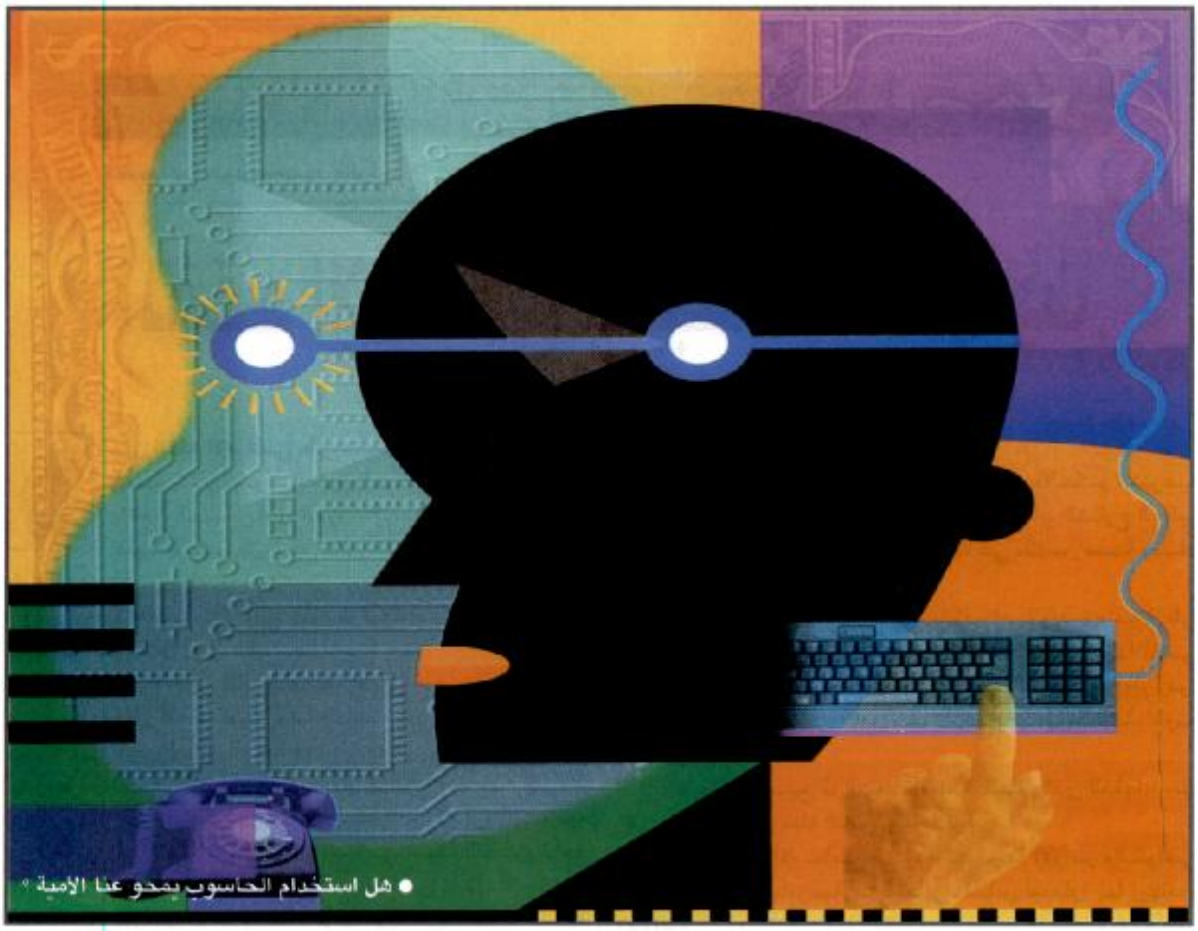

● هل استخدام الحاسوب يمحو عنا الأمية ؟

الأسلوب العصري للمراسلة وتبادل الأفكار «ليتها كانت أفكاراً بناءة» هذا إذا لم يتطور الاستخدام إلى أفلام تعود على المجتمع بالدمار والهلاك.

فهل استخدام الحاسوب بالشكل الذي ذكرته يمحو عنا الأمية ويرقى بنا في مصاف الدول المتقدمة؟ وهل مجرّد استخدام الحاسوب يخلّصنا من أمية هذا العصر؟!!

الحقيقة التي يجب أن نعيها ونفتح لها أذهاننا وقلوبنا، ونغرسها في نفوس أبنائنا: أن استخدام التكنولوجيا الحديثة بشكل عام يتطلب منا وعياً حضارياً وإحساساً بالمسؤولية يجعلنا - قبل أن نتحمس لهذه التكنولوجيا - نعي وعياً مسؤولاً: مجالات استخدامها، إيجابياتها وسلبياتها، وكيف نعمّق الإيجابيات ونقلل السلبيات وما السبل الموصلة إلى ذلك حتى تكون هذه التقنية الحديثة قوة لنا لا ضعفاً، بشراً لا شؤماً، تنهض بنا في سلم الحضارة وعمارة الكون لا تزيد في تخلفنا وبعدنا عن ركب الحضارة والعلم الذي نملك وسائله المادية التي يملكها العالم المتقدم ولكننا متجردون من الوعي الحضاري الذي يجعلنا نستخدم هذه الوسائل والأسباب المادية في رقينا سلم المجد واستعادة سيادتنا بين الأمم ولا سيما ونحن نملك مبادئ وماضياً يؤهلاننا أن نحتل مكان الصدارة في هذا العالم الذي سادت فيه شريعة الغاب ولا مكان إلا للقوي والقوة هي قوة العلم والمادة مجتمعتين.

إن مهمتنا ومسؤوليتنا - التي سوف تحاسبنا الأجيال عليها عاجلاً أم آجلاً - خَلْق عقلية علمية لدى فلذات أكبادنا قبل وضع الحاسوب بين أيديهم، هذه العقلية تُنشأ بتعويدهم على احترام الوقت وتبصيرهم بقيمته في بناء الحضارات «والقدوة في هذه النقطة هي الأساس والمحرك»، وجعل القراءة المفيدة في شتى المجالات هواياتهم، وممارسة الرياضة التي تنمي أجسادهم وعقولهم شغل فراغهم، وعندها فقط يدركون أن اقتناء الحاسوب ليس هدفاً في حد ذاته، بل الهدف الرئيس استخدامه في الدراسة والبحث العلمي واستخدام برامجه في توسيع أفقنا وتحريك ذهننا وعندها فقط نودّع الأميّة إلى الأبد، وندخل القرن الحادي والعشرين بجدارة لأننا نملك وسائل العلم المادية ملكاً حقيقياً لا مزيفاً ونحن نملك في الوقت نفسه مقومات الحضارة وقد سبق أن سعد العالم بحضارتنا في وقت كان فيه غيرنا يعيش في ظلمات الجهل ويئنون تحت سلطان الخرافة وعلماؤهم يُحرقون ويُقتلون لأنهم يصلون إلى حقائق لا تروق لمن يسوسهم ويفتحون الأذهان على حقائق يجب أن تبقى مدفونة.

هلا استجبنا إلى نداء العقل وداعي القلب؟! ■

بقلم : د. أحمد محمود كريمة

الفقه الإسلامي وعبث المجترئين

إن الفقه الإسلامي على ما هو معلوم لكل ذي بصر وبصيرة من أشرف العلوم العملية التي يجب العلم والاهتمام بها، يقول العزيز الحميد في قرآنه المجيد (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم...)(١).

ويقول سيدنا محمد - ﷺ - في سنته الراشدة «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين...»(٢)

والنصوص فيما سوى ذلك مشهودة مشهورة، معروفة مألوفة تنبو عن الحد وتجاوز العد، كلها توضح بجلاء قدر الفقه الإسلامي، وقدرته على تقديم الحلول للمعضلات لأنه القانون التشريعي العملي للشريعة الإسلامية، ولا تسود الشريعة بين الناس إلا به، لهذا كان ولا يزال وسيظل جزءاً رئيساً من الدين، ولهذا كانت الدعوة الإسلامية مرتبطة ارتباطاً كاملاً بعلم الفقه الإسلامي، حيث لا يمكن تبليغ الدعوة الإسلامية على وجهها الصحيح إلا من خلال علم الفقه الإسلامي، وتثور بين الفينة والفينة دعوات مريبة غريبة عجيبة داخلية وخارجية، من بعض المنسوبين للإسلام أو الخارجين أو الناقمين عليه، تدعو لإلغاء الفقه الإسلامي وإحلال فقه جديد محله، وتعزو هذه الدعوات تخلف المسلمين الثقافي والفكري والعملي إلى الفقه التراثي الموروث أو القديم كما يحلو لهم تسميته.

وكتب في هذا مقالات وأقيمت ندوات لا تعدو إلا أن تكون رجع صدى للأبواق المجترئة المهترئة التي لا تفتأ عن هز الثقة بالحضارة الإسلامية والتشكيك في ثوابتها وجذورها وأصولها.

والمؤلم والمحزن صدور تلك الدعوات المريبة من غير المتذوقين لأسرار وجمال التشريع الإسلامي، بل من غير المشتغلين به، وقد تعامى هؤلاء عن الأسباب الحقيقية لتخلف الناس من تعطيل الأحكام الشرعية، وسلخ الأمة عن هويتها الإسلامية، ومحاولة التعلق بأذيال الحضارة المادية الترفيهية لتكون الأمة تابعة لا متبوعة مشهود عليها لا شاهدة بزعم الحداثة أو المعاصرة، وهذه أمور بدهية يقف على سماتها من له أدنى حظ من المرجعية المعرفية.

إذا علم هذا، فإن نقاطاً أساسية فيما يتصل بموضوعنا ينبغي الإشارة إليها:

الأولى: العلاقة بين الشريعة والفقه والتشريع:

أ - تعريف الشريعة لدى الفقهاء: هي مجموعة الأحكام التي سنها الله - تعالى - للناس جميعاً على لسان رسوله محمد ﷺ - في الكتاب والسنة.(٣)

ب - تعريف الفقه لدى الفقهاء: هو العلم بالأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة التفصيلية، ويعني بها خطاب الشارع الحكيم المتعلق بأفعال العباد من فعل أو ترك، وما في ذلك من صحة وفساد ونفاذ ولزوم ووقف... إلخ.

وعلى ضوء هذا، فإن الفقيه من له ملكة خاصة وقدرة متميزة على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وهو بهذا المعنى شمل المجتهد في الأحكام الشرعية (٤) يقول الله تعالى: (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم...)(٥)

ج - تعريف التشريع: يُراد به - بالإطلاق العام - لدى الفقهاء: سن القوانين التي تنظم حياة الناس ومعاملاتهم.

أما التشريع الإسلامي فهو: «مجموعة الأوامر والنواهي والإرشادات التي يشرعها الله - تعالى - للناس ليعملوا بها ويهتدوا بهديها».

د - علاقة الفقه بالشريعة: الفقه الإسلامي أخص من الشريعة الإسلامية، لأنه أحد أقسامها الكلية، لأن الشريعة تشمل: العقيدة، الأخلاق، الأحكام العملية (الفقه)، فهو بمثابة النوع من الجنس، إلا أن الشريعة الإسلامية كثيراً ما تطلق ولا يُراد منها إلا الفقه، وهذا من باب إطلاق العام وإرادة الخاص، أي أنه إطلاق مجازي متعارف عليه.

هـ - علاقة الفقه بالتشريع: سلف القول أن التشريع مجموعة الأوامر والنواهي والإرشادات التي يشرعها الله - تعالى - للناس... والمشرع في الإسلام هو الله تعالى وحده فيما أنزله على رسوله محمد - ﷺ - أما الفقيه: فهو الذي يقوم بأعمال الفقه استنباطاً وتعلماً وتعليماً وتقنيناً. حتى يتم تطبيق الأحكام تطبيقاً سليماً يرتكز على الفهم الصحيح لها، وهذا لا يتأتى إلا عن علم ومعرفة بها، وهذا يتوقف بداهة على الفقهاء.

الثانية: مصادر الأحكام الشرعية إجمالاً: أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً على أن الحاكم الشارع الحكيم هو الله - تعالى - وهو مصدر الأحكام الشرعية، وأن المصادر التي يعتمد عليها الفقهاء ويلتمسونها في الأحكام الشرعية، إنما هي أدلة توصلنا إلى الحكم الصحيح الذي أراده الله - تعالى - أو خاطب به المكلفين، وهي التي تعرف بالأدلة التفصيلية، وهو تنوع بين أدلة أصلية وبين أدلة تبعية، لأنها ضربان:

أحدهما: ما يرجع إلى النص، وهي الأصلية «القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة».

ثانيهما: ما يرجع إلى العقل، وهي التبعية «الإجماع، والقياس والاستحسان والاستصلاح، وسد الذرائع، والاستصحاب، والعرف، وشرع من قبلنا»(٦).

واستنباط الأحكام الشرعية من هذه الأدلة لا يكون عن هوى أو كيفما اتفق، بل لابد من مسالك معينة يسلكها المجتهد، وقواعد يسترشد بها، وضوابط يلتزم بمقتضاها، وبهذا يكون اجتهاده صحيحاً، ووصوله إلى الأحكام الصحيحة ممكناً ميسوراً.

الثالثة: أسباب اختلاف الفقهاء إجمالاً:

لا خلاف بين المسلمين على أن المشرع الأصلي والأوحد هو الله - تعالى - فهو الذي يقرر الأحكام من وجوب وندب وحرمة وكراهة وإباحة، وله في كل أمر وفعل أو تصرف حكم شرعي، وأن مصدر الأحكام الشرعية وثبوت التكليف الشرعي بها في حق المكلفين الوحي المنزل على سيدنا محمد - ﷺ - واتفقوا على أن الخلاف في بعض الأحكام الجزئية التفصيلية يرجع إلى أسباب منها:

أ - الاختلاف في فهم دلالة النص الشرعي كالخلاف حول المراد من الكلمة والتردد بين حمل اللفظ على الحقيقة أو المجاز، عندما يحتمل الاثنين معاً من حيث الأصل والثاني بقرينة قوية.

ب - الاختلاف في العلم بالحديث: سنداً من حيث الحكم بالصحة أو عدمها، ومن حيث الدلالة اللفظية وفق ما سلف.

ج - الاختلاف في الأخذ ببعض الأدلة الأخرى كالقياس وصفة الإجماع، وحجية الأدلة الأخرى.

د - اختلاف الحكم باختلاف الزمان أو المكان: وهذا مرجعه إلى الظروف والملابسات طبقاً للعرف والمصلحة والحاجة ولزوال علة الحكم، والأمثلة والشواهد فيما سلف مبثوثة في المصنفات الفقهية.

وعلى ضوء ما تقرر وسلف فما وراء المجترئين على الأحكام الشرعية المستقرة المستنبطة من الأدلة التفصيلية من فقهاء الأمة عبر الأعصار والأمصار؟ وما مرادهم من تجديد الفقه؟ هل المراد تغيير الحكم الشرعي للأصول والفروع العامة فيقلب الواجب إلى حرام والحرام إلى مباح! من الذي يملك هذا؟ وممن يملك؟ ولمن يفعل؟ هل إهالة التراب على التراث الفكري الإسلامي جملة وتفصيلاً بدعوى مصلحة البلد ومقتضيات العصر هو الدافع لهذا العبث بأكبر أصل من أصول المسلمين؟ وبالتالي يبيح أدعياء العلم لأنفسهم تحليل الحرام وتحريم الحلال؟ هل يريدون فصم الأجيال المسلمة عن سلفها لتكون تابعة للركام من القوانين الوضعية البشرية، وتفصيل الأحكام تفصيلاً يتفق والأهواء ويتسق والمطامع والمطامح على حساب قدسية الشريعة وأصالتها؟

هل تطوع النصوص قسراً لمشاريع الحداثة، والعصرنة، وتستحدث أبواب فقهية جديدة مثل: نواقض المكياج بدلاً من نواقض الوضوء؟ وموجبات التخاذل بدلاً من موجبات الجهاد؟ وفقه المرأة الرياضية بدلاً من فقه المرأة المسلمة؟ وحقوق الأشبال والطلائع بدلاً من حقوق الأولاد؟ ويستحدث التشريع الجنائي في عقوبات من يعدد الزواج ومن يمنع المدام من السهر من الصديق؟ وماذا لو استعملت «سوسو» و«فيفي» شامبو بالبيض؟ وتعدل أحكام المواريث ليضاف ثلاثة أرباع للأخت مع وجود أخيها؟ ويُضاف لمصارف الزكاة مصرف إعانة أندية الروتاري والليونز والروتاركت... والأنتراكت؟ أجل هذا هو الثواب المرتقب للفقه الجديد وياما في الجراب يا حاوي! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! يا خلق الله يا معشر المتشدقين بالموضوعية والمنهجية البحثية طبقوا على أنفسكم الحد الأدنى مما تتشدقون به، وأعطوا القوس باريها وأسندوا العلم لأهل الاختصاص به، ولا تلجوا في بحر لاتعرفون مداخله ومخارجه، واتقوا الله في تراث المسلمين وفي شعوب المسلمين، ألا تعلمون أن الفقيه لابد أن يكون ملماً باللغة والحديث والتفسير وما يقتضي ذلك من أسباب نزول وأسباب ورود وسند الحديث ومتنه ودرجته وما يقتضيه ذلك من علم بأحوال الرجال، وكذلك علمه بلغات العرب ودلالات كلامها ونحوها وصرفها وغير ذلك مما يعرف خطره العارفون، ويجهله المتعالمون المجترئون، لماذا يا خلق الله أصبح فقه المسلمين كلأ مباحاً؟ وغدت الجرأة على الفتيا دون سند من علم أو ذرة من حكمة هي المطية الذلول لكل مأرب من مآرب الدنيا؟

إن كنتم حقاً تريدون الخير للمسلمين والتقدم والرقي فتأسوا بأسلافكم الذين سادوا الدنيا قروناً طوالاً، وكانت سيادتهم الدنيا خيراً للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم على السواء، فقد رأى أهل الذمة في سيادتهم من الخير والبر والإحسان ما لم يروه في سيادة بني جلدتهم.

الأحرى بكم أن تسعوا سعياً صادقاً حثيثاً للمحافظة على الفقه الإسلامي بتأصيل دراسته في الكليات والأقسام المتخصصة، وتعميم دراسته على شتى المراحل الدراسية بالجامعة كافة، وإنشاء معاهد ثانوية أزهرية فقهية ولو معهداً واحداً في كل منطقة للدراسة المتبحرة في الفقه الإسلامي وعلومه، وعمل لجنة مشتركة بين الأزهر ووزارة العدل للنظر العلمي في القوانين الوضعية الماضية والحاضرة والمستقبلة من جهة اتفاقها مع الأصول والقواعد التشريعية الإسلامية أم لا؟، وعمل قنوات اتصال مع المجامع الفقهية ذات الصلة لبحث المستجدات وفق أسس علمية معتمدة معتبرة.

ثم أليس من الغريب والعجيب ألا يكون بمصر الرائدة بأزهرها مجمع للفقه الإسلامي، ويكتفي بعدة لجان في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالأوقاف، ومجمع البحوث الإسلامية، ولم نسمع عن مؤتمرات فقهية جادة كالتي كانت منذ أمد بعيد، وقد قدمت فيها بحوث جادة هادفة.

فرق يا سادة بين تجديد الفقه وتطوير الفقه كالفرق بين الهدم والبناء، فهل من مستبصر؟! ■

الهوامش:

١ - الآية ١٢٢ من سورة التوبة.

٢ - رواه البخاري في كتاب العلم حديث رقم ٦٩.

٣ - المدخل لدراسة الفقه د. محمد الحسيني ص ٨، والمدخل الوسيط لدراسة الشريعة الإسلامية د. نصر فريد ص ١٣ بتصرف.

٤ - التعريفات للجرجاني مادة (فقه).

٥ - الآية ٨٣ من سورة النساء.

٦ - انظر فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ٥٤/١ وما بعدها، وإرشاد الفحول للشوكاني ص٥، الآمدي ١٢٧/١ وما بعدها، والمستصفى ١٤٩/١:١٧١، والإحكام لابن حزم ١٠٨/١، وما بعدها، وأصول السرخسي ٣٤١/١، والموافقات ٢١/٣ وما بعدها، والوجيز في أصول الفقه د. عبدالكريم زيدان، وأصول التشريع الإسلامي للشيخ علي حسب الله.

يقلم : محمد يوسف الجاهوش

رجال ومواقف

الزمان: أحد شهور سنة مئة وثلاث وثلاثين من الهجرة المباركة.

المكان: دمشق الفيحاء، وفي قصر من قصور بني أمية بعد زوال دولتهم، وتحوّل ملكهم إلى بني العباس.

يجلس في صدر المجلس والي دمشق الجديد عبد الله بن علي. عم الخليفة السفاح. في يده خيزرانة، والمسوّدة. لابسو السواد من الجنود. عن يمينه وشماله، السيوف بأيدي بعضهم مصلتة، وعَمَد الحديد بأيدي آخرين.

هاماتهم ممتدة، وجوههم معروقة، وأجسامهم ممشوقة، مشدودة شد الوتر، تدور أعينهم، ترقب الحركة والسكون، وتستنطق اللحظ والإشارة، متوثبين لأمر يتلقونه، ليكون التنفيذ أسرع من ارتداد الطرف، أو رجع الصدى.

ساد الوجوم، وخيم الهدوء، فلا حديث، ولا كلام، الكل ينتظر نطق الوالي، وماذا عسى أن تكون أوامره!

لم يطل الصمت كثيراً، فها هو ابن علي يقطع هدوء المجلس وصمته، ويقول: أرسلوا في طلب الشيخ عبد الرحمن بن علي الأوزاعي، فإنه سيد جليل وفقيه عليم، وإمام يقتدى به، وقد بلغني أنه عندما ذهب لأداء فريضة الحج دخل مكة وسفيان الثوري آخذ بزمام جمله، ومالك بن أنس يسوق به، والثوري يقول: افسحوا للشيخ، حتى أجلساه عند الكعبة، وجلسا بين يديه، يأخذان عنه.

وإني أريد أن أعرف موقفه من دولتنا الجديدة، وما الذي يعتمل في نفسه بعد زوال بني أمية وانهيار دولتهم، وقد عرف عنه أنه من العلماء الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، الصرحاء في قول الحق.

ومِثْل هذا يمثل نبض العامة، ويسهم إسهاماً وافراً في تشكيل رؤاهم، وتوجيه آرائهم.

الأوزاعي في مجلس الوالي:

حضر الأوزاعي بعد ثلاثة أيام، وأُدخل على الوالي.

الأوزاعي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لم يردَّ أحد السلام، الكل صامت واجم، والوالي ينكت الأرض بخيزرانته!

وقف الأوزاعي بعد إلقاء السلام ساهماً، يجيل الطرف في المجلس فيرى السيوف مصلتة، وعَمَد الحديد مهيأة، والوجوه عابسة متجهمة، والكل نحوه شاخص.

ذهبت به الأفكار مذاهب شتى، ومرت الخواطر خواطف كالبروق المرعدة: ما الذي يريده الوالي الجديد مني؟ وعمّ عسى أن ينجلي هذا المشهد؟!

ولِمَ أعدَّ الجند الأسلحة والعتاد، المقاتلة فقيه معلم، ومحدّث مفسّر، وقف نفسه لدعوة الله تعالى، ونشر تعاليم دينه، وتبصير الناس بحقائق هذا الدين ومفاهيمه؟!

كان نُطق الوالي أسرع من استرسال الإمام في أفكاره وخواطره، فقطع عليه ما هو فيه عندما ناداه:

يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن البلاد والعباد؟ أجهاداً ورباطاً هو؟

الأوزاعي: أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول: سمعت علقمة بن أبي وقاص يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله

ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

صمت شديد، والأمير ينكت الأرض بخيزرانته أشد من ذي قبل، وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم. ولكن الوالي يتابع الكلام:

يا أوزاعي، ما تقول في دماء بني أمية؟

الأوزاعي: قال رسول الله - ﷺ - «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

الوالي: يا أوزاعي، ما تقول في أموالهم؟

الأوزاعي: إن كانت في أيديهم حراماً فهي حرام عليك أيضاً، وإن كانت لهم حلالاً فلا تحل لك إلا بطريق شرعي.

اشتد تجهم الوالي، وازداد نكته بخيزرانته، وأطرق إطراقة طويلة، والجند يرقبون تحرك شفتيه، ليبتدروا تنفيذ ما يأمر به، وظن الأوزاعي أن روحه ستزهق لا محالة، وأنه لن يغادر المجلس حياً!

الوالي: ألا توليك القضاء؟

الأوزاعي: أيها الأمير: إن أسلافك لم يكونوا يشقون عليّ في ذلك، وإني أحب أن يتم ما ابتدأوني به من الإحسان.

الوالي: بلغني أنك صائم منذ ثلاثة أيام، فهلا أفطرت عندنا؟

الأوزاعي: حبذا لو أعفاني الأمير، ومثله أهل للعفو والكرم.

الوالي: كأنك تحب الانصراف؟

الأوزاعي: إن ورائي حرماً، وهم محتاجون للقيام عليهن وسترهن، وقلوبهن مشغولة بسببي!

يقول الأوزاعي: وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي. ولكن الله حفظ وسلم.

الوالي: اذهب راشداً، وحبذا لو تعهدتنا بالنصيحة.

يسلم الأوزاعي مستأذناً بالانصراف، مبتدراً الباب، يشعر وكأنه ولد من جديد.

ما إن غادر بهو القصر، يتلمّس الطريق إلى الخارج حتى سمع رسول الأمير يناديه، فذهل حتى كاد يُصعق، وحسب أن الأمير قد بدا له في أمره، فأخذه من الهمّ ما حسب معه أنه ميت لا محالة، ولكن الرسول ابتدره قائلاً: هذه المئة دينار من الأمير. وهو يقول لك: استنفق هذه.

قال الأوزاعي: فأخذتها وتصدقت بها، وما أخذتها إلا خوفاً من أني لو رفضتها أن تكون القاصمة.

درس وعبرة:

* هلاك القرون وتداول الأيام بين الناس: سنة كونية، لا تتخلف ما تعاقب الليل والنهار. فما طلع نجم سعد على قوم إلا بغيابه عن آخرين.

* وقد مضت سنة الله في خلقه الا يستمر ظلم مهما طال أمده، وامتد ليله، ومهما زهت دنيا أصحابه، وكثرت نعماؤهم، وأحاطوا أنفسهم بأدوات القوة وأسباب البقاء.

إن من يركن إلى ذلك فقد خدعته نفسه وغرته الأماني، وجهل سنن الله في كونه، ولم يعتبر بمصير من سبقه ممن أمهلهم الله، فلما تمادوا في المعاصي والذنوب ولجُّوا في الظلم والطغيان لم يهملهم. بل أخذهم بذنوبهم وما كانوا معجزين (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) ٦ - الأنعام

ولا يماري عاقل في أن انغماس أولي الشأن بالترف والنعيم والغفلة عن إقامة العدل، ومتابعة الأمور، للتغلب على أسباب الضعف وعوامل الزوال من أقوى الأسباب التي تعجل بوقوع البلاء ونزول المكروه.

وإن من عبر التاريخ التي يجدر تأملها والإفادة منها: ما رواه ابن كثير في كتابه البداية والنهاية ١٠/٥٠ عن آخر خلفاء الدولة الأموية مروان بن محمد قال: جلس مروان - آخر خلفاء بني أمية - يوماً وقد أحيط به، وعلى رأسه خادم له قائم. فقال مروان لبعض من يخاطبه: ألا ترى ما نحن فيه؟ لهفي على أيد ما ذُكرت، ونعم ما شُكرت، ودولة ما نُصرت.

قال الخادم: يا أمير المؤمنين، من ترك القليل حتى يكثر، والصغير حتى يكبر، والخفي حتى يظهر، وأخر فعل اليوم إلى الغد، حل به أكثر من هذا.

قال مروان: هذا القول أشد عليّ من فقد الخلافة.

ولئن كان هذا القول أشدّ على مروان من فقد الخلافة فإنه - وأمثاله من الأمور عندما تتفشى وتستشري، ولا تجد من يحاصرها ويقاوم المفسدين والمهملين الذين يتسببون في حصولها تكون من أقوى الأسباب التي تعجل بزوال النعمة وحلول البلاء.

* ومن الدروس التي يجب أن يتنبه لها الدعاة ولا تغيب لهم عن بال: أن التزام الصدق وموقف الحق أبرز أسباب النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وكم نجا رجال من مواقف ما ظن أحد خروجهم منها بسلام، لكن الله تعالى حفظهم بصدق نياتهم، وإخلاصهم، وابتغائهم وجه ربهم بما يفعلون أو يذرون.

* ولا عجب «فإن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء».

* فالمسلم الصادق عندما يصدع بالحق على هدى من كتاب الله وسنة رسوله، ولا يبتغي من وراء ذلك سوى مرضاة الله تعالى فإن الله يتولى حفظه وحمايته، ويصرف عنه كل من يريده بسوء.

* فإخلاص النية في تبليغ الحق صمام الأمان الذي يشكل حاجزاً منيعاً بين صاحبه وبين من يتوخاه بسوء، أو يريده بشر.

وهو - كذلك - المعيار الذي يمتاز بموجبه الدعاة الصادقون عن المدعين الكاذبين.

سدد الله الخطى ووفق الجميع، والحمد لله رب العالمين. ■

تأليف: د. محمود حمدي زقزوق

عرض : د. أحمد محمد سالم

هموم الأمة الإسلامية

● د. محمود حمدي زقزوق

مما لا شك فيه، أن المؤلفات الفكرية لأصحاب القيادات الدينية، تحمل العديد من الأوجاع والهموم الخاصة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، ولعل كتاب د. محمود حمدي زقزوق «هموم الأمة الإسلامية» من المؤلفات التي تحمل العديد من القضايا المهمة ولعل أهم القضايا التي عالجها الكتاب كالتالي:

١ ـ مفاتيح الحضارة في ضوء الأمر الإلهي اقرأ

وفي هذا الفصل يرى د. زقزوق أن أول ما نزل على الرسول الكريم من آيات كان يخص الإنسان على إعمار الأرض مادياً، ومعنوياً، أي صنع الحضارة فيها، ومن هنا كانت الآيات الخمس الأولى التي نزلت على النبي محمد ﷺ : (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) ومن هنا تظهر دعوة الإسلام إلى الإعمار والبناء، والعمل من أجل الخير، والحق، وهذا ما يعني أن الإسلام إنما جاء من أجل الإنسان وسعادته في دنياه وأخراه (ص١٤).

ويرى د. زقزوق أن أول كلمة كانت من الوحي الإلهي على محمد ﷺ ، وهي «اقرأ» تتجه إلى مخاطبة هذا العقل كما وردت في هذه الآيات الأولى من الوحي الإشارة إلى القلم، والعلم، وهذا تأكيد على أهمية القراءة التي هي مفتاح العلم، وبالتالي مفتاح الحضارة، وتأكيد على أهمية تدوين العلم بالقلم، وحفظه من الضياع، لتستفيد منه الأجيال، وذلك من المهام الرئيسة للعقل الإنساني»(ص١٧)، ومن الواضح أن الإسلام بذلك يؤكد على أهمية العلم، ودوره في بناء حياة الإنسان على الأرض ومن هنا يطالبنا د.زقزوق بضرورة تعلم منجزات العلم للتحرر من سيطرة الغرب على شؤون حياتنا، وهذا ما يتفق مع دعوة القرآن الإنسان إلى التعلم والقراءة، وتحصيل المعارف الإنسانية.

ومن ناحية أخرى، يؤكد د.زقزوق على تركيز الإسلام على أهمية الإنسان، ومخاطبة القرآن الكريم له فيقول: «وجدنا القرآن الكريم ـ وهو الكتاب المقدس للمسلمين ـ يشتمل على موضوع رئيس هو الإنسان، فكل ما في القرآن إما حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان، أو أمر يتصل بشكل أو بآخر بالإنسان، فالإنسان هو قضية القضايا في الدين، وهو محور الكون، وهو سيد في الكون، والدين الإسلامي هو الذي أعطى له هذه المكانة المتفردة، لأنه خليفة الله في الأرض، وأسند إليه مهمة تعمير الكون، وصنع الحضارة فيه» (ص٨).

ويؤكد د. زقزوق على أن الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة واقعية يلبي من ناحية حاجاته المادية، وفي الوقت نفسه لا يهمل حاجاته الروحية، ومن خلال هذا المزج الفريد المتوازن بيّن أنه بهذين الجانبين تستقيم حياة الإنسان، وبالتالي يكون شخصية قوية، وهذا ما ورد في الآيات التالية:

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا) القصص:٧٧.

(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) الأعراف:٣١. (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) الإسراء:٢٩.

وإذا كان القرآن قد دعا الإنسان إلى عمارة الأرض، فإن تخلف

المسلمين عن عمارة الأرض يعني أنهم تخلفوا عن مسؤوليتهم وتركوها لغيرهم. (ص١٩).

ومن ثمّ، فإن تخلف المسلمين الآن يرجع إليهم، وليس إلى الإسلام، فالإسلام سيظل شامخاً بتعاليمه، وإذا اشرأبت أعناق المسلمين، وقلوبهم نحوه - بصدق - جذبهم إلى أعلى، وإذا أرادوا أن يخضعوه لنهمهم السقيم تخلى عنهم وتركهم يسقطون في هذا التخلف» (ص٢٩)، ومن ثمّ فلن يتحقق التقدم للمسلمين إلا باستعادة الوعي بالإسلام بوصفه دين العقل، والعلم، والحضارة.

٢ ـ الإسلام وتحديات القرن الحادي والعشرين:

وفي هذا الفصل يعالج د.زقزوق أهم التحديات التي يواجهها الإسلام في الفترة الراهنة ويقسمها إلى تحديات داخلية، وأخرى خارجية:

أ ـ تحديات داخلية: وتشمل على :

١ ـ ظاهرة الإرهاب: وتعد هذه الظاهرة على رأس التحديات الداخلية التي تواجه العالم الإسلامي، لأنها تهدف إلى زعزعة الاستقرار في المجتمع المسلم، وتهدد أمن الوطن وهذا ما يتضح في حادث الأقصر الذي أضر بسمعة مصر، وصورة الإسلام في الخارج (ص٣٧).

٢ ـ الفهم الخاطئ للإسلام: الإسلام دين الاعتدال والوسطية يكره التطرف والغلو ويدعو إلى التيسير على الناس والرحمة بهم، ورغم هذا فإن د.زقزوق يرى أن هناك اتجاهات تفسر الإسلام على هواها وتريد أن تشده ناحية اليمين مرة، وناحية اليسار مرة أخرى، وذلك بتفسيرات خاطئة تجعل منه إما ديناً جامداً متقوقعاً لا يقوى على مسايرة الزمن، ولا يراعي متغيرات الحياة، وإما أن تجعله ديناً دموياً عدوانياً، ولا مكان لهذه الاتجاهات في الإسلام (ص٣٨)، ومن ثمّ يرى د.زقزوق أنه لابد من تقديم فهم مستنير للإسلام وتعاليمه، ويكشف عن الوجه الحضاري لهذا الدين الذي تتماشى تعاليمه مع كل زمان، ومكان، وبيان قدرته على التطور، ومواجهة متغيرات الحياة، وتاريخ الإسلام شاهد على ذلك. (ص٤٠)

ب ـ تحديات خارجية: وتشتمل على مسائل عدة :

١ ـ الخوف من الإسلام في الغرب: حيث إنه في الفترة الأخيرة راح الغرب يبحث عن عدو بديل للشيوعية، ولم يجد إلا الإسلام ليكون هو العدو البديل، إذ يبدو أن الغرب لا يستطيع أن يعيش دون أن يكون له عدو، ومن ثم بدأ الحديث في الغرب عن الأصولية الإسلامية، والإرهاب الإسلامي، والخطر الذي يهدد الحضارة الغربية من هذا الشر المدمر الذي هو الإسلام في زعمهم. (ص٤١)

الحملات الضارية ضد الإسلام والمسلمين اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة

٢ ـ صراع الحضارات: ويرتبط بقضية الخوف من الإسلام في الغرب الترويج لنظرية صراع الحضارات، وأن هذا الصراع أمر حتمي، وبطبيعة الحال يوضع في الاعتبار في هذا التفكير صراع الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، ويرى د.زقزوق أنه إذا كان البعض في الغرب يتبنى حتمية صراع الحضارات، فإن الإسلام كدين لا يرى ذلك أمراً حتمياً لا مفر منه، لأنه الصراع القائم بين البشر لا يقتصر على الصراع بين الحضارات، فهناك صراعات تبرز بين البشر داخل الحضارة الواحدة وكذلك فإن الإسلام يؤمن بالتعددية، كما يبدو من الآية الكريمة (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) الحجرات:١٣.

احتضان الغرب لسلمان رشدي حلقة من حلقات المخطط الإعلامي ضد الإسلام

٣ ـ العولمة: حيث ظهر منذ سنوات ما يسمى بالنظام الجديد، وذلك بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وأصبح الحديث عن العولمة أمراً مطروحاً، ويعد نظام العولمة من التحديات الكبرى التي تواجه العالم الإسلامي في القرن المقبل، فهل يمكن إخضاع المسلمين لهذا النظام. (ص٤٤)، ويرى د.زقزوق أن حقائق الإسلام وطبيعته، لا يمكن أن تذوب في أي نظام آخر، فله ذاتيته، وكيانه الخاص، ولكن هذا التصور الإسلامي لا يتناقض مع أية كيانات أخرى لأن التعددية الدينية والحضارية قد كفلها الإسلام، منذ قامت للإسلام دولة (ص٤٤).

٤ ـ التطورات العلمية: وبالإضافة إلى التحديات السابقة تحدي آخر، وهو التطورات العلمية المتلاحقة على الأرض، وفي الفضاء، والتي تسارعت خطاها على نحو مذهل، ووصلت إلى إتمام الاستنساخ الكامل لبعض فصائل الكائنات الحية فأين موقف الإسلام والمسلمين من هذه المرحلة؟ وهل استعد المسلمون للمشاركة الجادة في الجهود العلمية؟ (ص٤٥).

ويؤكد د.زقزوق على أن الإسلام يساعد العلم، ويدعم مسيرته، ولا يمكن أن يكون هناك تعارض بين الإسلام، وحقائق العلم بأي شكل من الأشكال، ومجال العلم في الإسلام غير محدود، فهو يشمل السماء والأرض، وما بينهما، فليس هناك قيود، ولا سدود في الإسلام تقف في طريق التقدم العلمي مادام ذلك في مصلحة الإنسان، وهذه المصلحة تحوطها القيم الأخلاقية بسياج يحميها من سوء الاستغلال (ص٤٦).

وعن موقف الإسلام من الاستنساخ يرى د.زقزوق أن الاستنساخ إذا كان فيه مصلحة للإنسان في مجال النبات والحيوان فلا يستطيع عاقل أن يرفضها، أما الاستنساخ في مجال الإنسان فليس هناك اتفاق على أنه يحقق مصلحة واضحة للإنسان، بل العكس هو الصحيح لأنه يترتب عليه مشكلات عديدة على المستويات الدينية والأخلاقية والاجتماعية، والقانونية وغيرها. (ص٤٧)

٤ ـ الدين في مواجهة الإرهاب:

وفي هذا الفصل يؤكد د.زقزوق أن الإسلام دين تعمير لا تخريب، وأنه يراعي حقوق الإنسان، وأن الإسلام يؤكد على قيم الأخوة والتعاون.

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على

الإثم والعدوان) المائدة:٢، فهذه القيم هي التي تؤدي إلى التعمير والبناء، ولهذا فإن حضارة الإسلام هي حضارة العلم والعمل، والمسلمون مطالبون بالتعلم، والعمل حتى يعمروا الأرض. (ص٥٥)، ومن ثم فإن طبيعة الإسلام تأبى الإرهاب، وقتل النفس دون وجه حق، أو الفساد في الأرض، والتخريب فيها.

ومن جانب آخر يؤكد د.زقزوق على أهمية الاستنارة الدينية، أو التفكير العلمي، ويعني د.زقزوق الاستنارة الدينية أنها «تعني أن نعمل العقل في فهمنا للدين، وأن نقرأ الدين في ضوء مقررات العقل السليم... وإذا كان الدين الإسلامي لا يتعارض مع العقل، فإن الاستنارة الدينية أمر مطلوب وضروري، لأنها تعني استبعاد التفسيرات الخرافية واللاعقلية في فهم الدين، وظواهر الكون، ورفض ما يتعارض مع مقررات العقل السليم. (ص٦١)، ومن هنا يتضح مدى أهمية التوعية الدينية المؤسسة على مقررات العقل، والتوعية المبنية على المناهج العلمية الصحيحة، حتى يتبين أنه ليس هناك أساس للخصومة المصطنعة بين العلم والدين، فهذه الخصومة ليست في صالح الدين، ولا في صالح العلم، ولا في صالح المجتمع، وعلينا أن نربي أبناءنا، وبناتنا على هذه الأسس التي تهيئهم للإسهام الجاد في بناء المجتمع وتقدمه، وازدهاره، وفي الوقت نفسه تعصمهم من الانحراف، أو الجمود والانغلاق (ص٦٥)، ومن ثم نلاحظ مدى تأكيد د. زقزوق على أهمية الفهم السليم للإسلام الذي يتوافق مع مسلمات العقل، الفهم الذي يكشف معدن الإسلام الحقيقي، ولا يؤدي إلى تصرفات إرهابية تسيء إلى الإسلام والمسلمين في جميع أرجاء العالم.

٤ ـ الإسلام والاستشراق:

مما لا شك فيه أن الدراسات العربية حول الاستشراق عديدة، إلا أن دراسة د.زقزوق حول علاقة الإسلام بالاستشراق، تكشف لنا العديد من الجوانب الجديدة، فهو يرى أن «الواقع الذي لا يمكن إنكاره، هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجاباً أو سلباً، أردنا أم لم نرد، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نتجاهله، أو نكتفي بمجرد رفضه، وكأننا بذلك قد قمنا بحل المشكلة، إننا لو فعلنا ذلك لكنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال» (ص١٤٥).

ويرى د.زقزوق أن الدوافع الأولى للاستشراق كانت «تتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الإسلامي والمسيحي في الأندلس، وصقلية، كما أدت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوروبيين بتعاليم الإسلام وعاداته، وقد نشط اللاهوتيون المسيحيون في ذلك الوقت ضد الإسلام، وزعموا فيه ما زعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة، وأن محمداً ـ ﷺ ـ ليس إلا صنماً وإله قبيلة وشيطاناً» (ص١٤٦)، ويرى د.زقزوق أن هذا الاتجاه الخرافي عن الإسلام ورسوله ما يزال للأسف ـ حياً في العصر الحاضر في كتابات بعض المستشرقين... ولكن على الرغم من سيطرة هذه النظرة عن الإسلام في بعض الكتابات الاستشراقية إلا أن هناك اتجاهاً آخر أنصف الإسلام وقدم صورة مشرقة عن الإسلام، ونبيه ﷺ، ونظر إلى الإسلام بوصفه مهد العلوم الطبيعية، والطب، والفلسفة» (ص١٤٨).

من الضروري على مؤسسات الدعوة أن تقوم بتنشيط الدافع الذاتي لدى المسلمين

ويكشف د.زقزوق عن علاقة الاستشراق بالاستعمار فيقول: «كان للمد الاستعماري في العالم الإسلامي دوره في استخدام فئة من المستشرقين للمساعدة على تحقيق الأهداف الاستعمارية في بلاد المسلمين عن طريق دراستهم الموجهة إلى خدمة الاستعمار» (ص١٥٣).

ومن ناحية أخرى يكشف د.زقزوق عن علاقة اليهود بالمؤسسات الاستشراقية فيقول إن «اليهود دخلوا ميدان الاستشراق بوصفهم الأوروبيين لا بوصفهم يهود، وبذلك فقد كسبوا مرتين، كسبوا أولاً فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية، وكسبوا ثانياً تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام، وهي أهداف تلتقي مع أهداف غالبية المستشرقين المسيحيين، فقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينون كل فرصة متاحة ليكيدوا للإسلام والمسلمين، وقد وجدوا في مجال الاستشراق باباً ينفثون منه سمومهم ضد الإسلام» (ص١٥٤).

وإذا كان د. زقزوق قد اهتم بكشف النقاب عن علاقة الاستشراق باليهود، والاستعمار، فإن هذا لم يمنعه عن بيان الجوانب الإيجابية للاستشراق، فيرى أن أهم هذه الجوانب هي «إخلاص بعض المستشرقين ـ في العمل الثقافي، وتحقيق العديد من المخطوطات التراثية النادرة، وتأليف دائرة المعارف الإسلامية، وتأليف العديد من المعاجم المهمة عن الحضارة العربية» (ص١٥٥).

وبالإضافة إلى الجوانب الإيجابية، فإن هناك العديد من الجوانب السلبية ولعل أهمها «النظر إلى الإسلام أحياناً بمنظار القرون الوسطى المليئة بالضغينة على الإسلام، وعدم الموضوعية في اتهام الإسلام بأنه غير قادر على الإبداع والاجتهاد، وذلك لصالح العقل الغربي، ومحاولة المستشرقين التأكيد على أهمية الفرق المنشقة عن الإسلام كالبابية والبهائية، والقاديانية ومحاولة تعميق الخلاف بين السنة والشيعة، وكذلك من مساوئ الاستشراق تحالف بعض المستشرقين مع الاستعمار وذلك لخدمة أغراض استعمارية» (ص١٥٥).

وجود تلميذة مسلمة تغطي رأسها في مدارس الغرب أمر يشغل الرأي العام الغربي كله !!

وفي النهاية يدعو د.زقزوق إلى بناء استراتيجية عربية إسلامية تعمل على مواجهة الاستشراق والرد على سلبياته من خلال وجهة نظر أكاديمية عن الإسلام وتعاليمه.

٥ ـ دور مؤسسات الدعوة حيال الغزو الفكري

وفي هذا الفصل يرى د.زقزوق أن مؤسسات الدعوة مفهوم واسع يشمل وزارات الأوقاف، والمساجد التي تتبعها وما تقوم به من توعية دينية،

وتشمل أيضاً معاهد التعليم التي تعني بالتكوين الإسلامي، ومجالس الشؤون الدينية، وكل مؤسسة أو منصة إعلامية تهتم بالتوعية الدينية.

ويعرف مفهوم الغزو الفكري «بأن هذا المفهوم يقصد به كل التيارات الفكرية الهدامة الواردة من الغرب الرأسمالي أو الشرق الماركسي» (ص١٧٧). ويرى د. زقزوق أن دور مؤسسات الدعوة في مواجهة الغزو الفكري يتحقق من خلال عدة بنود رئيسة:

أ ـ تحصين الجبهة الداخلية: من الضروري على مؤسسات الدعوة أن تقوم بتنشيط الدافع الذاتي لدى المسلمين، وإبراز القيم الإسلامية المنسية مثل: قيم العمل، والوقت، والحق، والخير، والجمال وترسيخ هذه القيم في النفوس، فلن يجدينا في شيء أن نكتفي بسرد تاريخنا المشرق، والتغني بما كان لنا من أمجاد سابقة» (ص١٩١)، ومن ناحية أخرى، فإن د. زقزوق يرى أنه من الضروري تدريس الثقافة الإسلامية في الجامعات الإسلامية حتى لا يترك الطالب في هذه المرحلة الحاسمة من مراحل حياته نهباً لشتى التيارات الفكرية دون أن يكون لديه حصانة كافية من دينه وتراثه وقيمه، ودون أن يكون لديه الانتماء الراسخ لعقيدته وتاريخه» (ص١٨٣).

ب ـ المواجهة المباشرة: يرى د. زقزوق أنه من الضروري مواجهة الغزو الفكري مواجهة مباشرة عن طريق دراسة هذه التيارات، وتفنيدها وحماية المسلمين من أخطارها» (ص١٧٤).

ج ـ خطوات عملية: وهنا يطالب د. زقزوق بضرورة اتخاذ عدة خطوات عملية لمواجهة الغزو الفكري مثل إنشاء مركز علمي للدراسات الاستشراقية، ومركز علمي لدراسة التيارات المعاصرة، وموسوعة إسلامية عالمية، وجهاز عالمي للدعوة الإسلامية في الخارج» (ص١٨٩) هذه المؤسسات يكون دورها عرض الإسلام بشكل موضوعي، ومحاربة التيارات الهدامة.

٦ ـ مستقبل الإسلام في الغرب

وفي هذا الفصل يرى د. زقزوق أن الإسلام في الغرب يتعرض لتحديات عديدة، وذلك لظهور الخوف من الإسلام بطريقة شديدة في أوروبا لدرجة أن أحد علماء الطبيعة الألمان الذي كان من المعارضين لإنشاء مركز إسلامي في العاصمة الألمانية ـ بون ـ عبّر عن مقدار سوء الظن بالمسلمين قائلاً: إنه أحب لديه أن يبنى «مفاعل ذري» أمام باب منزله من أن يُبنى مركز إسلامي معللاً بأن المفاعل الذري يمكن أن يحسب حسابه، أما المسلمون فلا يستطيع المرء أن يتنبأ بالأخطار التي ترد منهم» (ص١٩٨)، وقد أصبح وجود تلميذة مسلمة تغطي رأسها في مدارس الغرب أمر يشغل الرأي العام الغربي كله بوصفه ذلك أمراً يتعارض مع التقاليد والحضارة الغربية، ولأنه في الوقت نفسه يذكر الناس هناك بالإسلام، وهذا في حد ذاته أمراً غير مرغوب فيه» (ص١٩٨).

الإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة واقعية يلبي من ناحية حاجاته المادية ولا يهمل حاجاته الروحية

ومن ثمّ يرى د. زقزوق أن المسلمين يواجهون في الغرب مشكلات دينية، واجتماعية، وحضارية، وسلوكية، وأصبح الوجود الإسلامي في الغرب يتعرض اليوم لأبشع الحملات الإعلامية، وموجات الكراهية، والتخويف من جانب الجماعات المتطرفة من النازيين الجدد في ألمانيا، واليمينيين المتطرفين في فرنسا، وغيرهما من الجماعات المتطرفة في بلاد غربية أخرى، وهي حملات ليست موجهة ضد المسلمين كأشخاص فحسب، بل ضد الإسلام بوصفه ديناً غير مرغوب فيه، وما احتضان الغرب لسلمان رشدي، والدفاع عنه، إلا حلقة من حلقات هذا المخطط الإعلامي ضد الإسلام» (ص١٩٩)، ويفسر د. زقزوق هذا العداء من الغرب تجاه الإسلام إلى سوء فهم الغرب للإسلام، وسوء الفهم هذا نتاج تشويه متعمد للإسلام منذ قرون طويلة، فالحملات الضارية ضد الإسلام اليوم ليست وليدة ظروف جديدة طارئة، وإنما هي نتيجة ترسبات قديمة ترسخت في العقلية الغربية منذ فتح الأندلس» (ص٢٠٠).

ويرى د. زقزوق أنه من العجب أن يجد المرء الأديان الأخرى، وبخاصة الأديان البشرية تعامل من جانب الغرب معاملة منصفة، والإسلام وحده من بين كل أديان العالم هو الذي يهاجم، ويُساء إليه، وهو وحده الذي يرمي بكل النقائص، وترتعد فرائص الغربيين حينما يسمعون عما يسمى بالصحوة الإسلامية في بعض بلاد المسلمين، وينظر الغرب اليوم إلى الإسلام على أنه هو ذاته العدو البديل بعد انهيار الاتحاد السوفييتي... ولعل هذا ما يتضح في وقوف الغرب موقف المتفرج لأكثر من عامين من مأساة البوسنة والهرسك، وقد ظلت أوروبا تنافق طوال هذه المدة، وتكتفي بإصدار بيانات الشجب والاستنكار إلى أن يحقق الصرب أهدافهم» (ص٢٠١).

ويؤكد د. زقزوق على أن مستقبل الإسلام في الغرب يتوقف على المسلمين القاطنين في العالم الإسلامي، والمسلمين المقيمين في الغرب، وذلك من خلال الاتحاد في العمل على مواجهة هذا العداء من خلال:

١ ـ إنشاء دائرة معارف إسلامية باللغة العربية واللغات الأجنبية تعرض الإسلام عرضاً علمياً.

٢ ـ ترجمة معاني القرآن الكريم.

٣ ـ إصدار موسوعة فقهية مختصرة باللغات الأجنبية تشتمل على كل ما يهم المسلم معرفته في حياته التمهيدية.

٤ ـ ضرورة فهم العقلية الغربية.

٥ ـ ضرورة اتحاد المجموعات الإسلامية في الدول الغربية، وتوثيق الروابط فيما بينها.

٦ ـ ضرورة إيجاد الصيغة المناسبة للحفاظ على الذاتية الإسلامية للمسلمين في الغرب.

لا بد من بناء استراتيجية عربية إسلامية تعمل على مواجهة الاستشراق والرد على سلبياته

وخلاصة القول: إن كتاب «هموم الأمة الإسلامية» يتعرض للعديد من القضايا الشائكة التي تواجه العالم الإسلامي، وكيفية مواجهتها. ■

بقلم : محمد علي وهبة

تائب إلى الله

جلس مهموماً بجوارها، وهي غارقة بكل أحاسيسها داخل رأسها، تفكر في إيجاد مخرج من الورطة التي وضع نفسه ووضعها معه في جحيمها، فكانا عائدين حالاً من بيت العروس، التي يهيم بها حباً، وترتعد هي منها ومن أهلها رعباً، حتى أنها فور خروجهما من عندهم، قالت له بنبرات صوت قاطعة متوجعة:

- لا أوافق على هذه العروس!

سألها متعجباً:

- لماذا يا أمي؟!

قالت وهي تلوي شفتيها بامتعاض:

- منبتها غير مأمون!

كان لقولها تأثير الصدمة على قلبه، فظل ملجوم الحلق، وهو يسير بجوارها، دون أن ينطلق بشيء، حتى وصلا إلى البيت.

ظل يتأملها، وهي جالسة أمامه في صمت، ثم قال بانفعال:

- مالي أنا ومنبتها؟!

أطاحت برأسها نحوه، وهي تنظر إليه، وعيناها تتسعان وتشتعلان، وكانت تود أن تثور غاضبة في وجهه، الذي ترى فيه صورة وجه المرحوم أبيه، الذي تجله كثيراً لهدايته، واستقامته التي ظل محافظاً عليها حتى وافته منيته، أخيراً هزت رأسها أمامه، وهي تقول في هدوء:

- إن الرسول ﷺ حذرنا من التزوج بهذه الطريقة.

وذكرت له أنه ﷺ قال:

«إياكم وخضراء الدمن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء».

كانت تتوقع منه أن يوافقها على رأيها، لكنها رأت بوادر إحساس بالانقباض والرفض ترتسم على ملامح وجهه، ثم فوجئت به يقول، وهو يضغط على الكلمات بين شفتيه:

- إني أراها مفتاحاً للسعادة!

صاحت في وجهه:

- وإني أراها مفتاحاً للتعاسة!

لا يدري كيف انفلت منه عيار أعصابه، وهو ينهرها بشدة قائلاً:

- أرجوك يا أمي... لا تتحدثي عنها هكذا!

أصابها الوجوم، وغشت عينيها سحابات الغيوم، وهي تتأمله بنظرات مصدومة وأحاسيس مطعونة، فكانت لهجته معها نارية حارقة، ونبرات صوته خارقة صاعقة، وملامح وجهه مشتعلة بغضب كشوب من حميم في نار الجحيم، وذراعاه تعتصران، وهو يلوح بهما أمام وجهها في احتقان ملعون، حتى أن الدم كان موشكاً على الهروب من عروقها، وأوشكت أنفاسها على الانقطاع من فرط إحساسها بفجيعتها فيه، فلم تصدق أنه وليدها وفلذة كبدها، الذي ذاقت مرارات الدنيا في حمله ووضعه ورضاعته ورعايته، حتى صار رجلاً.

زاد إحساسها بالفجيعة عندما سمعته يقول:

- لا أستطيع العيش من دونها!

وعندما رأته يتهيأ للخروج سألته:

- إلى أين؟

أصابها الذهول، وهو يقول:

- إني ذاهب إليها!

استقر انصفاق الباب في رأسها بشدة بعد خروجه، فأحست بانهيار كل مباهج الحياة من حولها دفعة واحدة، وظلت متجمدة في جلستها، وقد أصيب قلبها برجفة مؤلمة مع ارتجاف عينيها بالدموع، وبدأ ينعقد شرر غضبها وسخطها عليه في قلبها، فلم تجد في البنت شيئاً يستحق الاهتمام، ولم يعجبها بريق ولمعان أصباغ وجهها، وصبغة شعرها باللون الأصفر، الشبيه بلون القش، لم يعجبها أيضاً شكل ملابسها الحاسرة الثائرة، ونظرات عينيها الشاطحة في بهارج الافتتان، الخالية من سكينة الإيمان وهداة الإحساس بالأمان.

وزاد عدم ارتياحها لها عندما سألتها:

- أتحفظين شيئاً من كتاب الله؟

تجمدت في جلستها وهي تفكر للحظات، ثم ابتسمت وهي تحاول أن تخرج من حالة إحساسها بالحرج وقالت بلا مبالاة:

- لا...!

كانت تود أن تترك البيت، وتخرج باندفاع غاضب مع ابنها، دون تعليق على قولها، لكنها استطاعت أن تكظم غيظها، حفاظاً على آداب السلوك في مثل هذه المناسبة، وظلت تنصت لكلامها، وكلام أبيها وأمها، الذي لم يخرج عن الحديث حول توافه الأمور ومظاهر الأشياء، وما تستحقه بنتهما من ذهب ومال، لأنها ذات جمال.

ما فائدتها إذا لم تكن ذات دين؟

قالتها في نفسها، وكانت تود أن تقولها لابنها، لكنه خرج وتركها وحدها بين نار قلقها وانكسار قلبها.

احتواه حلق الشارع المفتوح بعد خروجه من البيت، وكان قد بدأ ينطلق راكضاً إلى بيت العروس، لكنه أحس بخطواته تتباطأ فجأة، وهو يقترب من المسجد المجاور لبيتهم،

وكان الوقت عصراً، وصوت المؤذن ينطلق في سبحات الفضاء بالأذان للصلاة، فوجد نفسه يتوقف عن السير، وصورة أمه ترتسم في رأسه، وهي تحاول أن تكتم إحساسها بالارتعاد من الطريقة التي كان ينهرها بها، حتى تصور أنها موشكة على الإصابة بالشلل، فأصابته رعشة مرعدة في قلبه، أحس بسريانها في أعماقه حتى النخاع، فرفع رأسه للسماء، التي كانت ملبدة بالغيوم، واستجمع كامل أحاسيسه، وإشعاع نبض قلبه وروحه، وحاول أن يبتهل إلى الله قائلاً:

- يا رب اجعل أمي تسامحني!

لكنه لم يستطع تحريك لسانه بالدعاء، وأحس بأن لسانه قد أصيب بالشلل، فأصابه إحساس مخيف بالفزع، ودارت الدنيا برأسه دورات خاطفة راجفة، وهو يستند بجبهته على عمود النور المجاور له في قلب الشارع الغارق في عتمة الغيوم، وكان ملمس العمود جامداً بارداً تحت ضربات عواصف الشتاء بصفيرها المدوي في خلاء الفضاء.

ظل واقفاً هكذا، مغمض العينين، وفي حالة أشبه بفقدان الوعي، وهو يرى كائنات غريبة ذات أشكال رهيبة، تدور حوله، وهي تقرع رأسه بقبضات حديدية، شبيهة بضربات المطارق، حتى أحس بصوت شيخ المسجد، الذي كان يعرفه ويعرف أباه وأمه، وهو يقترب نحوه، ويسأله:

- مالك يا بني؟!

رفع رأسه نحوه في بطء ثقيل، وهو ينظر إليه بعينين تسحان بالدموع، استعاذ الشيخ بالله من الشيطان، ونطق باسم الله عليه، وهو يمسح براحة يده على رأسه في رفق وسأله:

- ماذا بك؟!

انتفض في وقفته، وهو يحاول أن يتكلم، لكنه وجد صعوبة في النطق، وتلعثم لسانه بكلماته الأولى، وظل يتلعثم وهو موشك على البكاء من جديد، والعرق يرشح غزيراً على جبهته، ولكن الله أنزل عليه رحمته وسكينته أخيراً، ومنحه القدرة على النطق، فبدأ يروي للرجل قصته، وانتفض نبض قلبه، مع انتفاض أوصاله بكاملها في هلع، وهو يصف له الطريقة التي نهرها بها في قسوة، وأصابتها بصدمة شنيعة وفجيعة مريعة.

زم الشيخ شفتيه في استياء، وهو يكتم أنفاسه ويتأمله بنظرات مشفقة، ثم قال له:

- سخط أمك عليك كاد يعجزك عن النطق

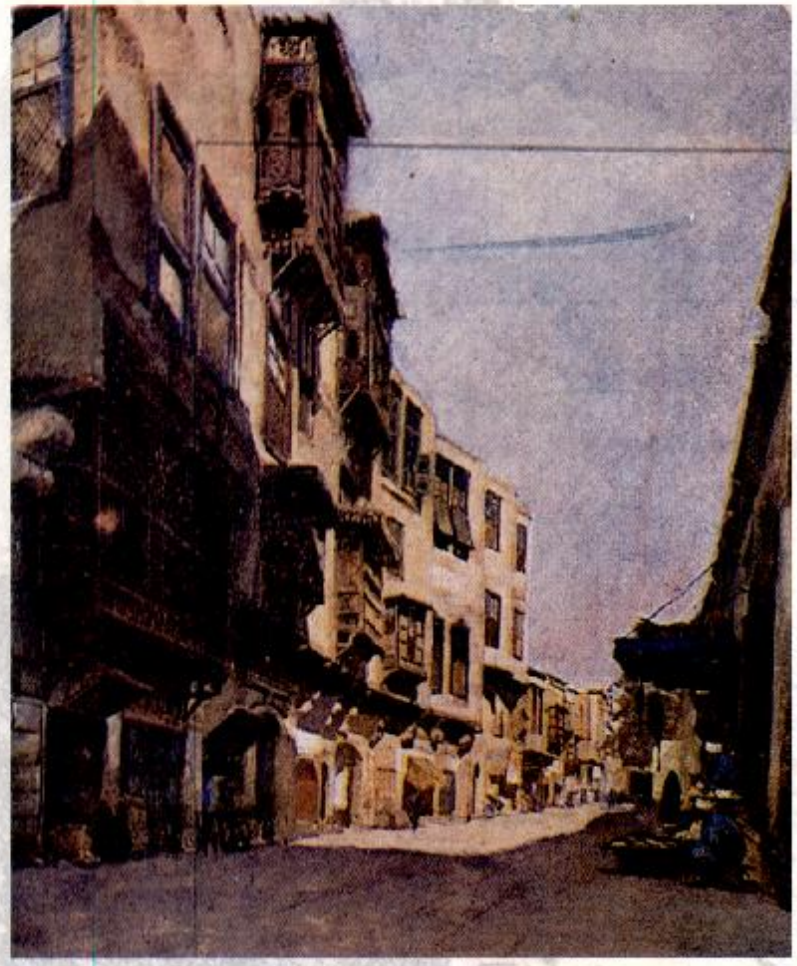

إلى الأبد!

ثم ابتسم، وهو يقول له في لهجة سريعة وبلا تفكير:

- عد إليها حالاً... واطلب رضاءها.

وواصل كلامه قائلاً:

- رضاؤها عليك أربح لك من الدنيا وما فيها.

وقال له، وهو يرى وجهه قد بدأ يشع ببسمة ساطعة:

- هيا... وحاول أن تلحق بنا في الصلاة.

لن تصدق أمه عودته سريعاً، ولم تصدق ما رأته في ملامح وجهه، التي تبدلت من العتمة إلى الإشراق.

عندما سألته عما حدث، حكى لها سريعاً، وهو مغمور بالسرور، ثم قال:

- أراد الله بي خيراً.

وتنفس في ارتياح، وهو يقول:

- الحمد لله.

وقال وهو يبادلها التبسم والشعور بالابتهاج:

- لن أعود لبيت هذه العروس مرة أخرى.

كان صوتها مرتعشاً في حلقها مع اهتزاز نبض قلبها وارتعاش عينيها بدمعات السرور، وهي تقول له:

- زادك الله من هدايته يا بني.

فأمسك بيديها وقبلهما، ثم سألها:

- أراضية عني يا أمي؟

قالت:

- راضية من كل قلبي يا حبيبي.

وزاد إحساسه بالسرور لسرورها، وهي تمطره بدعائها، النابع من أغوار قلبها، وكان يشعر بصوتها الساطع بالدعاء، كشعاع من نور خفي يمتد من أقاصي الأرض إلى آفاق السماء. ■

بقلم : حواس محمود

مفكر إسلامي ورائد من رواد النهضة الإسلامية الحديثة

مالك بن نبي

يعد مالك بن نبي (١٩٠٥م - ١٩٧٣م) أحد المفكرين الإسلاميين الذين قدّموا رؤاهم لنهضة بلادهم على هدي من القرآن الكريم للخروج من مأزق التخلف والتنمية، فاهتم بالوقت باعتباره ممراً يدخل المجتمع من خلاله أو يخرج من حركة التاريخ، وبالفاعلية على أنها فهم جوهر الإنسان والتاريخ وعلاقتهما الواحد بالآخر، وبالحضارة على أنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع أن يوفر لكل فرد من أعضائه الضمانات الاجتماعية اللازمة لتقدمه، وكان مالك بن نبي - يرحمه الله - مفكراً تفهّم عصره فبقيت أعماله نابضة بالأصالة ومتوهجة بروح العصر، ولد الأستاذ مالك بن نبي بعاصمة الشرق الجزائري «قسنطينة» من أب موظف بسيط وأم خياطة، انتقلت به عائلته إلى «تبسّة» حيث ارتاد المدرسة القرآنية لمدة أربع سنوات بالتوازي مع المدرسة الفرنسية، ولكن مع بداية الحرب الكبرى سنة ١٩١٤م انتقل ثانية إلى قسنطينة ولكن جدته لم تستطع تحمل دلاله فعادت به أمه إلى تبسّة حيث دخل الإعدادية «لتحضير المرحلة الثانوية»، وكان متفوقاً على أقرانه، فأعطي منحة لمواصلة الدراسة بقسنطينة، وهناك زاوج بين تأثير الأستاذ مارتن والشيخ عبدالحميد بن باديس فكانت له ثقافة كبيرة متميزة باللغتين العربية والفرنسية، برغم صغر سنه، وتجدر الإشارة إلى أنه بين عامي ١٩٢١م - ١٩٢٢م بدأت تبرز قوة شخصيته ودرجات وعيه المبكر وكذا خيالاته وأحلامه من خلال محاوراته ومسامراته الليلية مع مختلف المدرسين القادمين من مختلف أرجاء الوطن.

الثقافة شغلت حيزا واسعا من الانتاج الفكري عند مالك بن نبي

الغوص في الفكرة المضادة ومحاولة تحليلها والرد عليها هو منهج ابن نبي

الاحتكاك بجميع شرائح المجتمع:

سافر مالك بن نبي سنة ١٩٢٥م إلى «مرسيليا» و«ليون»، فـ«باريس» بحثاً عن عمل مع أحد أصدقائه لكي يخفف عن نفسه وربما عن عائلته سغب العيش، ولكن دون جدوى، فعاد إلى الجزائر حيث عمل في تبسّة كمساعد كاتب في المحكمة إلى أن عيّن كاتباً رسمياً في منطقه أفلو «وهران» وقد أتاح له عمله هذا الاحتكاك بمختلف شرائح وطبقات المجتمع مما ساعده على تفسير ظواهر مختلفة فيما بعد، ولقد تعرّف إلى الشيخ عبدالحميد بن باديس سنة ١٩٢٨م، وذلك بعد عودته إلى قسنطينة، وعرف مالك قيمة الرجل التربوية والإصلاحية بعد سبع سنوات من وفاته (١٩٤٧م)، ومن ثم سافر مرة ثانية إلى فرنسا سنة ١٩٣٠م، إلا أنه لم تتح له الفرصة باعتباره جزائرياً، والجزائري يقيم سياسياً وليس علمياً، ولم يفقد الأمل فدخل مدرسة اللاسلكي، وتخرّج فيها مهندساً كهربائياً سنة ١٩٣١م، وتزوّج حينذاك فرنسية أسلمت وتسمّت باسم «خيجة»، ولم تنجب له فتزوج ثانية بعد وصوله إلى مصر سنة ١٩٥٦م.

مراحل التكوين الفكري لمالك بن نبي:

يمكن تحديد المسار الفكري لمالك بن نبي عبر المراحل الثلاثة التالية:

المرحلة الأولى :

وتبدأ من بداية الوعي واكتشاف عالم المعرفة إلى أن تحدّدت وجهته.

المرحلة الثانية :

مرحلة التكوين، وهي التي امتدت منذ تحديد وجهته إلى مرحلة العطاء الفكري.

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة النضج والعطاء، والتي امتدت منذ ظهر كتابه «الظاهرة القرآنية» عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م إلى وفاته - يرحمه الله.

مالك بن نبي ومفهوم الثقافة:

الحقيقة أن الثقافة تشغل حيزاً واسعاً من الإنتاج الفكري لمالك بن نبي الذي رأى إدراجه تحت إطار عام هو «مشكلات الحضارة» وذلك لما بين الثقافة والحضارة من علاقة لا تقبل الانفصام، فالثقافة - كما يرى - هي جوهر الحضارة، إذ إن الحضارة في حقيقتها قيم محققة في عالم الواقع ومن ثم فهو لا يلجأ إلى تقديم تعريف مدرسي عنها، وإنما يعرفها باعتبار صلتها الوظيفية بالحضارة، لذا جاء مفهومه عنها من زاويتين :

الزاوية الأولى التاريخية :

وهي بهذا الاعتبار مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي على هذا - المحيط الذي يشكل فيه الفرد.

الزاوية الثانية التربوية :

وتعني أن الثقافة تركيب عام لتراكيب جزئية أربعة هي الأخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعة.

مراحل الحضارة :

يرى مالك بن نبي أن الحضارة في مجتمع معين تخضع للقانون الدوري فتمر بمراحل ثلاث، تبدأ بمرحلة الروح التي تكون الفاعلية فيها في أعلى مستوياتها، ثمّ مرحلة العقل التي يقلّ فيها مستوى الفاعلية بقدر ما يبرز من تعارض بين الروح والغريزة، ثم مرحلة الغريزة التي تتلاشى فيها الفاعلية، وتسود السلبية حين تستنفد الحضارة ما تبقى لديها من دفعة الروح، التي ابتدأ بها المجتمع الدخول لمرحلة الحضارة.

مشكلة الحضارة:

لقد خطّ مالك بن نبي طريقه في عالم الأفكار بدلاً من عالم الأشياء، كيما يطرح لمسيرة النهضة الإسلامية طريقاً حديثاً يسبر المشكلات، إنها تبدو هنا الجهل، وهناك الفقر، وفي مجال آخر النقص في الإمكانات والثروات الطبيعية، لقد طرح مالك بن نبي الأعراض هذه كلها في مختلف كتبه وعالجها معالجات متعددة، لكنها تصبّ كلها في إطار واحد: إنها مشكلة حضارة نحن خارجها، ومشكلة ثقافة لم يتكامل إطارها في متقلب حياتنا اليومية، ونحن لذلك شتى النوازع والقلوب والوسائل، تتعارض الإمكانات في مختلف الأصعدة ثم تسقط هذه في هوّة الفراغ والضياع وعدم الفاعلية.

مالك بن نبي والديمقراطية:

يعتمد مالك بن نبي في أعماله المتعلقة بالمقارنات مع الإسلام المنهج الرياضي القائم على الاستدلال بالخُلف، أي تحليل الطرف الآخر أو الفكرة المقابلة والغوص في معانيه ومحاولة اكتشاف مواطن الخلل أو العجز، مما يسهل عليه إعطاء البديل «الإسلامي» كضرورة معرفية أثبتت نجاعتها، وهذا ما فعله في كتابه «الظاهرة القرآنية» في مسألتي الوحي والنبوة مثلاً، والديمقراطية عنده تتعدى إطارها اللغوي إلى ما بعدها النفسي «السيكولوجي» والاجتماعي، فهي لم تعد بمعنى «حكم الشعب لذاته» أو «سلطة الشعب» اعتماداً على ما أورده توسيديد: «إذا كانت شؤون الدولة تدار عندنا لصالح الجماهير وليس لأقلية بعينها، فإنّ نظامنا قد اتخذ من الديمقراطية اسماً له».

إنها لم تعد بهذا المعنى الذي فرضته ورسخته الثورة الفرنسية بدساتيرها المختلفة وقوانينها الأساسية Statuts ونظامها الداخلي، ولو أن الثورة الفرنسية كانت تبتغي بذلك القضاء على النظام القديم، ويمكن القول إن فلسفة حكم الشعب لذاته من وجهة نظر التاريخ غير صحيحة لأننا نقرأ عن شعب سيّر شؤونه بنفسه، كما أورد الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه «الديمقراطية في الإسلام»، وإذا كانت السلطة تعني من جهة أخرى أن تحول الجماهير شؤونها إلى قائد فالتاريخ أيضاً يدلنا أن شعوباً كانت خاضعة لحكامها راضية عنها على الرغم من اضطهادها لها، ولهذا ينبغي علينا في الواقع أن نعيد الكرة في تحديد الديمقراطية دون ربطها مسبقاً بأي مفهوم آخر كالإسلام، فننظر إليها على أعمّ وجهها، أي في إطار عمومياتها قبل أن نربط الموضوع بأي مقياس آخر، هذا وقد نظر مالك بن نبي إلى الديمقراطية من ثلاثة وجوه وهي:

١ - الديمقراطية نحو «الأنا».

٢ - الديمقراطية كشعور نحو الآخرين.

٣ - الديمقراطية كمجموعة الشروط الاجتماعية والسياسية اللازمة لتكوين وتنمية هذا الشعور

منهج ابن نبي يقوم على بناء مشروع حضاري اسلامي متكامل

عدم الفاعلية الفردية تقود في النهاية إلى تخلف على مستوى المجتمع بأكمله

في الفرد.

التخلف وجغرافية التخلف :

يعرّف مالك بن نبي التخلف بقوله: «نتيجة أو حاصل ضروب اللافاعلية الفردية، فهو فقدان للفاعلية على مستوى مجتمع معين»، وهذا يعني أن التخلف عنده هو عدم الفاعلية أو غيابها لدى الفرد في المجتمع، ويفرّق مالك بن نبي بين النمو والتخلف كحالتين متناسقتين، على المستوى الجماعي، والفاعلية وعدم الفاعلية كحالتين متناسقتين أيضاً على المستوى الفردي، وهكذا فإن عدم الفاعلية الفردية تقود في النهاية إلى تخلّف على مستوى المجتمع بأكمله، وهو ما يصدق أيضاً على الفاعلية الفردية التي تقود المجتمع إلى النمو.

وتجدر الإشارة إلى أن مالك بن نبي يرى أن للتخلف جغرافيته وتاريخه، أما جغرافيته فتشمل المساحة التي تنتظم على وجه التقريب نصف الكرة الجنوبي، أما من الناحية التاريخية فهنالك شكلان للتخلف:

أ ـ الشكل الذي يعزى إلى عوامل مرضية كالتقهقر الذي ينتاب الآن أو انتاب في الماضي تطور المجتمعات التي كانت نامية سابقاً، كما هي الحال بالنسبة للمجتمع الإسلامي حتى آخر عهد دولة الموحدين.

ب ـ الشكل الذي يعزى إلى عوامل دائمة ومزمنة ومن الركود في المجتمعات البدائية، ويرجع مالك بن نبي التخلف إلى الإنسان المسلم الذي لم يتعلم طريقة استعماله وسائله الأولية أي التراب والوقت بصورة فعّالة، أو أن الإنسان قد نسي ما تعلمه من هذا الاستعمال بسبب الانفصال الذي

مراحل الحضارة عند مالك بن نبي تمر بثلاث مراحل : الروح والعقل والغريزة

علينا أن نعيد الكرة في تحديد الديمقراطية دون ربطها بأي مفهوم آخر

حدث للحضارة الإسلامية بين الفكر والضمير بعد معركة حطين عام ٥٣٨هـ التي قادها البطل الإسلامي الشهير صلاح الدين الأيوبي.

مؤلفاته وآثاره الفكرية:

أما بالنسبة لكتبه وآثاره الفكرية فيمكن القول بأنه لم يكف عن العطاء منذ سنة ١٩٤٦م حيث ألف أول كتاب وهو «الظاهرة القرآنية » هذا الكتاب كان سبب إسلام الكثير من الغربيين، تلاه برواية «البيك» وهي رواية فلسفية سنة ١٩٤٧م، ثم «شروط النهضة» ١٩٤٨م، و«وجهة العالم الإسلامي» ١٩٥٤م، وبمناسبة انعقاد مؤتمر باندونغ كتب «الفكرة الأفروآسيوية»١٩٥٦م، ثم «حديث في البناء الجديد» ١٩٥٧م، و«مشكلة الثقافة ١٩٥٩م، و«الصراع الفكري في البلاد المستعمرة» ١٩٦٠م، وهو أول كتاب كتبه الأستاذ مالك بالعربية مباشرة، و«مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي» ١٩٧١م، و«المسلم في عالم الاقتصاد» ١٩٧٢م، و«بين الرشاد والتيه» (طبع بعد وفاته ١٩٧٨).

وختاماً: يمكن القول بأن العلامة مالك بن نبي بحق من أبرز أعلام النهضة الإسلامية الحديثة الذين نبغوا في مجال الفكر الحضاري وتطبيقاته الاجتماعية والإنسانية «الانثروبولوجية» كما عبّروا بطريقة علمية رصينة عن الماضي الإسلامي الثقافي المشرق، وعن واقع الأمة الإسلامية الحضاري المعاصر بين الأمم الأخرى، إن أعماله قد قامت على بناء مشروع حضاري ضخم متكامل باتفاق كبير طوال حياته الفكرية من خلال استقرائه لمعطيات الواقع الإسلامي أولاً ومن معطيات الواقع الغربي ثانياً ومن معطيات التاريخ الإنساني ثالثاً. ■

المراجع :

١ ـ «مالك بن نبي من هم الغربة إلى هموم الوطن» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص٦.

٢ ـ عمر كامل مسقاوي «مالك بن نبي والدعوة للانتقال من التكديس إلى البناء» مجلة العربي العدد ٢٨٥ أغسطس ١٩٨٥م ص٦٧.

٣ ـ «معالم التكوين الفكري لمالك بن نبي» مجلة الفيصل العدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص ٨.

٤ ـ د. عبدالله بن حمد العويسي «مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦، أبريل ١٩٩٣م ص ١٤.

٥ ـ فضيل بومالة «مفهوم الديمقراطية في فكر مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ ص٢٤.

٦ ـ ابن نبي مالك: تأملات، دار الفكر ١٩٨٦م ص ٦٤.

٧ ـ هيام المالقي «التميّز الفكري عند مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦م أبريل ١٩٩٣م ص ٢٨.

٨ ـ محمد يحياوي «ربط الأصالة بالفاعلية في مشروع مالك بن نبي» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص٣١.

٩ ـ د. عدنان خليل باشا «إشكالية التخلف والمعادلة التنموية» مجلة الفيصل عدد ١٩٦ أبريل ١٩٩٣م ص ٣٣.

١٠ ـ مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ١٩٧٢م القاهرة ـ ص٨٤.

١١ ـ مالك بن نبي، أفاق جزائرية، ص ٨٣.

١٢ ـ Thucydideo Histoir De La cuerredu Pélo - Pollese. Livre 11 Chapitr 37.

الوعي الإسلامي
العدد 406
جمادى الآخرة 1420 هـ -
سبتمبر / أكتوبر 1999 م

الأسرة المسلمة

لغة الطفل
كيف نفهمها ؟

وقفات من اقتصاد
البيت المسلم

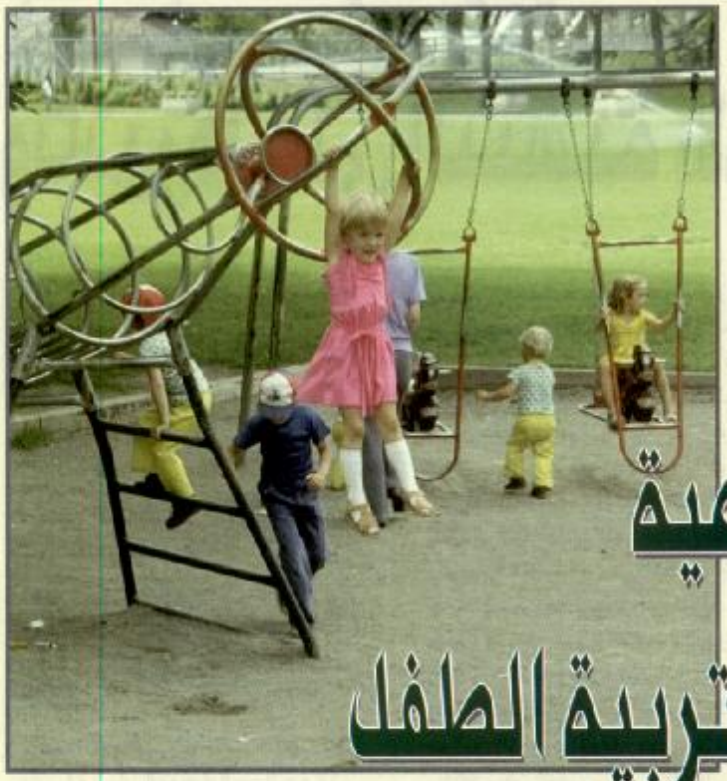

التربية الاجتماعية وأثر البيئة في تربية الطفل

الاضطرابات الهضمية
عند الأطفال

الإسلام . .
والتربية الأسرية
وتأثيرها على
التنشئة الاجتماعية

عفواً سيدي الرجل

إعداد : د. حمد الرشيد

الإسلام ... والتربية الأسرية وتأثيرها على التنشئة الاجتماعية

تعريف التربية

التربية في اللغة مصدر للفعل «ربَّى» الرباعي، وجاء مصدره على وزن تفعلة لأنه معتل على وزن فعل كما نقول في الفعل زكَّى تزكية ولمعرفة معنى هذه الكلمة لابد من الرجوع إلى أصولها في كتب اللغة العربية ومعاجمها.

قال في لسان العرب «ربا الشيء يربو ربواً وربواً زاد ونما وأربيته نميته، وربا المال زاد بالربا والربوة كل ما ارتفع من الأرض».

اهتم الإسلام بهذا الأمر فحث الزوج على اختيار الزوجة الصالحة التي ستكون أحد أركان الأسرة، بل أهم أركانها بالنسبة للمولود، وخاصة في مراحل حياته الأولى ولا غرابة:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت جيلاً طيب الأعراق

ولا شك أن حسن اختيار الزوجة من أقوى الأسباب في استقرار الأسرة وتماسك بنيانها يقول ﷺ : «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

والمعنى الذي يهدف إليه الرسول - ﷺ - من هذا الحديث ونحوه مما ورد في معناه هو أن يحرص المسلمون في بنائهم للأسرة على تحري الزوجة الصالحة ذات الأصل الطيب لأن أخلاق المرأة تتأثر بالبيئة التي نشأت فيها وتربت في أحضانها كما أن أبناءها يرثون عنها الكثير من أخلاقها وطباعها إذ إن كل إناء ينضح بما فيه، لذلك ندب إلى اختيار المرأة من بيئة متدينة حتى تنقل إلى أبنائها وبناتها الطباع الكريمة والقيم الفاضلة»، وفي المقابل أيضاً جاءت الشريعة بحث ولي المرأة على حسن اختيار الزوج الكفء الذي يتمتع بالخلق الكريم ويلتزم بشرائع الإسلام، ولديه قدرة على قيادة الأسرة، والقيام بحقوق الزوجة والأولاد، روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

كما حرصت الشريعة على إثبات النسب للمولود وجعلته من أهم الحقوق لأن في انتساب الطفل إلى أب وأسرة يحفظه من الضياع ويحميه من التشرد الذي سيؤدي بلا شك إلى شر كثير عليه وعلى المجتمع عامة.

ولهذا أيضاً اهتم الإسلام بأمر اليتيم حتى لا يكون النقص والخلل الذي حصل في أسرته سبباً في شقائه أو انحرافه تلك هي أهم مظاهر اعتناء الإسلام بالأسرة.

اهتمام الإسلام بتكوين الأسرة

يتضح لنا مما سبق أن هناك أهدافاً شرع الإسلام من أجلها تكوين الأسرة، والمتأمل لهذه الأهداف يلحظ من ورائها غاية تربوية ترمي إلى إعداد النشء الصالح وتربيته تربية إسلامية صحيحة، والأهداف التي من أجلها اهتمت الشريعة بتكوين الأسرة كثيرة، ولكن من هذه الأهداف على سبيل المثال:

أ - التعارف بين الأمم والشعوب والقبائل.

ب - حماية المجتمعات من الرذيلة وانتشار الفاحشة.

ج - الطمأنينة والسكينة للشباب إذا تناكحوا وتزوجوا بالطريقة الشرعية.

د - حفظ الأنساب والأرحام والأعراض.

هـ - إيجاد النسل المؤمن الصالح وتكثير سواد المسلمين.

تأكيد الإسلام على أهمية الأسرة كمؤسسة تربوية

أ - الأسرة هي اللبنة الأولى من لبنات المجتمع ذلك أن المجتمع يتكون من مجموع الأسر وكل أسرة تكون وحدة أولية وبانضمام هذه الوحدات بعضها إلى بعض يتكون المجتمع، ومن هنا فإن

بناء المجتمع الصالح مشروط أولاً بالاهتمام بالأسرة وبنائها على أسس سليمة لتقوم بدورها على أكمل وجه.

ب ـ والأسرة «هي الخلية التي أصول النزوع الاجتماعي في الإنسان في أول استقباله للدنيا ففيها يعرف ما عليه من واجبات وما له من حقوق وفيها تتكون مشاعر الألفة والمحبة وتبذر بذور الإيثار وغيره من الخلال والفضائل فتنمو أو تخبو بما يصادفها من أجواء في الحياة العامة والخاصة».

ج ـ والأسرة لها أثرها البالغ الأهمية في تربية شخصية الناشئ الاجتماعية فإذا شب في أسرة يسودها الحب والتفاهم نقل ذلك إلى الخارج وتعامل به أفراد المجتمع حتى يكون هذا هو الشعور المتبادل بين أفراد المجتمع الإسلامي ككل.

د ـ وتأثر الطفل بالمجتمع المحيط به يبرز أهمية الأسرة التربوية فالتربية تبدأ أول ما تبدأ «عن طريق المحاكاة والتلقين ذلك إن الطفل ينشأ فيرى أبويه يقرآن القرآن ويقيمان الصلاة ويصومان رمضان وغير ذلك من الشعائر الدينية المختلفة فتنطبع في ذهنه هذه الصور ويترسم خطاها بالتقليد».

مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة

أ ـ رسخت الشريعة الإسلامية في قلبي الأبوين شعور العطف على الأولاد، وفطر الله قلبيهما على محبتهم وهذه المشاعر والعواطف الأبوية موجودة في قلب الأبوين متأصلة فيهما لبناء الأسرة التي تقوم على حماية الأبناء والرحمة بهم والاهتمام بأمورهم ولولا هذه المشاعر لما استمرت الحياة البشرية ولما كان صبر الأبوين على رعاية أولادهما، فالأسرة هي البيئة الطبيعية التي تتعهد بالتربية إلى القيام برعاية الطفل، وصيانته ولا سيما في السنوات الأولى من طفولته، والآيات القرآنية التي تصور ما أشرنا إليه من المشاعر الأبوية الجميلة كثيرة جداً.

يقول الله ـ تعالى ـ (المال والبنون زينة الحياة الدنيا). ويقول سبحانه: (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً).

١ ـ فمن فضل هذا الإسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس وتنشئة الأجيال وتكوين الأمم وبناء الحضارات وإرساء قواعد المجد والمدنية وما ذاك إلا لتحويل إنسانيته التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفوضى إلى نور التوحيد والعلم والهدى والاستقرار وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) المائدة:١٦.

٢ ـ ويكفي شريعة الإسلام فخراً وفضلاً أن شهد الخصوم بنمائها واستمرارها واعترف الأعداء بحيويتها وخلودها وإليكم يا من تستهويكم شهادات الغربيين طائفة من أقوالهم وطاقة من أريج مدحهم وطيب ثنائهم لتعرفوا ماذا يقول المنصفون من غير المسلمين عن رسالة الإسلام الخالدة وتعاليمه السامية:

نقل الأستاذ «غوستاف لوبون» عن الأستاذ «ليبري» قوله: «لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا عدة قرون».

وقال «لين بول» في كتابه العرب في أسبانيا: «فكانت أوروبا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم وراية الثقافة في العالم».

وقال «إلياس أبو شبكة» في كتابه روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة: «إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على أسبانيا وأوروبا، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب وحالما ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب».

وقال «سيد يلوت» في كتابه «تاريخ العرب»: «كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها أينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم إلى أوروبا فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها».

والكثير من المثقفين يعلمون شهادة الفيلسوف الإنجليزي المشهورة: «برنارد شو» اسمعوا ما يقوله بالحرف الواحد:

«لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية وأن رجلاً كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته...».

فهذه الأقوال وأقوال غيرها تعطي لكل ذي فهم وبصيرة البرهان تلو البرهان على ما انطوى عليه نظام الإسلام من قوة دفع حضارية ومبادئ تطويرية شاملة وتعاليم حيوية خالدة والفضل كل الفضل بما اعترف به المنصفون وشهد به الأعداء.

شهد الأنام بفضله حتى العدا

والفضل ما شهدت به الأعداء

٣ ـ وإذا كانت الشريعة الإسلامية تتصف بالربانية وتتسم بالشمول وتختص بالتجدد والاستمرار، فهل مبادئها الشاملة ومعطياتها المتجددة فكرة مجردة في الأذهان ونظريات مدونة في الكتب أم هي متحققة في أمة تلمسها الأيدي وتراها العيون.

والجواب على ذلك ما يشير به أحد

علماء الإسلام حيث يقول: «وانتصر محمد بن عبدالله ﷺ يوم صنع أصحابه - عليهم رضوان الله - صوراً حية من إيمانه تأكل الطعام وتمشي في الأسواق يوم صاغ من كلٍّ منهم قرآناً حياً يدب على الأرض يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسماً للإسلام يراه الناس فيرون الإسلام»، أن النصوص وحدها لا تصنع شيئاً وأن المصحف وحدة لا يعمل حتى يكون رجلاً وإن المبادئ وحدها لا تعيش إلا أن تكون سلوكاً.

ومن ثم جعل محمد ﷺ هدفه الأول أن يصنع رجالاً لا أن يلقي مواعظ، وأن يصوغ ضمائر لا أن يدبج خطباً وأن يبني أمة لا أن يقيم فلسفة أما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم، وكان عمل محمد ﷺ أن يحول الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الأيدي وتراهم العيون.

ولقد انتصر محمد بن عبدالله ﷺ يوم صاغ من فكرة الإسلام شخوصاً وحول إيمانهم بالإسلام عملاً وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات والوفاً ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق إنما طبعها بالنور على صحائف القلوب وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطي وتقول بالفعل والعمل ما هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله ﷺ من عند الله.

ومن أراد أن يعرف شيئاً عن تربية الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ، ومن جاء بعدهم بإحسان فليستقرأ التاريخ ليسمع الكثير عن جليل مآثرهم وكريم فضائلهم.

فهل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم أو أرأف أو أرحم أو أجل أو أعظم أو أرقى أو أعلم يكفيهم شرفاً وفخراً وخلوداً أن يقول القرآن العظيم في حقهم: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود) الفتح:٢٩.

ويقول: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون. وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) ١٧، ١٨، ١٩ الذاريات.

ويقول: (والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الحشر:٩.

ويقول: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) الأحزاب:٢٣.

هذا غيض من فيض مما نزل في كريم مآثرهم وجميل محامدهم وقد تحقق بهم فعلاً إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكرين وأمنية الفلاسفة منذ القدم كيف لا والقاضي يجلس بينهم سنتين ولا يتخاصم إليه اثنان ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن؟ ولماذا يختلفون وهم يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم؟ ولماذا يتباغضون والإسلام يأمرهم بالمحبة والإخاء ويحضهم على التعاطف والإيثار؟

وإليكم ما قاله الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ﷺ في تعداد محامدهم وفضائلهم ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة وأخلاقهم الكريمة... «من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً وأقومها هدى وأحسنها حالاً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم على الهدى المستقيم».

٤ - وظلت الأجيال المسلمة عبر القرون تستقي من معين فضائلهم وتستضيء بنور مكارمهم وتنهج في التربية نهجهم وتسير في بناء المجد سيرهم... حتى العصر الذي انحسر فيه عن المجتمع الإسلامي حكم الإسلام وزالت في الأرض معالم الخلافة الإسلامية واستطاع أعداء الإسلام أن يصلوا إلى هدفهم الخبيث وغرضهم الدفين في تحويل العالم الإسلامي إلى أمم متناحرة ودول متخاصمة متنابزة تتقاذفهم الأهواء، وتجذبهم المطامع وتفرقهم المبادئ ويتساقون وراء الشهوات والملذات ويتخبطون في أوحال التحلل والإباحية ويسيرون بلا هدف ولا غاية ويعيش من غير ما سعى إلى مجد ولا وحدة ولاكيان.. تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى وتظنهم قوة ولكنهم غثاء كغثاء السيل واستحوذ عليهم القنوط اعتقاداً منهم أن لا سبيل إلى إصلاح هذه الأمة وأن لا أمل إلى استعادة مجدها واسترجاع عزتها وكيانها، بل وجد من هؤلاء الدعاة من ينادي بالعزلة الكاملة والتزام أحلاس البيوت لظنهم أن هذا العصر هو آخر الزمان وأن الأوان أن يخرج المسلم بنفسه ببضع غنيمات يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن حتى يدركه الموت.

وهذا التصور اليائس للإصلاح ناتج عن أسباب ثلاثة:

١ - ناتج عن الجهل بطبيعة هذا الدين.

٢ - وناتج عن حب الدنيا وكراهية الموت.

٣ - وناتج عن الجهل بالغاية أتى من أجلها خلق المسلم.

ويوم يفهم المسلمون إن الإسلام دين قوة وأن شعاره في ذلك: (وأعدوا لهم

ما استطعتم من قوة...) الأنفال:٦٠.

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العلم: العلم الشرعي، والعلم الكوني على السواء، وأن شعاره في ذلك (وقل ربي زدني علماً) طه:١١٤.

ويوم يفهمون أن الإسلام اعتبر الإنسان خليفة الله في الأرض ليملك زمامها ويستخرج دفائنها ويطّلع على كل سر فيها وأن شعاره في ذلك: (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) الأنعام:١٦٥.

ويوم يفهمون أن الإسلام كرم الإنسان وفضله على كثير مما خلق الله ليضطلع بمسؤولياته ويؤدي المهمة الموكل بها إن شعاره في ذلك: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلاً) الإسراء:٧٠.

ويوم يفهمون أن الإسلام يعتبر الإنسان مسؤولاً عن عقله، ومسؤولاً عن حواسه إذا هو قام بدور الإهمال والتعطيل وأن شعاره في ذلك: (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) الإسراء:٣٦.

ويوم اعتبر الإسلام هذا الكون كله مسخراً للإنسان ليستعمله في خدمة العلم وخدمة الإنسانية وشعاره في ذلك (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) الجاثية:١٣، ويوم يفهمون أن الإسلام دين التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض للوصول إلى الحقائق الثابتة وأن شعاره في ذلك: (قل انظروا ماذا في السموات والأرض...) يونس:١٠١.

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العمل والنشاط والحيوية وأن شعاره في ذلك: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك:١٥.

ويوم يفهمون أن الإسلام يحرم اليأس وينهى عن القنوط وأن شعاره في ذلك: (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) يوسف:٨٧.

ويوم يفهمون أن الإسلام دين العزة والكرامة فيجب أن يتوجوا رؤوسهم بها ويرفعوا في العالم لواءها وأن شعاره في ذلك: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) المنافقون:٨.

يوم يفهم المسلمون عن دينهم كل هذا ويعرف الناس وعلى رأسهم الدعاة إلى الله طبيعة هذا الدين وحقيقة هذا الإسلام فلا يتملكهم يأس ولا يدب في نفوسهم قنوط، بل ينطلقون في مضمار الدعوة والإصلاح والبناء ليعودوا كما كان سلفهم أساتذة للدنيا وهداة للأمم ومنارات متلألئة في ظلمات الحياة فتستقي البشرية من علومهم وتنهل من معين معارفهم وحضارتهم على مر العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويوم يتحرر المسلمون - وعلى رأسهم العلماء ورجال الدعوة إلى الله - من حب الدنيا والركون إليها والتمتع الزائد بلذائذها وطيباتها ويجعلون هداية الناس وإصلاح المجتمع والسعي إلى إقامة حكم الله في الأرض أكبر همهم ومبلغ علمهم وغاية الغايات ومنطلق العزائم والنيات.

ويوم يتحررون من الجبن والخوف وكراهية الموت ويوقنون من قرارة نفوسهم أن الأرزاق بيد الله وأن الذي يضر وينفع هو الله وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وإن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوهم بشيء لم ينفعوهم إلا بشيء قد كتبه الله لهم وإن اجتمعوا على أن يضروهم بشيء لم يضروهم إلا بشيء قد كتبه الله عليهم.

يوم يوقن المسلمون بهذا ويتحررون من أسباب الضعف والوهن فعندئذ ينطلقون في ميادين الدعوة إلى الله وفي مجالات التربية والتوجيه والإصلاح غير هيابين ولا وجلين مبلغين رسالات ربهم لا يخشون أحداً إلا الله، بل واثقين كل الثقة أن الله سبحانه سينصرهم ويمكّن لهم في الأرض ويبدلهم من بعد خوف أمنا ومن بعد ذلة عزاً ومن بعد تفرق وحدة وما ذلك على الله بعزيز إن هم صححوا النيات وعقدوا الهمة والعزيمة وتحرروا من اليأس والخوف وحب الدنيا.

ويوم يعرف المسلمون أنهم خلقوا في الحياة لأجل هدف سام وغاية نبيلة قد قررها الله لهم في محكم تنزيله حين قال: (وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون) ٥٦:الذاريات.

ولكن ما هذه العبودية التي يريدها الله منا ويأمرنا بها ويحضنا عليها؟

إنها الخضوع والانقياد لمنهجه الثابت وصراطه المستقيم.

إنها حمل الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

إنها التكليف المستمر في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. ■

المراجع:

١ - تربية الأولاد في ضوء الإسلام، تأليف الدكتور عبدالله ناصح علوان.

٢ - التربية والتعليم في الإسلام، تأليف الدكتور محمد أسعد طاس.

٣ - الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام، تأليف الدكتور محمد بن مقيل بن محمد المقيل.

بقلم : عبد الرزاق زعال بن سمعو

أثر البيئة في تربية الطفل

في المرحلة الأولى من الطفولة وخلال الأشهر الأربعة الأولى من حياة الطفل، يكون لديه القليل من التصورات الذهنية عن أهداف المستقبل. فلا تتكون لديه الدوافع. بل إن أسباب تصرفاته تكمن في قوى أخرى.

فبعض الأشياء أو المواقف تستدعي استجابات منه لأنها جذابة في مظهرها أو لأنها تسبب تحريضاً مثيراً ومسراً. فكثير من الوقائع يمكن أن تحدث أفعالاً محدودة لدى الطفل لكن قد لا تكون هذه الأفعال بالضرورة منطلقة من فكرة عن هدف مرغوب به.

ومع اقتراب الطفل من النصف الثاني لسنته الأولى، تبدأ دوافعه بالظهور، والطفل الصغير في أسرة نموذجية يكون متأكداً من توافر الطعام والملابس الدافئة غير واع لمشكلة قبول أنداده له، لذا لا يشغل باله بأمر الحصول على هذه الأهداف، لكنه مع ذلك، يكون غير واثق من مسألة وجود أبويه وعاطفتهما، فتصبح الرغبة في تحقيق هذه الأهداف هي السائدة خلال السنة الثانية من عمره. وحين يكون الطفل في منزل غريب لا يستطيع فيه أن يرى أمه فإنه يصيح جزئياً إذا هي لم تعد. إن حاجته لحضورها هي التي تهيمن على وعيه، وبالتالي فإنه ما من جائزة مهما تكن جذابة ومغرية، يمكنها أن تجعله ينسى خوفه ومع بلوغ الطفل عامه الثالث، يتعلم طمأنة نفسه بأن غياب أمه هو مجرد غياب موقت لذا يتضاءل منشأ

الشك هذا لكن حينذاك يغدو دافع مرتبط بهذا الأمر هو الدافع السائد. فالطفل يغدو غير واثق من موقف أمه تجاهه ولا من أمارات موافقتها وعدم موافقتها وعقابها ورفضها، إنه يغدو حساساً تجاه أي معلومات عن مشاعرها تجاهه، فتسيطر الرغبة في معرفة علامة من علامات تقويمها الإيجابي له على رغبته الأولى في حضورها. ويبقى هذا الدافع مسيطراً حتى السنة الرابعة من عمره، حين يظهر منشأ جديد للشك لديه. فابن الرابعة يصبح مهتماً بقوته واستقلاله الذاتي بالنسبة لوالديه وإخوته.

ومع دنو الطفل من سن المدرسة يبدأ بتأسيس مفهومه عن ذاته انطلاقاً من كفاءته في المهارات ذات القيمة الحضارية. فالطفل ابن العام الواحد الذي يتعلم المشي والكلام والجري يقوم بالحقيقة بإنجاز جملة من الأعمال التي هي أمور طبيعية بالنسبة لكل الأطفال ولذا فهي سهلة المنال. بيد أن المهارات المتعلقة بالمدرسة هي مهارات أقل طبيعة من تلك، فملايين الأطفال في العالم لا يستطيعون تعلّم القراءة أو الكتابة أو الحساب وهي أصعب منالاً. والأطفال يقيمون كفاءاتهم في هذه المهارات، جزئياً، بمقارنة أنفسهم بالآخرين ولسوء الحظ يفترض الطفل أنه إذا ما كان أقلّ موهبة من طفل آخر فإنه سيكون أقل قيمة منه أيضاً والطفل لا يكون متأكداً من أنه يستطيع أن يقرأ أو يكتب. وفي الوقت نفسه يريد أن يعرف في الحال ما إذا كان باستطاعته أن يكسب الخبرة في هذه المهارات أم لا يستطيع، وكذلك فإنه يكون غير متأكد من قدرته على إقامة الصداقات، لذا فإن كفاءته وقبول الأنداد له يغدوان مصدرين رئيسيين من مصادر الشك لديه خلال أعوام المدرسة الأولى، والدوافع الخاصة بتحقيق هذه الأهداف تصبح هي العالية المقام في سلّم تدرج الدوافع.

وتتطور حياة الطفل الاجتماعية من صلته المباشرة بأمه إلى تفاعله الواسع مع المجتمع القائم وتمر هذه الحياة في تطورها بجماعات تتزايد في نطاقها ومداها تبعاً لنمو الطفل. وهي تبدأ بالجماعة التي تنشأ في إطار الارتباطات العضوية التي تصل الطفل بأمه وذلك في إشباعها لحاجاته الأساسية كالتغذية والدفء. وتتطور إلى علاقات نفسية تقوم على الانفعالات التي تعدّ بحق الدعامة الأولى لحياة الطفل العاطفية والاجتماعية، ثم تمتد هذه الصلة إلى علاقة الطفل بأبيه، وأخوته وتتكون بذلك الجماعة الأولية التي يتعلم فيها الطفل عادات الأسرة وتقاليد المجتمع، ثم يتطور به النمو الاجتماعي إلى الجماعة الوسطى التي تقوم على علاقة الطفل برفاقه وإخوانه، وينتهي هذا التطور إلى الجماعة الثانوية التي تعتمد على علاقة الطفل بالمدرسة وبالمجتمع الكبير الذي يترعرع في ربوعه.

إن دور الأسرة مهم جداً في تنشئة الطفل... تنشئة صحيحة سليمة لضمان مستقبل آمن يخلو من منغصات الحياة. فالطفل بارقة الأمل في هذه الحياة وعلينا منحه الحب والحنان والأمان والطمأنينة مع تجنب الدلال الزائد.

فالدلال الزائد يدفع الطفل إلى تصرفات وأفعال شاذة لتحقيق رغبة في أمر ما. فالأطفال في عنقنا أمانة ومن الواجب الحفاظ على الأمانة. هم غرسة ندية في حياتنا إن أحسنا رعايتها وزرعها. لابد وأن تزدهر وتثمر ويصلح أمرها ولكن إن أهملناها ولم نعطها حقها، فمصيرها الذبول وتصبح عديمة النفع والفائدة.

لقد كان من المتعارف عليه قديماً أن الطفل يولد في هذه الدنيا بسلوك محدود وذلك قبل تمام تكوينه، أي وهو جنين في أشهر الحمل الأولى. وتؤكد هذه النظرية نمو المظاهر الرئيسة للحياة خلال تفتحها التدريجي في إطارها المحدد. لكن علم النفس الحديث يخطّئ هذه النظرية. فالطفل يولد، وتولد معه دوافعه الأساسية التي تساعده على المحافظة المباشرة على الحياة، وتولد معه أيضاً بعض استعداداته التي تكفل له فهم هذه الحياة. لكنها لا تحدد سلوكه تحديداً ضيقاً سابقاً لولادته.

إن المثيرات البيئية هي التي تحدد هذه النواحي سيجد طريقه للظهور وأي هذه الدوافع يسود في تكوين السلوك... ونعني بالبيئة المؤثرات الخارجية التي تسهم في تشكيل حياة الفرد خلال مراحل نموه المختلفة. فعلاقته بأهله، وأخوته، وذويه، ومدرّسيه وغير ذلك من العوامل والمؤثرات التي تبدو في المنزل والقرية أو المدينة، كلها أو بعضها تعدّ من المؤثرات الخارجية التي يستقبلها الطفل، ويتفاعل معها، وتسهم في تشكيل أنواع سلوكه المختلفة.

إن السنوات الخمس أو الست الأولى من حياة الطفل لها أهميتها القصوى في تشكيل شخصيته، إذ إن الانطباعات المبكرة في الطفل لها تأثيرات ثابتة على تكوينه الدقيق. وهكذا يكون المعالم الرئيسة لسلوكه. إن هذه السنوات يجب أن تصل بالطفل إلى تكوين العادات الرئيسة التي تساعده على تكيفه للبيئة ومواجهته الإيجابية للحياة. ■

المراجع والمصادر:

١ ـ أطفالنا كيف نفهمهم ـ تأليف جيروم كاتمان ـ ترجمة عبد الكريم ناصيف.

٢ ـ مشكلات الطفولة ـ تأليف ر. م. لادل ـ ترجمة الدكتور السيد محمود زكي.

٣ ـ صحيفة الاعتدال ـ العدد/ ٢١٣/ ـ ٢٥ يونيو/ حزيران ١٩٩٣.

بقلم : د. زيد بن محمد الرماني

وقفات من اقتصاد البيت المسلم

إن اقتصاد البيت المسلم بمجالاته المختلفة من تغذية وملابس وإدارة منزل ورعاية الطفولة يهتم بالأسرة التي هي نواة المجتمع.

ومن أهداف اقتصاد البيت المسلم تربية الأسرة مجتمعة تربية إسلامية وغرس المبادئ والقيم الإسلامية السمحة في أذهان وعقول الناشئة.

ولا شك أن اقتصاد البيت المسلم له علاقات كبيرة بالاقتصاد الوطني الأم، إذ يساعد على زيادة دخل الأسرة وتنمية مواردها المالية.

الوقفة الأولى

الاقتصاد المنزلي :

إن دراية الفرد باقتصاد الأسرة ومواردها البشرية والمالية والتخطيط السليم للانفاق يؤثر بدوره على الاقتصاد الوطني، ثم إن تصنيع الملابس للأسرة يعمل بدوره على تقليل المنفق على الملابس، فيزيد دخل الأسرة.

الاقتصاد المنزلي ضروري لمواجهة أعباء الحياة نتيجة زيادة أسعار السلع المختلفة والخدمات، الأمر الذي يتطلب الانتفاع بالموارد المتاحة لها أقصى حد ممكن وبطريقة سليمة.

ومما لا شك فيه أن الأسرة التي تهتم بتخطيط أسلوب حياتها، سوف تحقق أهدافها.

لذا، ينبغي مراعاة إمكانات الأسرة واتباع نظام الإنفاق السليم، من حيث عدم زيادة مقدار المنفق على الدخل وتوزيع الدخل قدر الإمكان على أبواب الإنفاق.

الوقفة الثانية :

ميزانية الأسرة :

تلعب ربة المنزل دوراً مهماً في إسعاد أسرتها، وذلك بإدارتها الحكيمة لشؤون المنزل وتدبير مصروفاته وصحة أفراده.

فالمنزل هو المكان الذي يسعد فيه جميع أفراد الأسرة.

ومن العوامل المساعدة على توفير السعادة في الأسرة، الناحية المادية من حيث تقدير دخل الأسرة وتنظيم ميزانيتها، بحيث توفر جميع حاجات ومتطلبات الأسرة للمحافظة على صحة الأفراد، وتأمين الملبس والمسكن المريح.

وحبذا لو اهتمت الأسرة بتخصيص مبالغ مالية للتوفير والإدخار لوقت الحاجة والطوارئ المفاجئة، إذ إن ربة المنزل الواعية هي التي توزع ميزانية الأسرة على الأبواب اللازمة للإنفاق.

لذا، ينبغي وضع ميزانية محكمة للأسرة، تضبط النفقات وتحدد الإيرادات وأوجه الصرف، مع المراقبة الدقيقة لهذه الميزانية.

الوقفة الثالثة: الخطة والتخطيط: كثيراً ما يكون لدى الفرد العديد من الأعمال التي تحتاج إلى إنجاز في وقت محدد، أو يحتاج إلى القيام بعمل لم يسبق له القيام به فيما مضى.

في هذه الحالات وغيرها يكون التخطيط هو الحل، إذ يحدد الخطوات الواجب اتباعها للوصول إلى هدف معين ويحدد الوقت المطلوب لإنجاز هذه الخطوات وعن طريقه يمكن تصور العقبات التي قد تصادفنا، والهدف الذي نريد الوصول إليه.

فالتخطيط هو الخطوة الأولى في العملية الإدارية والخطة هي تصور لبعض الأعمال المستقبلية، وهي مرحلة تسبق أي عمل من الأعمال.

وفي الأسرة، ينبغي أن يشترك جميع أفرادها في إدارة شؤونها، فمرحلة التخطيط أهم المراحل التي ينبغي إشراك أفراد الأسرة فيها، لمناقشة المشكلات المتوقعة والرغبات المطلوبة والمفاضلة بين الأهداف المطروحة على ضوء الموارد المتاحة.

إن في ذلك إلى جانب الفوائد الاقتصادية العديدة، تقوية للروابط الأسرية، وتكوين شخصيات فردية ذات مسؤولية عالية وذات تخطيط وتفكير سديد.

الوقفة الرابعة :

دراسة السوق :

لكي يلعب القطاع الخاص دوراً أكثر فعالية، ولكي يسهم في مسيرة التنمية بشكل أكثر إيجابية، فإن سبيله في ذلك هو رفع مستوى الكفاية الإنتاجية عن

طريق الاستفادة من عناصر الإنتاج المتاحة.

ولما كان السوق بمثابة المقياس الفعلي لتحديد مدى كفاءة العملية الإنتاجية، فإن دراسة السوق بغية التعرف على نوع المنتج المناسب لفئات المستهلكين يُعد مدخلاً علمياً لازماً لاتخاذ القرارات السليمة المتعلقة بالإنتاج والاستثمار.

وحيث أن تفهم سلوك المستهلك الذي يؤثر على نوع حاجاته ورغباته، يُعد نقطة البدء في أي تخطيط اقتصادي.

فإن الحاجة ماسة لإجراء البحوث والدراسات الهادفة للتعرف على احتياجات ومطالب المستهلكين، من أجل تقديم السلعة والخدمة المطلوبة في الوقت والمكان المناسبين، وبالسعر والجودة العالية.

الوقفة الخامسة :

عملية الشراء :

ليست عملية الشراء سهلة، كما يظن بعض الناس، بل تحتاج إلى تفكير ودراية.

إن قرارات مثل: كم من النقود لدى الأسرة معدة للشراء؟ وما نوعية الأطعمة التي تشترى؟ ومن أي الأماكن تشتري الاحتياجات؟ وكيف تخزّن هذه الأطعمة؟

إن هذه القرارات ستؤثر على افراد الأسرة، لذا لابد من التفكير العميق والخبرة والمقارنة بين الأثمان والأنواع، ليكون قرار الشراء صائباً حكيماً.

ومن ثمّ، فأول ما ينبغي مراعاته أثناء عملية الشراء هو عدم الشراء أكثر من الحاجة، أي شراء كميات الغذاء اللازمة فقط، لتجنب التلف لما يزيد عن الحاجة، كما ينبغي الشراء من المحلات النظيفة التي تتبع التعليمات الصحية في العرض والتغليف والبيع.

فقد أدى التقدم التقني والاجتماعي والاقتصادي إلى ظهور الأسواق المركزية التي سهلت للمشتري اختيار وشراء ما يطلبه من الأطعمة بالنوعيات التي يحتاجها وتناسب اقتصادياته.

الوقفة السادسة :

الطفل والنقود :

إن تجربة الطفل الأولى مع النقود يمكن أن يكون لها أثر انفعالي عميق، ومن الحكمة تدريب الطفل في سن مبكرة من حياته، وفي مستويات الدخل المختلفة على استعمال النقود، والسماح له بالتصرف في نقوده.

فالطفل بطبيعته مفطور على الجمع والتملك والادخار حسب بيئته الاجتماعية.

إذ المهم أن تكون المبالغ المعطاة للطفل مناسبة لسنه، وأن تعطى له بانتظام، مع مراقبة سلوكه في التعامل مع النقود.

كما أن من المهم أن يفهم الطفل أن المال شيء ثمين، ينبغي التعامل معه بشيء من الحرص.

فمن الأفضل أن يحصل الطفل على مبلغ ثابت منذ اللحظة التي يحتاج فيها إلى النقود لبعض المصروفات العارضة، إذ إن ذلك يساعد على إدراك قيمة النقود وكيفية التصرف بها.

ومن المناسب أن تتاح الفرص للطفل للتسوق لشراء ملابسه وألعابه وغذائه، ليدرك أن السلع المختلفة لها أسعار مختلفة، وأن السلعة الواحدة قد تكون لها أسعار متباينة.

علماً بأن كثيراً ما بدأ تعامل الأطفال بالنقود منذ نعومة أظفارهم عند شراء هدية لصديق، أو شراء سلعة نفدت من البيت من المتجر القريب أو شراء الحلوى من المدرسة.

إن وجود القدوة السليمة للأطفال يساعد على سرعة التعلم وغرس العادات والقيم واتجاهات الاستهلاك ومفاهيم ترشيد الاستهلاك وحسن التعامل مع النقود.

الوقفة السابعة :

دعوة للاقتصاد :

إن على ربة المنزل الواعية أن تكون أول من يحافظ على ميزانية الأسرة، وتحاول الاقتصاد في المصروفات والاعتدال في النفقات.

فقد جاءت مناهي شرعية وتحذيرات إلهية من الإسراف والتبذير، فقال سبحانه وتعالى: (ولا تسرفو) وقال عز وجل: (ولم يسرفوا)، وقال سبحانه (فلا يسرف...) وقال تعالى: (ولا تبذر).

ذلك لأن الله تعالى لا يحب المسرفين، كما أن المبذرين إخوان الشياطين.

إن المستهلك الرشيد هو ذلك المستهلك الذي يراعي مبدأ الرشد والعقلانية والاعتدال في أكله ومشربه وملبسه ومنزله وسيارته وأثاثه، واستخدامه للكهرباء والمياه، حماية لنفسه ولأسرته.

إن المستهلك الرشيد هو الذي يراعي قرارات الشراء والاستهلاك، بحيث تكون في الوقت المناسب وللحاجة المطلوبة ومن المكان المناسب وبالسعر المناسب وبالجودة المطلوبة وبالقدر اللازم والحجم المناسب والنوعية المطلوبة.

والمستهلك الذي يراعي ذلك يمكن أن يحقق الرشاد الاقتصادي والعقلانية الحكيمة من وجهة نظر الاقتصاد المعاصر.

بحيث لا يقع فريسة التلاعب والاستغلال، ولا ينساق خلف الإسراف والتبذير، ولا تتعرض سلعه وبضائعه للكساد والتلف والفساد. ومن ثمّ، فلا بد من توفير القدوات الاستهلاكية، ومراعاة الاقتصاد في النفقات والاعتدال في المصروفات، والترشيد في الاستخدام والتقليل من مظاهر الإتلاف. ■

بقلم : د. رضوان أحمد بيطار

يصاب كثير من الأطفال بالكثير من الأمراض البسيطة وبخاصة في أثناء فترة الحضانة أو الروضة أو المرحلة الابتدائية.

ومعظم هذه الأمراض لا تحتاج إلى أكثر من الراحة والكثير من المداراة.

والأمر المهم هو أن تميز الأم متى يكون طفلها متوعكاً، ومتى يكون مريضاً فعلاً ويحتاج أن تعرضه على الطبيب؟ وتعتبر الاضطرابات الهضمية كالمغص والإقياء والإمساك والإسهال من الأعراض الشائعة التي تصيب الأطفال وتحتاج من الأم عناية خاصة.

الاضطرابات الهضمية عند الأطفال

المغص

يصيب المغص الأطفال الرضع ويتصف بألم متكرر في البطن مع نوبات من البكاء، ويبدأ منذ اليوم العاشر من العمر ويستمر حتى الشهر الثالث وربما يستمر بعده أيضاً. وهو أكثر ما يحدث بين الخامسة والعاشرة مساءً.

العلاج:

- اجعلي الطفل يتجشأ بحمله على كتفك والربت على ظهره.
- هدئي الطفل لتمنعي البكاء الذي يسبب مزيداً من ابتلاع الهواء وبالتالي مزيداً من المغص.
- جربي تهدئته بحمله والمشي به أو هزه وأرجحته أو دفعه داخل عربته أو حتى أخذه بجولة في السيارة.
- إذا كنت ترضعينه بالزجاجة تأكدي أن حجم ثقب الحلمة مناسب وأنك تمسكين الزجاجة بطريقة صحيحة عند إرضاعه، وهي أن تجعلي الحليب يملأ الحلمة كي لا تسمحي ببلع كميات من الهواء الذي يصاحب عملية الرضاعة، فتزيد كمية الغازات في معدة الطفل فيشعر بالمغص.

متى تراجعين الطبيب؟

- إذا فشلت الوسائل البسيطة السابقة، وكنت تعتقدين أن الطفل متألم، أو أنك منهكة وساخطة إلى الحد الذي قد يجعلك تخطئين في الحكم والتصرف.
- إذا ترافق المغص مع أعراض أخرى كالإقياء، والإسهال أو خروج الدم مع البراز، فراجعي الطبيب فوراً.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب؟

- سيطمئنك بعد فحص الطفل بعدم وجود حالة مرضية خطرة لديه.
- قد يصف للطفل مهدئا في الحالات الشديدة.
- قد يرتب في حالات نادرة إقامة قصيرة للطفل في المستشفى.

الإقياء

يبلع أغلب الرضع هواءً في أثناء الرضاعة، ولذا يجب الربت على الظهر مما يساعدهم على التجشؤ وإخراج الهواء، ولكن أغلبهم يخرج قليلاً من الحليب أيضاً في أثناء التجشؤ وهذا لا يعتبر إقياء وليس في ذلك ضرر على الطفل.

ففي بعض الأحيان يتقيأ الرضيع كمية لا بأس بها من الحليب إما مباشرة بعد الإرضاع أو بين الرضعات ومن النادر أن يكون هذا الإقياء شديداً بحيث يؤثر على تغذية الطفل، لكنه يقلق الأم وفي أحيان أخرى يتقيأ الطفل كميات كبيرة من الغذاء وربما يترافق الإقياء مع أعراض وعلامات مرضية أخرى كارتفاع في درجة الحرارة أو الإسهال، لذا يجب مراجعة الطبيب في مثل هذه الحال.

العلاج المنزلي:

إذا كان الطفل يتقيأ كمية لا بأس بها من الحليب، فيمكن تجريب أساليب مختلفة لمعالجة هذه الحال مثل :

- عدم ترك الطفل يبكي قبل إرضاعه.
- مراعاة الطرق الصحيحة للإرضاع بحيث لا يبتلع كثيراً من الهواء، وعلى الأم أن تجلسه بعد الإرضاع.
- كما يساعد إدخال بعض الأطعمة اللينة في غذائه في وقت مبكر - أي منذ نهاية الشهر الثالث من العمر، كمسحوق الذرة ومسحوق بذور الخروب - على معالجة هذه الحالة والتخفيف من حدتها.

أسباب يجب أن تقلق الأم وتدفعها لمراجعة الطبيب :

١ - إذا بدا الطفل مريضاً.

٢ - إذا احتوى القيء على دم أو مادة صفراء.

٣ - إذا استمر الإقياء وخشيت أن يسبب ذلك جفافاً أو سوء تغذية.

٤ - إذا تقيأ الطفل كميات كبيرة من الغذاء أو ترافق الإقياء مع أعراض وعلامات مرضية أخرى، فإنه يمكن أن يكون من أول المؤشرات على وجود التهاب عام وهو شائع في التهاب الكليتين والتهاب السحايا والتهاب المعدة والأمعاء أو غيرها، وفي جميع هذه الحالات يجب مراجعة الطبيب فوراً.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب:

- يشخص الحالة بعد أن يستمع من الأم لوصف الإقياء والأعراض المرافقة ويقوم بفحص الطفل؟

- قد يصف للطفل بعض الأدوية إذا كان الإقياء معتدلاً والأدوية هذه قد تساعد قليلاً على عدم الأقياء.

- إذا كان الإقياء شديداً قد يحيل الطفل إلى المستشفى لإجراء الفحوصات وإعطاء العلاج.

الإمساك عند الأطفال

يعتبر الإمساك شكاية شائعة في مختلف مراحل العمر، فكثير من الناس يعتقدون أن التبرز كل يوم يعتبر ضرورياً وأن ما هو أقل من ذلك يعتبر إمساكاً، لذلك تقلق بعض الأمهات إذا لم يفرغ الطفل أمعاءه كل يوم. ولكن بإمكان الأمهات القول إذا كان الطفل مصاباً بالإمساك فعلاً أن يُسألن عن البراز فإذا كان طرياً فهذا يعني أن الطفل غير مصاب بالإمساك حتى ولو تبرز كل عدة أيام.

وفي حال الأطفال الرضع فإنه من الطبيعي والشائع أيضاً ألا يتبرز الرضيع لمدة أسبوع، ونادراً ما يسبب هذا أي مشكلة، كما أن الأطفال الذين يرضعون من الثدي فمن المستبعد أن يصابوا بالإمساك لأن حليب الأم غذاء مثالي ومتوازن ويمتص الجسم معظمه ولذلك تكون الفضلات قليلة، لكن إذا تبرز الرضيع الذي يرضع من الثدي مرات عدة في اليوم فهذا يعني أنه أمر طبيعي فالمعول عليه في التقرير إذا كان الطفل مصاباً بالإمساك أو لا هو قوام البراز سواء أكان يابساً أم طرياً وليس ندرة مرات التبرز، فليس من المقبول أن يحتاج الطفل الحزق أو أن يسبب الإمساك له الألم في أثناء التبرز أو أن يكون البراز يابساً إلى الحد الذي يمزق الغشاء المخاطي للشرج مسبباً الألم وخروج الدم مع البراز.

كذلك الحال بالنسبة للإسهال فالمعول عليه أيضاً هو قوام البراز (لين أو سائل) وليس عدد مرات التبرز.

ومما لا شك فيه أن ما يأكله الطفل يؤثر على تكرار التبرز وطبيعة وشكل البراز.

أسباب الإمساك عند الأطفال:

١ - عدم تناول الرضيع كمية كافية من الحليب.

٢ - إعطاء الطفل حليباً مركزاً.

٣ - إعطاء الحليب البقري بدلاً عن حليب الثدي أو تركيبة حليب الأطفال.

٤ - يترافق الإمساك أحياناً مع الأمراض التي تسبب ارتفاعاً في درجة الحرارة.

٥ - قد يصاب الأطفال بعد سن الفطام بالإمساك إذا لم يتناولوا أغذية تحتوي على الألياف كالفواكه والخضار.

٦ - كما يصاب الأطفال الأكبر سناً بذلك إذا لم يستجيبوا إلى إحساسهم بالحاجة للتبرز بسبب انشغالهم باللعب.

٧ - يترافق الإمساك أحياناً مع بعض الاضطرابات المرضية ولكنه لا يكوّن الشكاية الأساسية ومن هذه الأمراض نقص إفراز الغدة الدرقية، ارتفاع نسبة الكالسيوم المجهولة السبب وغيرها في الدم.

العلاج المنزلي:

- أعطي الرضيع كمية كافية من الحليب.

- لا تعطيه حليباً زائد التركيز بل اتبعي الإرشادات الموجودة على علبة تركيبة حليب الأطفال في حال الإرضاع بالزجاجة.

- لا تعطيه الحليب البقري قبل إتمام الطفل السنة من العمر.

- أعطيه كمية زائدة من السوائل كالماء وعصير الفواكه.

- في حال الطفل الأكبر سناً تأكدي من أن غذاءه يحتوي على كمية من الألياف: أطعميه الفواكه والخضار والخبز الأسمر المحتوي على النخالة.

متى تراجعين الطبيب؟

- إذا كان التبرز مؤلماً أو كان البراز مصحوباً بدم، فهذا يعني أن الطفل مصاب بشق شرجي.
- إذا رافق الإمساك ألمٌ في البطن أو إقياء.
- إذا بدأ يلوث ملابسه الداخلية بالبراز بعد أن أصبح نظيفاً.
- إذا اعتقدت أنه بحاجة إلى مليّن لا تعطي الطفل مليّناً ما لم يصفه الطبيب له.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب؟

- يبحث عن أسباب الإمساك عند طفلك بسؤالك عن غذائه اليومي.
- يقوم بفحص الطفل وبخاصة في بطنه ليتأكد أنه لا يوجد أي مضاعفات.
- يزودك بنصائح حول غذاء طفلك.
- قد يصف للطفل بعض الملينات أو الحقن الشرجية في بعض الحالات القليلة.
- قد يحيل الطفل إلى المستشفى في حالات نادرة إذا دعت الأسباب إلى ذلك أو لمعالجة بعض المضاعفات كالشق الشرجي أو تضخم القولون المكتسب.

الإسهال

من الطبيعي أن يتبرز الرضيع بعد كل إرضاع برازاً ليناً، لكن تبرزه مراراً برازاً سائلاً أو شبه سائل لا يمكن اعتباره طبيعياً، لذا يجب أن تدرك الأم أن الإسهال قد يكون خطيراً ويؤدي إلى الجفاف الذي قد يكون له نتائج وخيمة.

أسباب الإسهال:

- ينجم الإسهال عادة عن التهاب في الأمعاء أو في مكان آخر من الجسم كالتهاب المجاري التنفسية العلوية (التهاب الأذن الوسطى) أو التهاب في المجاري البولية أو التهاب السحايا (وهذا يترافق عادة مع الإقياء).
- كما قد ينجم الإسهال أحياناً عن أسباب جراحية (تستدعي إجراء جراحة) مثل التهاب الزائدة الدودية، أو الانغماد المعوي.
- وينجم أحياناً عن عدم قدرة الأمعاء على امتصاص سكر الحليب (اللاكتوز) أو بسبب استعمال الأدوية كالمضادات الحيوية.
- وفي الأطفال الأكبر سناً قد يكون سبب من الأسباب يبدو للأم على أنه إسهال إلا أنه في الحقيقة هو إمساك مزمن وشديد، حيث تسيل المحتويات السائلة إلى الأجزاء العليا من الأمعاء من حول كتل البراز الصلبة المحتبسة في الأجزاء السفلى من الأمعاء؛ تلك الكتل التي تبقي المستقيم والشرج مفتوحين باستمرار.
- كما يسبب التحسس لبعض الأطعمة أو القلق أحياناً الإسهال عند بعض الأطفال.

العلاج المنزلي:

- إذا كان الطفل يُرضع إرضاعاً طبيعياً، استمري في إعطاء الطفل ثديك مراراً ولأطول مدة يرغب فيها.
- أما إذا كان يرضع من الزجاجة، فأرضعيه التركيبة الخاصة الخالية من اللاكتوز.
- أعطيه ٥٠ ـ ١٠٠ ميلليتر من محلول الإرواء عن طريق الفم (يمكن الحصول عليه من عيادات رعاية الطفولة أو الصيدليات) بعد كل مرة يتبرز فيها الطفل براز سائلاً أو شبه سائل.
- استعملي كوباً نظيفاً أو معلقة نظيفة لإعطاء محلول الإرواء بدلاً عن زجاجة الرضاعة التي كثيراً ما تكون مصدراً للالتهاب.
- عند توقف الإسهال يمكنك إعطاءه الحليب الصناعي ثانية.
- إذا كان الطفل عمره أكثر من ستة أشهر أطعميه الزبادي (الروب) والموز الناضج المهروس والبطاطا المسلوقة والتفاح المقشور أو عصير التفاح الطازج والجزر المسلوق أو عصير الجزر.
- قد يكون الإسهال معدياً ففي مثل هذه الحال احرصي على النظافة التامة واغسلي يديك بالماء والصابون بعد رعاية طفلك وتغيير حفاظته، فهذا يقي باقي أفراد الأسرة من الإصابة بالمرض.

متى يُراجع الطبيب؟

- إذا كان عمر الطفل تحت ستة أشهر واستمر الإسهال أكثر من نصف يوم.
- إذا أصيب الطفل بالجفاف: مثلاً الفم جاف والعيون غائرة واليافوخ (المنطقة اللينة في الرأس) غائرة أيضاً والجلد فاقد لمرونته وعدد مرات التبول قليلة (يجب الانتباه للفرق بين بلل الحفاظة بالبول وبللها بسبب البراز السائل)، عندها يجب مراجعة الطبيب فوراً.
- إذا ترافق الإسهال مع أعراض أخرى مثل الإقياء أو الألم أو كان البراز مصحوباً بالدم، أو ارتفعت حرارة الطفل أو بدا مريضاً.
- إذا لم يتحسن الإسهال خلال ثلاثة أيام، فربما يؤدي الإسهال إلى نقص وزن الطفل.

ماذا يمكن أن يفعل الطبيب؟

- سيسألك عن غذاء الطفل وعن عدد مرات التبرز وقوام البراز والأعراض الأخرى المصاحبة للإسهال.
- سيفحص الطفل ليتأكد ما إذا كان الطفل مصاباً بالجفاف ودرجة الجفاف عنده.
- سيزودك بالنصائح بخصوص غذاء الطفل.
- سيصف للطفل محلول الإرواء عن طريق الفم لتعويض السوائل المفقودة بالإسهال.
- قد ينصح بإعطاء الطفل تركيبة حليب خاصة خالية من سكر الحليب (اللاكتوز) بدلاً من تركيبة الحليب الابتدائية أو المكملة.
- قد يطلب إجراء فحص لبراز الطفل ليرى إن كان سبب الإسهال التهاباً بكتيرياً في الأمعاء.
- قد يصف بعض الأدوية مثل الكانولين أو الكودينين التي تبطئ حركة الأمعاء.
- قد يحوّل الطفل إلى المستشفى إذا كان الطفل مصاباً بالجفاف بدرجة متوسطة أو شديدة حيث قد يحتاج إلى إعطائه محاليل عن طريق الوريد لتعويض السوائل المفقودة بالإسهال.
- يحوّل الطفل إلى الاختصاصي إذا أصبح الإسهال مزمناً. ■

بقلم : منى السعيد مصطفى الشريف

عفواً سيدي الرجل

أحياناً ما تكون الكلمة أمضى من السيف وخاصة إذا ما تعلقت عليها حياة وكيان بيت وأسرة وأطفال وقد شرع الله تعالى الطلاق لحكمة شاء أن يكون رحمة منه لإنقاذ حياة زوجين استحالت بينهما العشرة وأصبح الانفصال هو قارب النجاة الوحيد لهما... ومعنى استحالت العشرة أنهما استنفدا كل محاولات الصلح والتوفيق التي شرعها الله في كتابه الكريم حيث يقول جل شأنه (واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن) النساء:٣٤، فإذا دب الخلاف بين الزوج وزوجته بدأ بالنصح والوعظ والكلمة الطيبة التي تذكرها بحق الله عليها وحق زوجها وتبصرها بعاقبة تصرفاتها التي تغضبه وقد تتسبب في هدم البيت، فإن لم تستجب لذلك هجر فراشها فإن لم يجدِ ذلك لجأ إلى الضرب الشرعي الذي لا يؤذي «غير المبرح»، فإن لم تفلح كل هذه المحاولات تكون خطوة أخرى شرعها الله تعالى في قوله: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما النساء:٣٥.

فيأتي تدخل أهل الصلاح من الأقارب للتوفيق بين الزوجين... فتلك هي خطوات الصلح التي شرعها الله تعالى والتي لا يلتزم بها الكثيرون، فالبعض يلجأ للضرب كأول حل للخلاف، والبعض يُدخل الأهل والأصدقاء في أي خلاف مهما صغر أو كبر... وهناك نوع أخطر يلقي بكلمة الطلاق لأتفه الأسباب ودون تفكير... نعم للأسف بعض الرجال يسيء استخدام هذا الحق الذي شرعه الله له حتى ترى كلمة الطلاق تجري على لسانه طوال الوقت وفي أمور قد لا تتعلق بالبيت والحياة الزوجية على الإطلاق، فتراه إذا أراد أن يدعوك لزيارته أو يحثك على فعل أي شيء يحلف يميناً بالطلاق... إنني عندما أصادف مثل هذه النوعية من الرجال أتساءل في نفسي ترى كيف يكون شعور زوجة هذا الرجل وهي ترى أنها في نظره أقل شأناً من كوب من الشاي أو قعطة أثاث بالية؟

إن امرأة تعيش مع رجل كلمة الطلاق عنده أسهل من إلقاء السلام على المارة، لا يمكن أن تشعر بالأمان ولا بمكانتها في بيته، بل ولا حتى بإنسانيتها لأنها تمتهن كل يوم بسوء فهمه وتصرفه، ولقد كان لنا في رسول الله ﷺ خير أسوة، حيث أنه ﷺ لم يلجأ إلى الطلاق في حل الخلافات الزوجية... على العكس، لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في الحلم وسعة الصدر مع زوجاته رضي الله عنهن حتى في أصعب وأدق المواقف التي يحق لها أن تعصف بعقول أعظم الرجال، وليس هناك مثال على ذلك أروع من موقفه مع السيدة عائشة - رضي الله عنها - في حادثة الإفك ويا لها من حادثة... ويا له من موقف عظيم عندما يواجه الرجل أكبر عاصفة يمكن أن تعصف بأي بيت عندما يطعن الرجل في عرضه وتحيط به السنة السوء والإشاعات فتشتعل النار حوله لتلتهم العقول والألباب، ولكن لم يكن رسول الله ليظلم أبداً، ولو طلق عائشة رضي الله عنها في هذا الموقف لأثبت عليها الشائعة، ولحق بها العار، ولكنه صبر وتحمل وعانى ما عانى من ألم وتحملت معه زوجته الطاهرة هذه المحنة حتى برأها الله تعالى من فوق سبع سماوات، وغير ذلك الكثير من الأمثلة من حلمه - ﷺ - مع زوجاته ومراجعتهن له وهجره لهن شهراً عندما طالبن بزيادة النفقة فلم يلجأ ﷺ إلى الطلاق.

فأين ذلك من رجل تجري الكلمة على لسانه ويلجأ إليها في أي خلاف بينه وبين زوجته، ثم يعود يلهث وراء أهل الفتوى قائلاً: لقد كنت في حالة غضب وانفعال... وقد أعجبني رد أحد مشايخ الأزهر على رجل طلق زوجته وكانت الطلقة الثالثة، ثم تعلل قائلاً: «كنت في لحظة غضب»، فرد عليه الشيخ قائلاً: «اتق الله يا رجل... وهل يطلق الرجل زوجته إلا وهو في حالة غضب؟! أم أنك تريد أن تصطحب زوجتك في نزهة كي تقول لها أنت طالق»، إن كثيراً من بيوت المسلمين عائمة على بحر من الحرام بسبب جريان كلمة الطلاق على لسان الزوج دون داعي... وفي نظري أن الزوج الذي يلجأ إلى الحلف بالطلاق على زوجته باستمرار إنما هو رجل لم يستطع تحقيق قوامته الصحيحة عليها وفي بيته، فهو لا يستطيع أن يجعل زوجته تطيعه الطاعة الواجبة... ولذلك يلجأ إلى كلمة الطلاق لإجبارها على طاعته - وللمرأة دور في ذلك بالطبع - وقد اعترف أحد الأزواج بذلك قائلاً: «إن زوجتي لا تطيع لي أمراً إلا إذا حلفت عليها بالطلاق!».

ورغم أنه قد يكون معه العذر... ولكن عفواً سيدي لم يشرع الله تعالى الطلاق لهذا الغرض ولم يجعله تعالى سيفاً مسلطاً على الزوجة والأولاد ليل نهار، لقد جعل الله حق القوامة وأخذ قرار بالطلاق أو الاستمرار في يد الرجل لأنه الأعقل والأقوى على التحكم في عواطفه وقراراته كي تسير سفينة الحياة في سلام بالأسرة ولكن عندما يصبح قائد هذه السفينة أهوج طائش اللب ستكون السفينة معرضة للغرق كل دقيقة ويصبح كل ركابها في حالة قلق وتوتر دائم، فكيف يستطيع بيت هذا حاله وحال أهله؟ أن يربي النشء تربية صحيحة؟ أو أن يقوم أفراده بما عليهم من واجبات تجاه خالقهم ومجتمعهم - يقول رسول الله ﷺ : (ثلاث جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح والطلاق والعتق).

وأخيراً... لا أحب أن ألقي بكل اللوم على الرجل... فالمرأة هي مفتاح سعادة الأسرة، وإن كان هناك رجال يسيئون استخدام كلمة الطلاق، فهناك نوع من النساء يدفعهن أزواجهن دفعاً إلى تطليقهن بالعناد الدائم وعدم الطاعة والاستفزاز السافر بطلب الطلاق في أي نقاش دون داعي... إن الرجل يا أختاه طفل كبير يبحث دائماً في زوجته عن الأم التي تسامح وتتغاضى عن الأخطاء الصغيرة، وتحنو، بل وتدلل أحياناً.

إن الكلمة الطيبة اللينة تطفئ نار الغضب، والابتسامة الهادئة تريح القلب قبل العين، فلتزيني لسانك ووجهك بهما، ولتتأكدي أن بيتاً هادئاً منظماً مستقراً وفيه زوجة ودود حانية مثل ذلك البيت لن يهجره صاحبه أبداً. ■

بقلم : د. حسن عبدالغني أبو غدة

مفاهيم تخص المرأة المسلمة

● هل تعتبر الفتاة آثمة في حال رفضها الزوج، من أجل إتمام دراستها؟

- من المقرر عند العلماء: أنه لا إثم على الإنسان إلا بترك واجب أو فعل حرام، والزواج تعتريه الأحكام التكليفية الخمسة، وهو يختلف من إنسان إلى آخر.

فقد يكون واجباً في حق إنسان ما - رجلاً أو امرأة - وذلك لحاجته إلى إعفاف نفسه، وصيانتها عن الوقوع في الحرام، مع تيسُّر أسباب الزواج، والقدرة على مسؤولياته.

وقد يكون الزواج مندوباً ومستحباً في حق فرد آخر، لأنه يأمن على نفسه من الوقوع في الحرام.

وقد يكون الزواج في حق أفراد آخرين مباحاً... إلخ

وكل إنسان أدرى بنفسه من غيره في هذه الأمور، فإذا كان بحاجة شديدة إلى الزواج، وتيسرت له أسبابه الشرعية، وامتنع عنه، فهو آثم في ضوء ما سبق، لأن ما لا يتم الواجب - وهو هنا: صيانة النفس عن الحرام - إلا به - وهو هنا: الزواج - فهو واجب، أي: الزواج.

أما إذا عرف الإنسان من نفسه: أن الزواج في حقه مندوب وليس واجباً، وأرجأ التفكير به والحديث فيه، حتى إتمام الدراسة، فلا حرج في هذا ولا إثم.

لكن ينبغي على الفتيات - بوجه خاص - أن يعلمن أنه كلما تقدمت بهن السن، قلت أمامهن فرص الزواج ممن يناسبهن، ووقعن في الندم، حيث لا ينفع الندم.

هذا، وإنَّ رفض بعض الفتيات فكرة الزواج كلياً، حتى الانتهاء من الدراسة، ظاهرة سلبية أسهمت بنسبة ما في انتشار مشكلة «العنوسة»، التي تفاقمت في كثير من المجتمعات، الإسلامية، وحمَّلت الآباء والأمهات هموماً وأعباء نفسية كبيرة.

وعلى كل حال، فإن الزواج لا يعدُّ عائقاً عن إتمام الدراسة، وهناك وقائع وحالات كثيرة نعرفها جميعاً في أقربائنا وأصدقائنا وجيراننا، تزوّج فيها الشباب، وتزوَّجت الفتيات في أثناء الدراسة، وأتموا جميعاً دراستهم حتى النهاية، وكان بعضهم وبعضهن من المتفوقين والمتفوقات.

● هل تعتبر الفتاة المثقفة آثمة إذا هي رفضت الزواج بمن هو أقل ثقافة منها:

- أؤكد ما سبق: أنه لا إثم إلا بترك الواجب، ولا يجب على شاب ما، أن يتزوج فتاة ما بعينها، وكذلك العكس.

لكن لا ينبغي لنا السؤال عن الواجب الشرعي فقط، لنقوم به، ونبتعد عن الحرام، بل علينا أيضاً الحرص والسؤال عن المندوب «المستحب» والمباح، وذلك للعمل بهما، إذ من المعلوم أن في ترك المندوب، وفي ترك المباح أحياناً، تفويتاً لكثير من المصالح والمنافع الدينية والدنيوية التي قد لا تعوض في المستقبل.

ومعنى هذا: أن الفتاة التي ترفض الزواج بمن هو أقل ثقافة منها، بنسبة غير كبيرة، لا ترتكب إثماً، لكنها قد تفوِّت عليها فرصة لن تعود، وبخاصة إذا كان الشاب يتصف بأوصاف أخرى إيجابية، تلقى لها مكاناً

حسناً في قلب الفتاة.

● إذا كان أمام الشاب خياران اثنان: إما الزواج من فتاة مثقفة متقاربة معه في العمل، وإما الزواج من فتاة أخرى أصغر وغير مثقفة، فهل يعتبر إثماً إذا اختار الأصغر غير المثقفة؟ وهل يؤجر إذا تزوّج الكبيرة المثقفة؟

– الزواج ليس رغبات ومصالح مادية بحتة، لا معاني فيها ولا مشاعر، الزواج حياة وتفاهم، ومودّة ورحمة، وحبٌّ ووفاء وتضحية، وتجانس روحي، وتفاعل في المشاعر، وتحقيق للآمال في الاستقرار الأسري وإنجاب الأبناء الصالحين، الذين يفيدون أمتهم ودينهم ومجتمعهم.

وعلى الشاب وعلى الفتاة أن يختار كل منهما ما يراه مناسباً له، متوافقاً مع ميوله وتطلعاته وحبه المشروع ويتحرى الأسباب والأوصاف الشرعية المساعدة على استقرار الحياة الأسرية ودوامها.

أخرج أحمد والنسائي وابن ماجه أن فتاة قالت للنبي ﷺ : إن أبي زوّجني من ابن أخيه، وأنا له كارهة، فأرسل النبي ﷺ إلى أبيها فجاء، فخيّر ابنته بحضوره...

وروى الحاكم وابن ماجه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، عندنا يتيمة قد خطبها رجلان: موسر ومعسر، وهي تهوى المعسر، ونحن نهوى الموسر، فقال النبي ﷺ : «لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح».

ففي هذين الحديثين بيان بأن الزواج مجمع للعواطف والحب والتآلف النفسي، وقد يكون هذا مع الفتاة المثقفة المتقاربة في السن مع الشاب، وقد يكون الحبُّ والميل والهوى مع الفتاة الأصغر غير المثقفة، وهذه مشاعر ورغبات شخصية عاطفية، ليس للآخرين سيطرة عليها... وليس على الشاب إثم إذا اختار الأصغر غير المثقفة، وترك الكبيرة المثقفة، كما أنه لا يؤجر أجراً خاصاً، لكونه تزوج الكبيرة المثقفة، إلا إذا كانت هناك

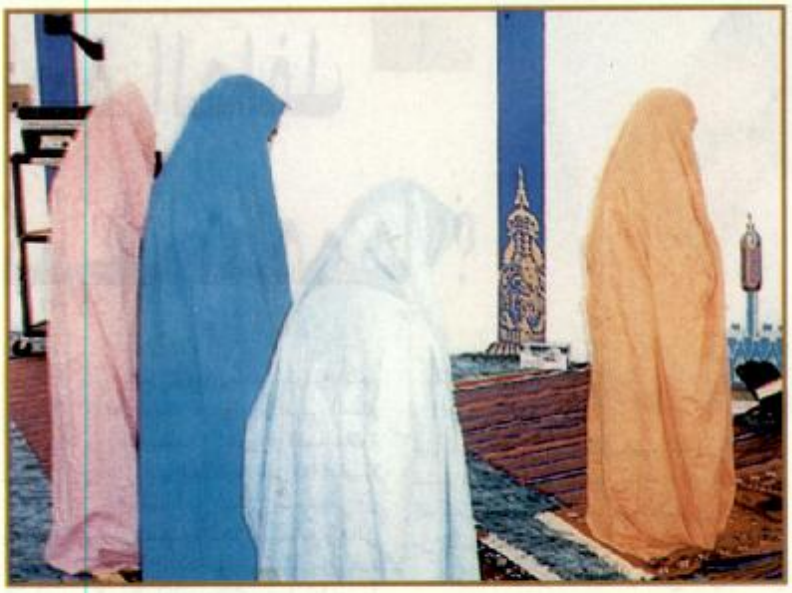

موجبات أخرى للأجر.

● هل تُثاب الزوجة العاملة على عملها، سواء كانت مدرِّسة أو طبيبة؟ وهل يُثاب زوجها أيضاً؟

– نعم كلٌّ من باشر عملاً، أو تسبب في عمل، أو أعان على عمل، يُبتغى به وجه الله تعالى وتحقيق الخير والسعادة للآخرين، فهو مأجور عليه إن شاء الله، سواء كان رجلاً أو امرأة، مدرساً أو مدرسة، طبيباً أو طبيبة، أو غير ذلك.

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال : «كل معروف صدقة»، وروى العسكري وابن منيع والمنذري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «كل معروف صدقة، والدال على الخير كفاعله».

وروى الطبراني وأبو نعيم والبيهقي وغيرهم أن رسول الله ﷺ قال : «الخلق كلهم عيال الله ـ أي عبيد الله ـ فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله».

وهكذا، فإن أي نشاط يمارسه المسلم فهو مأجور عليه، إن كان هذا النشاط مشروعاً ويُراد به وجه الله تعالى، وذلك لأن حياة المسلم كلها لله وفي سبيل الله، قال الله تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) الأنعام:١٦٢.

● عندما تحتاج الأمة للعاملات، وتضطر للاستعانة بغير المسلمات، فهل على الفتيات المسلمات مسؤولية دينية للعزوف عن هذه الأعمال؟ وهل على الأهل والأزواج مسؤولية كذلك، إذا كانوا لا يشجعون بناتهم وزوجاتهم على التعلم والعمل لسدّ الحاجة الاجتماعية؟

– أشير إلى أنه صدر الكثير من الفتاوى أكدت ضرورة الاستغناء على الخادمات، تجنباً للخلوة وغيرها من المحظورات، لكن حين الضرورة القصوى ينبغي الاستعانة بالعاملات المسلمات، وهنَّ أولى من غيرهن، لما في ذلك من أثر واضح في بناء شخصية المجتمع، وتوثيق صلة الأبناء بالإسلام وأحكامه وتشريعاته، ديناً وسلوكاً، حاضراً ومستقبلاً.

ومن الطبيعي أن تعمل الفتيات وأهلوهن وأزواجهن على تحقيق ذلك المطلب الديني والاجتماعي، وذلك من أجل مستقبل أفضل للجميع. ■

بقلم: أشرف سعد

1 لغة الطفل كيف نفهمها؟

يعتز الإنسان بلغته القومية، لأنها لغة قومه وعشيرته، والعربي المسلم يعتز باللغة العربية لأنها علاوة على أنها لغة قومه فهي لغة عقيدته والعقيدة هي أسمى ما ينبغي أن يعتز به الإنسان المسلم والحق سبحانه وتعالى امتدحها حين قال: (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون. قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون) الزمر: ٢٧ ـ ٢٨.

النمو اللغوي عند الطفل

الأصوات هي المادة الخام الأولية للغة وخلال الأشهر الأولى يكون الصراخ والصياح وسيلتاه للتعبير عن حاله، ومن المهم جداً خلال هذه الفترة ملاحظة الأم لوليدها بدقة، وتسجيل الملاحظات ومداومة الاتصال بالطفل وبخاصة في أثناء الرضاعة وذلك بالحديث إليه وتؤكد بعض البحوث العملية معرفة الأم لنوع البكاء هل هو بكاء جوع أم بكاء ألم. ومن الضروري خلال هذه الفترة:

- أن تناغي الأم طفلها وتتحدث إليه وتحاول ترديد وحدات صوتيه معينة أمامه.
- عدم تعجل نطق الطفل بحروف أو كلمات واضحة هو أن الوحدات الصوتية التي ينطق بها الطفل لا يتحكم فيها النضج.
- ينبغي عدم كف الطفل أو نهره حينما يلعب بصوت مرتفع بدعوى أنه يسبب إزعاجاً لأن في حقيقة الأمر اللعب هنا هو تدريب للأجهزة الصوتية ومحاولة لاستخدامها.

متى ينطق الطفل الكلمة الأولى؟

يجمع علماء النفس على أن الشهرين الحادي عشر والثاني عشر من السنة الأولى هما المرشحان لنطق الطفل العادي. ولكننا نلاحظ تعجل بعض الآباء حديث أبنائهم وهذا ضرب من الوهم لأنه لابد من نضج الأعضاء الصوتية قبل ذلك وقد يتأخر النطق حتى الشهر الخامس عشر من عمر الطفل لذا ينصح اختصاصيو التربية بما يلي خصوصاً في الشهرين الأخيرين من السنة الأولى:

- تدريب حواس الطفل الرضيع على السمع كسماع تلاوة القرآن على أن يكون الصوت خافتاً.
- نداء الطفل باسمه وإشعاره بالحب والحنان.
- إرضاعه في مكان هادئ ومريح ولمس كفيه وشعر رأسه ومناغاته.
- أثبتت الأبحاث أن الطفل المحروم من المداعبات يكون عصبي المزاج عدواني الطبع يميل للعزلة والحقد على الآخرين.

نمو قاموس الطفل في السنة الثانية

يتطور قاموس الطفل في السنة الثانية سريعاً ليشمل مفاهيم مهمة فهو يستجيب للأوامر والأسئلة ويستخدم الكلمات ويدرك معانيها والطفل في المتوسط يستخدم (٣٠) كلمة استخداماً متكرراً خلال عامه الثاني وهناك فروق فردية واضحة بين الأطفال وتتميز هذه الفترة بغلبة الأسماء على غيرها ويستطيع خلال هذه الفترة تركيب الكلمات لتنتج جُملاً بسيطة وعلى الآباء في هذه المرحلة اتباع التالي:

١ ـ استثارة الطفل لغوياً عن طريق:

أ ـ الحديث إليه بشكل شبه مستمر ويمكن أن يكون على هيئة أسئلة وحوار.

ب ـ دفعه للكلام بطريقة تشويقية واستثارته.

ج ـ عرض مثيرات بيئية مختلفة أمامه ليتعرف عليها.

٢ ـ مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال فلا يضغط على طفل للنطق بكلمات نطق بها طفل آخر قبله أو معاقبته على ذلك لأن ذلك يعطل نموه اللغوي.

ومن الملاحظ أن البنات يفقن الأولاد في الجوانب اللغوية، حيث يسبقن الذكور في بداية الكلام ويزدن عليهم في عدد المفردات اللغوية، كذلك الفروق الاجتماعية لها دور أيضاً في سرعة نطق الطفل، فأطفال الطبقات الدنيا يصلون إلى مستويات عليا من التحصيل اللغوي ويعود ذلك إلى ما يلاقونه من استثارة لغوية.

تطور اللغة بعد سن الثانية

تزداد قدرة الطفل على فهم المجردات والأمور المعنوية ولكن بقدر يسير ويستخدم الكلمات التي تدل على المكان مثل هنا، فوق، تحت، لذلك على الوالدين مراعاة ما يلي:

- عندما يعبّر الطفل في حديثه عن حدث معين ويصفه للآخرين يجب الاستماع إليه باهتمام وإعطائه العناية الكافية حتى يعبّر عن نفسه وينشأ سوياً كما ينبغي عدم تكذيب الطفل إن رأى رؤية مخالفة لرؤية الكبار فهو لم يقصد الكذب.
- ينبغي أن نكف عن محاولاتنا جعل الطفل يفكر بعقولنا ويتصرف بمنطق الكبار.
- قد تبدو على الطفل أحياناً المشقة في التعبير عن نفسه فيكرر الكلام وهذه ظاهرة تتناقص مع زيادة قاموسه اللغوي وإذا استمرت هذه الاضطرابات فيجب علاجها.

وتوصي البحوث النفسية بالابتعاد عن مشكلة ثنائية اللغة في المرحلة الأولى من عمر الطفل، فلا يصح تعليم الطفل لغتين في وقت واحد لأن قدراته لا تسمح بذلك ولا ينبغي الخوف من الأخطاء الشائعة في ألفاظ الأطفال وكلماتهم لأنها ستزول بفعل النمو والخبرة.

بقلم : أ.د كارم السيد غنيم

فصل المقال في حركة الجبال

وردت لفظة الجبال في القرآن العظيم أربعاً وعشرين مرة بصيغة الجمع وست مرات بصيغة المفرد، فوردت بها لفظة «الجبل» في حالات خاصة كحالة نبي الله إبراهيم - عليه السلام - في التجربة العملية لإحياء الموتى لتثبيت عقيدة البعث لديه (سورة البقرة/٢٦٠)، واستحالة رؤية الله في الدنيا رؤية مجردة حتى على الأنبياء والرسل، كما وقع لكليم الله موسى - عليه السلام (سورة الأعراف:١٤٣)، وإسداء إحدى النعم على بني إسرائيل قديماً (سورة الأعراف:١٧١)، وعصيان ابن نوح لأبيه حين دعاه إلى ركوب سفينة النجاة (سورة هود:٤٣)، وخشية الله التي أودعها الله في نفوس مخلوقاته الحية ومخلوقاته الجامدة - ظاهرياً - كالجبال (سورة الحشر:٢١).

نلتقي في هذه المقالة حول آية قرآنية كريمة تحتوي إشارة صريحة لحركة الجبال، هي قول الله تبارك وتعالى: (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون) النمل:٨٨. ويقول ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمر مر السحاب، أي: تزول عن أماكنها، كما قال الله تعالى: (يوم تمور السماء موراً. وتسير الجبال سيراً) الطور، وقال: (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً. فيذرها قاعاً صفصفاً. لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) طه، وقال: (ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة) الكهف... وبهذا يكون ابن كثير قد فهم سير الجبال على أنه واحد من أحداث يوم القيامة، بدليل الاستشهاد بالآيات الأخر من سورة الطور وطه والكهف، أي أنه لم يدر بخلده إمكانية سير الجبال في الدنيا.

ومن التفسير بالمأثور «الذي يُعَدُّ ابن كثير واحداً من روّاده» إلى التفسير بالرأي «الذي يُعَدُّ الفخر الرازي واحداً من فرسانه»، فيقول صاحب مفاتيح الغيب: اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة، وهي تسيير الجبال، والوجه في حسبانهم أنها جامدة فلأنّ الأجسام الكبار إذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد في السمت والكيفية ظن النظار إليها أنها واقفة مع أنها تمر مراً حثيثاً... ويعني هذا أن الرازي - هو الآخر - استبعد حركة الجبال في الدنيا، واعتبرها علامة من علامات القيامة، ولهذا ذهب المفسرون جميعهم - تقريباً.

ويستدلون على رأيهم «أو تفسيرهم» بأن الآيات السابقة والآيات اللاحقة لهذه الآية تتحدث عن بعض أحوال القيامة، يقول الله تبارك وتعالى: (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون. حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أمّاذا كنتم تعملون. ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون. ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين. وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون. من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون. ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) النمل، وتنتهي أقوال جمهور المفسرين إلى أن الجبال ستمر يوم القيامة مر السحاب لأجل أن تصل إلى الأرض فتسوى بها، ولعظم حجمها يراها الإنسان كأنها جامدة غير متحركة، وعلى الرغم من إجلالنا لهؤلاء المفسرين، فإن التفسير لا يمكن أن يكون قرآناً في يوم من الأيام، لأن التفسير كلام البشر، أما القرآن فكلام الله، كما أن عطاء الله في كلماته لا ينفد ولن ينقطع إلى يوم القيامة، وعليه، نوجز آراء العلماء المعاصرين في كون حركة الجبال المذكورة في الآية ٨٨ من سورة النمل في الدنيا، وليس في الآخر، وها هي الأدلة:

١ - يتحدث القرآن في مواضع عديدة عن أمور الآخرة ثم يلتفت إلى بعض أمور الدنيا التي لها علاقة بما ذكر عن أحوال الآخرة، وقد يأتي العكس أيضاً، ويقول علماء البلاغة: إن إزالة الحواجز الزمنية بين الدنيا والآخرة أبلغ تأثيراً في النفوس. وفي النص الذي معنا نقرأ الآيات ٨٣ - ٨٥ في أحوال الآخرة ثم الآية ٨٦ في أحوال الدنيا، ثم الآية ٨٧ في الآخرة، ثم الآية ٨٨ في الدنيا، ثم الآيتان ٨٩، ٩٠ في الآخرة...!!

٢ - يقول الله تعالى في الآية ٨٨: (صنع الله الذي أتقن كل شيء)، والإتقان هنا ذو صلة بالنواميس التي خلقها الله في الدنيا، ويريد أن يلفت أنظار الناس إلى التفكر فيها والتأمل في صنعها ومعرفة قدرة خالقها سبحانه وتعالى، أما في الآخرة فإن عقد كل شيء ينفرط، وتنخرق النواميس الكونية «الدنيوية»، فالجبال سيتم نسفها حسبما ورد في قول الله: (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) طه.

٣ - يقول الله تعالى في صدر الآية ٨٨: (وترى الجبال)، وهو فعل مضارع يأتي في القرآن ليقوم مقام فعل الأمر، فكأن الله سبحانه وتعالى يأمر برؤية الجبال، أي النظر إليها كمعجزة من معجزات الخلق في هذا الكوكب الأرضي، وفي القرآن شواهد عديدة على هذا، مثل قول الله تعالى: (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) الحج.

٤ ـ كما أن في الآية ٨٨ إشارة إلى أن حركة الجبال ليست حركة ذاتية، وإنما هي تابعة لحركة أكبر، وكما يفيد علم البلاغة بإمكان إطلاق الجزء وإرادة الكل، فإن الجبال تتحرك بحركة الكوكب الأرضي كاملاً ـ كما سنفصل هذا بعد قليل ـ وإنما ذكرت الجبال لأنها أبرز ما على الأرض، وكما أن السحاب لا يتحرك بذاته، بل بحركة وقوة دفع الرياح له، فهكذا الجبال تتحرك بحركة الأرض، وهو تشبيه بليغ. ومن نافلة القول أن الآية تشير أيضاً إلى وجود الحركة الدورانية للكرة الأرضية.

والناظر في الآية القرآنية يرى لفظة «تحسبها» قد جاءت لتلائم المستوى العلمي للمسلمين وقت نزول القرآن، فالكل يرى الجبال ثابتة مستقرة، ولا يرى لها حركة مطلقاً، فلم يثبت لأحدهم أن علم بحركة جبل من مكان إلى مكان آخر، ولذلك يقول الله (تحسبها جامدة)، وفي هذا معنى المغايرة لما يعقبها من معلومات، وهي (تمر)، أي: تتحرك حركة انتقال أو اختفاء من مكان وظهور في مكان آخر، ثم جاء تشبيه حركتها بحركة السحاب في قول الله تبارك وتعالى: (مر السحاب)، فهل تتحرك الجبال فعلاً، وهل توصل العلم الحديث إلى إثبات هذه الحركة، وما هو نوع هذه الحركة؟؟

تتلخص آراء علماء الجيولوجيا حالياً لفهم هذه الآية القرآنية الكريمة في ثلاثة أنواع من الحركة بشأن الجبال، وهي: حركة الجبال بحركة الأرض، وحركة الجبال بتعريتها وتغيير صخورها، وحركة الجبال بحركة القشرة الأرضية (فيما يسمى ظاهرة انزياح القارات)، وفيما يلي موجز لكل نوع من هذه الحركات.

حركة الجبال بحركة الأرض

أصبحت حركة الأرض، أو بالأدق حركات الأرض، اليوم حقيقة علمية يؤكدها العلماء المتخصصون، ومن هذه الحركات دوران الأرض حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة، ودورانها حول الشمس «أمها» مرة كل ٣٦٥ يوماً وربع اليوم، ويقدّر العلماء سرعة دوران الأرض في أي نقطة على سطح الأرض عند خط الاستواء بنحو ١٦٠٠ كيلو متر في الساعة، ودورانها في مدارها على بُـعْد ١٤٩ مليون كيلو متراً من الشمس، ويُقدّر بنحو ١٠٦٠٠٠ كيلو متراً في الساعة.

وأما تشبيه حركة الجبال بحركة السحاب، فهو تشبيه علمي بليغ، لأن السحاب عبارة عن كتل ضخمة من بخار الماء ونوى التكاثف العالقة به، وهو محمول بوساطة هواء ديناميكي متحرك، أي: الرياح، يعني أن السحاب لا يتحرك حركة ذاتية، بل يتحرك حركة مكتسبة من الرياح .. وكما أشارت الآية القرآنية: (الله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت) فاطر، فلفظة «سقناه» في هذه الآية تدل على حركة ومرور السحاب من بقعة إلى أخرى، وكأن السحاب يركب الرياح ويسافر عبر البلدان، ويمر من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض، والجبال هي الأخرى مكونات أرضية تتحرك بحركة كوكب الأرض في الفضاء وهي محمولة على الأرض وتتحرك بحركتها، أي ليست لها حركة ذاتية، كما هو الحال أيضاً بالنسبة للسحاب... فالأرض تقطع مسافات شاسعة وهي تحمل الجبال، وبالتالي تقطعها هذه الجبال، وهكذا لم تصرح الآية القرآنية الأساسية في هذا المقال بحركة الجبال الانتقالية حتى لا يتنافى ما تعارف الناس عليه في زمن نزولها، وحتى لا تصطدم بمعارفهم في ذاك الوقت، وفي الوقت نفسه انطوت الآية ذاتها على ما ينبئ بحركة الجبال، حتى جاء العصر الحالي وتوصل العلماء إلى هذه الحقيقة حديثاً.

ولعل الجزء الثاني من الآية ٨٨ من سورة النمل يشهد لصحة هذا المعنى، إذ يقول الله تبارك وتعالى فيه: (صنع الله الذي أتقن كل شيء)، فهو أتقن، والاتقان لايحدث إلا في الحياة الدنيا، ولم يقل «خرّب» وهو ما يحدث عند قيام القيامة، إذن فالمعنى الذي ذهب إليه جمهور المفسرين لا يتفق مع معنى اللفظة القرآنية، وتعارضه المعطيات العلمية الحديثة، ومن المعروف أن كلام المفسرين يؤخذ منه ويُرَدّ، لأنه اجتهاد بشر يصيب ويخطئ، وربما كان ما ذهبوا إليه من معنى أو شرح أو تفسير يناسب مدارك الناس في العصور السابقة، وعموماً (فالتفسير ليس قرآناً).

وإذا عدنا إلى التشبيه البليغ للجبال بالسحاب، في الحركة، نجد أن حركة السحاب محمولاً على متن الرياح فيها خير ومنافع للكائنات الحية، وكذلك في حركة الجبال محمولة على متن الأرض، فيها منافع ومنها تعاقب الليل والنهار وتوزيع الحرارة والظروف المناخية على مدار العام، وما كان يحدث هذا ولا ذاك إلا بحركة ودوران الأرض، وعلى متنها الجبال. والخلاصة هي أن الجبال جزء من الأرض، ولما كانت الأرض متحركة وتدور في فلكها حول نفسها وحول الشمس وفي الفضاء الكوني، فإن الجزء لابد وأن يتبع الكل الذي ينتمي إليه، فلابد وأن الجبال في حركة دائمة، ولا يستطيع أن يفهم المرء هذه الحركة إلا إذا علم يقيناً أن الأرض تتحرك وتدور، فيكون ثبات وجمود الجبال من الأمور غير الحقيقية، أي: مما يقع في دائرة الظن، ولذلك جاءت اللفظة القرآنية «تحسبها».

حركة الجبال بحركة القشرة الأرضية «انزياح القارات»

تنص نظرية الألواح الأرضية على أن الغلاف الصخري للأرض تنتشر به شبكة هائلة من الصدوع التي تقسمه إلى عدد من الألواح واللويحات «وتسمى أيضاً: «الصفائح التكتونية، أو الألواح الأرضية المتجاورة، أو الشرائح أو القطع الصخرية الرئيسية في وشاح الأرض»، وتطفو هذه الألواح فوق طبقة الوشاح Mantle الصخرية الساخنة اللدنة عالية الكثافة عالية اللزوجة، وتساعد هذه الصفات في انزلاق الألواح واللويحات على هذه الطبقة بسهولة، ويساعد في هذا أيضاً دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، ووجود تيارات حرارية كثيرة ناتجة عن النشاط النووي لتلك الطبقة من الأرض، وعندما تتحرك هذه الألواح واللويحات قد تصطدم ببعضها فتحدث هزات أرضية وأنشطة بركانية عند حوافها، وعندما تتباعد عن بعضها البعض تندفع الصهارة الصخرية «وهي كتل سيال جرانيتية» لتملأ المسافات الموجودة فيما بينها... وتتحرك الألواح عبر محيط الأرض وتحمل معها القارات فتصطدم قارة بأخرى، وتصطدم القارات ببعضها أيضاً نتيجة اختفاء المحيط الفاصل فيما بينها، ويؤدي هذا إلى ظهور أعظم السلاسل الجبلية ارتفاعاً، وهي السلاسل التي تؤدي إلى إبطاء حركة كل من اللوحين المصطدمين بالتدريج حتى يتوقفا عن الحركة، أي أن هذه السلاسل الجبلية «رواسي» تعمل على إرساء القشرة الأرضية.

يقول قجتر: إن كتلة السيما الباطنية كانت أكثر لزوجة عما هي عليه الآن، وساعد ذلك على طفو كتل القارات من مادة السيال، الخفيفة وتزحزحها بفعل قوة الجذب الأرضية التي زحزحت بالدفع صخور السيال القارية نحو المناطق الاستوائية، وأن ذلك أدى إلى تكوين سلاسل الجبال الالتوائية الشامخة المستعرضة كسلسلة جبال الألب والهيمالايا، وكان المناخ القديم للأرض مختلفاً عن المناخ الحالي... وكان من نتاج الزحزحة الجانبية الأفقية أن «انفتقت» الأمريكيتان عن

أوروبا وأفريقيا وزحفتا نحو الغرب، واتجهت قارة أنتارتيكا نحو الجنوب، وهضبة الدكن وأستراليا نحو الشرق.

هذا، وتمر الجبال مع الألواح واللويحات الأرضية، مروراً بطيئاً لا يستطيع الناس إدراكه فيظنون أنها جامدة أو ساكنة أو ثابتة، ولكن العلماء المعاصرون أثبتوا أنها تتحرك على مر ملايين السنين، بل وقدروا معدل هذه الحركة البطيئة المستمرة بنحو ١ ـ ١٢سم كل عام، في ظاهرة تدعى «انزياح «أو إزاحة أو زحزحة القارات» التي تشرحها «نظرية إزاحة القارات» في أن جميع القارات كانت قديماً متصلة ببعضها البعض، ثم انفتقت وتشققت ثم تباعدت عن بعضها البعض فظهرت البحار والمحيطات التي نراها الآن... وبناء على هذه النظرية كانت قارة أفريقيا متصلة بالقارة أمريكا الجنوبية، ويدل على ذلك تطابق سواحل غرب أفريقيا مع سواحل شرق أمريكا الجنوبية، لكنها ـ ومع حدوث إزاحة للقارات بحركة الألواح الأرضية وتباعدها ـ انفصلتا عن بعضهما البعض، ومن الذين بحثوا في زحزكة القارات كلفن، سولاس، لابوارث، لاف، فجنر، جولي، هولمز، فرانسيس بيكون، وانا، فوريس، سيندر، بييس، تايلر... ومرت هذه النظرية بمراحل، أولاها كان بزحزحة القارات رأسياً، ثم آخرها بزحزحة القارات أفقياً، وهو ما استقرت عليه آراء العلماء حالياً، وعموماً، فإن هذه النظرية تؤكد أن قارات الكرة الأرضية كانت في الأصل والمنشأ كتلة واحدة «رتقا» فتشققت «تفتقت» خلال فترات وأحقاب جيولوجية مختلفة، ولم يتغير في هذه القارات «أي: أجزاء الأرض» إلا الهوامش فقط، إذ إن أنواع الحيوانات والنباتات واحدة، ومعظم أشكال الحواف متطابقة، ولقد تكونت الجبال الالتوائية الشامخة «الرواسي» بعد حدوث الأحداث العظام في زحزحة قارات الأرض وتباعدها عن بعضها البعض، ويُقال إن هذه الرواسي قد تشكلت في بداية العصر البرمي منذ ٢٠٠ مليون سنة، وإذا رُصّت قارات الأرض بجوار بعضها لتداخلت تعاريج ونتوءات سواحلها مع بعضها تماماً، كما لو كانت قطعة ورق تمزقت ويمكن إعادتها إلى حالتها الأولى تماماً، كما قال بهذا العالم فجنر.

وعلى هذا، يتوقع علماء الجيولوجيا تزحزح قارة أفريقيا إلى الشمال لتغلق البحر المتوسط، وسوف تتزحزح إلى الغرب فيتسع البحر الأحمر ليصل إلى حجم محيط في يوم من الأيام، وهكذا، تتحرك الجبال مع الألواح الأرضية بمرور السنين فتنتقل من مكان لآخر، حركة بطيئة وئيدة، وكأنها مرور سحاب، كما عبّرت الآية القرآنية الكريمة في سورة النمل.

حركة الجبال بتعريتها وتغيير صخورها

يصنّف الجيولوجيون صخور الأرض ـ تبعاً لطريقة تكوينها ـ في ثلاثة أنواع، هي:

١ ـ صخور نارية: تكونت في درجات حرارة عالية جداً، وهي كتل متبلورة من مواد ملتهبة معروفة باسم الصهارة «أو لافا»، وتُقذف مع البراكين. ومن أنواعها: الجرانيت والبازلت.

٢ ـ صخور رسوبية: تكونت بترسيب وتراكم مواد جمعتها عوامل التعرية «أو التجوية» أو أنتجتها كائنات حية، ثم تماسكت هذه المواد مع بعضها البعض بتأثير الضغط والحرارة، ومن أنواعها: الحجر الجيري، والحجر الرملي.

٣ ـ صخورة متحولة: تكونت من صخور رسوبية أو نارية تعرّضت لدرجات شديدة من العوامل كالحرارة أو الضغط، ومن أنواعها: الرخام والاردواز.

وللصخور دورة مع الزمن، يتحول فيها نوع إلى آخر، فمثلاً تتحول الصخور النارية إلى صخور رسوبية بفعل عوامل التعرية والنقل والترسي، وتتحول الصخور الرسوبية إلى صخور متحولة، حيث تندثر تحت سطح الأرض أثناء تكون الجبال، وقد تتحول الصخور الرسوبية إلى صخور نارية حين تتحول درجة حرارتها إلى درجة الانصهار، وهكذا اكتشف العلماء التغير المستمر لصخور الجبال، والأرض عموماً، وهو التغير الذي يحدث تدريجاً ببطئ، أو فجأة «كما هو الحال في الكوارث الطبيعية كالخسف المفاجئ مثلاً»، وقد أعلن جيمس هاتون «في القرن السابع عشر الميلادي» مبدأ التغير التدريجي المستمر للقشرة الأرضية على مر الأحقاب الجيولوجية، وبناء على هذا المبدأ، وما دعمته من بحوث وكشوف حديثة، فإن زوال جبال وظهور أخرى، أو الانتقاص من جبال وازدياد أخرى، عمليات تتم مع الزمان، وكأن الجبال تنتقل من مكان إلى آخر... وهكذا تذوب الجبال بفعل عوامل التعرية، وفي هذا يظهر أحد المعاني المفهومة في مرور الجبال الذي ورد في الآية القرآنية رقم ٨٨ بسورة النمل، وهكذا يتضح مدى الفائدة التي يمكن تحصيلها لخدمة القرآن العظيم وتفسيره وعرضه على الشعوب المختلفة وخاصة الشعوب المتقدمة علمياً، وهكذا تتضح أهمية توظيف المعطيات العلمية الحديثة في هذا المجال

ومن نافلة القول أن هذه الآية القرآنية احتوت قول الله تبارك وتعالى: «وترى الجبال»، وليس «وترى الأرض»، وهذا تعبير علمي معجز، لأن الأرض لا يراها الإنسان وهي تمرّ إلا إذا خرج منها ونظر إليها من الفضاء الخارجي، وقد تحقق له ذلك بعد اختراع سفن الفضاء حديثاً، وإنما جاءت «وترى الجبال» لأن الجبال مما يقع في مجال رؤية الإنسان، كما لزم أن ترد اللفظة القرآنية «تحسبها» «أي: تظنها»، لأن في الظاهر أمام العيان هي ثابتة، بل وراسية ـ كما أخبرت بذلك آيات مثل: الآية ٣٢ في النازعات، ولكن العلم الحديث كشف «كما قلنا» عن معنى عظيم لم يكن ليعرفه الناس إلا بعد الدراسة والبحث عبر مئات السنين... أما كيف لم يفهم المسلمون الأوائل مثل هذه الحقائق العلمية القرآنية في عصر نزول الوحي العظيم بين ظهرانيهم، فلأنهم كانوا مشغولين ـ بالدرجة الأولى ـ بمقاومة الشرك والإلحاد، وتنقية النفوس من أدرانها، ودعوة الناس إلى توحيد الله رب العالمين، فلا وقت لديهم إذن للتفتيش عن كل ـ أو معظم ـ مكنونات الآيات القرآنية، وحتى الذين علموا بعض هذه الأسرار العلمية من رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا من الحكمة ألا يتحدثوا بها، فهي مما لا يصدقه العقل في ذلك الزمان، ومن ثم أمسك الصحابة عن إذاعة ما علموه من مثل هذه الأسرار العلمية للآيات الكونية في القرآن الكريم، فكيف يشرحون للناس حركة الجبال ـ مثلاً ـ وهي ثابتة جامدة أمام أعين الناس وأنظار الناظرين... إن هذا إذا حدث لأدّى إلى وقوع فتنة للناس في ذاك الزمان، وختاماً، فإن الآية القرآنية التي معنا الآن (النمل:٨٨) تدل أيضاً على حركة الأرض، وخصوصاً سباحتها في فلكها، حول نفسها، وحول أمها الشمس، وفي الفضاء الكوني العظيم بمرافقة الشمس، وسبحان من هذا كلامه المنزّل، وهذا كونه المخلوق، سبحان الله الخالق العظيم، وصلى الله على خاتم الرسل والأنبياء أجمعين وسلم تسليماً كثيراً. ■

بقلم : عبدالمنعم أحمد

المسلمون في روسيا

الإسلام انتشر قبل قرن من اعتناقها المسيحية !

كتب الكسندر سميرنوف مقالاً عن أوضاع المسلمين في روسيا في أعقاب انهيار الاتحاد السوفياتي السابق تناول فيه بالتفصيل تطلعات المسلمين للحفاظ على هويتهم الثقافية والدينية، يقول المقال :

حديقة «إسماعيلوفو» الشهيرة في موسكو تغدو مع إطلالة الربيع المكان الأثير لأبناء الجالية التترية، حيث يقيم التتر في موسكو منذ سيطرة أسلافهم على روسيا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وفي العاصمة الروسية الآن زهاء ٦٠٠ الف تتري، إلا أن كثيرين منهم لم يعودوا يتكلمون لغتهم الأصلية، وتصدى عدد من الشخصيات والمنظمات ذات الطابع القومي والديني لمهمة «إحياء الأصول» لدى الشعب التتري.

وفي هذا السياق، وقع الاختيار على «إسماعيلوفو» لعقد لقاءات ربيعية كان لها في البداية طابع أقرب إلى الفولكلوري، إذ كان التتر يقيمون حلقات الرقص والغناء ويتعارفون فيما بينهم وفيما بعد ظهرت مسحة دينية على هذه اللقاءات، وغدا الرجال يرتادونها وهم يعتمرون طاقيات سوداء أو خضراء أو بيضاء، أما النسوة فأخذن يربطن رؤوسهن بالمناديل.

● المسلمون في روسيا حريصون على تعليم مبادئ الإسلام

وغالباً ما تسمع هنا وهناك عبارات «السلام عليكم» و«الحمد لله»، ويمكن أن تجد في أكشاك متنقلة كتباً دينية إسلامية إلى جانب مؤلفات في التراث والأدب التتريين.

بالإضافة إلى «إسماعيلوفو» يلتقي التتر وسائر مسلمي موسكو في المساجد الخمسة القائمة في العاصمة وفي مؤسسات اجتماعية - دينية وغالباً ما تشاهد طوابير طويلة عند محلات خاصة تبيع اللحم الحلال، وثمة مستشفيان مختصان بعمليات الختان التي تجرى وفق أحدث القواعد بعدما كانت في الماضي تجرى سراً وبطريقة بدائية.

وظهرت أخيراً منتديات تترية وداغستانية وأذربيجانية وشركسية وفي إطارها تقام دروس ومحاضرات دينية وندوات عن الإسلام ودوره في روسيا.

وفي حديث صحفي أشار رئيس مجلس

المفتين في روسيا الشيخ راوي عين الدين إلى أن في منطقة موسكو وضواحيها أكثر من مليوني مسلم، وذكر أن العدد ارتفع بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتعاظم موجات الهجرة بسبب النزاعات الإقليمية، فثمة تقديرات تفيد بأن زهاء ٤٠٠ ـ ٦٠٠ ألف أذري وصلوا إلى موسكو من منطقة قره باخ أو العمق الأذربيجاني، كما أن قرابة ١٥٠ ألف طاجيكي هربوا من الحرب الأهلية وتدفقوا إلى موسكو.

ويؤم الكثيرون من هؤلاء المساجد التي غدت تغص بالمصلين، إلا أن الأزمة الاقتصادية الخانقة تعوق إنشاء مصليات جديدة، وكان يمكن للمسلمين أن يحصلوا على موقع مهم للالتقاء لو اكتمل إنشاء «المركز الإسلامي» الذي صمم كمجمع يضم مسجداً وفندقاً ومشفى، وداراً للأيتام ومؤسسات ثقافية وخيرية، وتعهدت جمعيات إسلامية روسية وأجنبية الإنفاق عليه، إلا أن منظمات حماية البيئة تدخلت لعرقلة بناء المشروع في منطقة «تروباريوفو» في غرب موسكو، كما احتجت جهات متنفذة في الكنيسة الأرثوذكسية على إقامة جامع جديد في حي زعمت أن عدد المسلمين فيه «ضئيل»، وبدأت في السنوات الأخيرة حركة دائبة للطباعة والنشر، وقال رئيس دائرة الإعلام في الإدارة الدينية الإسلامية فريد أسدالله: إن صحيفة «منبر الإسلام» تصدر في موسكو باللغتين التترية والروسية، وتنشر فيها نصوص دينية باللغة العربية، ويرأس تحريرها البروفسور طالب سعيد بايف الذي كان ألف عدداً من الكتب القيمة عن الإسلام، وحتى الآن تصدر في شكل غير منتظم صحيفة «التوحيد» التي تمثل ما يوصف بالتيار الراديكالي.

وعلى الصعيد السياسي كان «حزب النهضة» أول تنظيم سياسي إسلامي نشأ في أوائل التسعينيات، إلا أنه عانى من انقسامات زادها عمقاً انهيار الاتحاد السوفييتي، وبالتالي انفصال فرع طاجكستان الذي كان الأقوى في الحرب، وأصبح عدد من مؤسسيه قادة لحركة المعارضة وأعضاء في الوزارة الطاجيكية. وخاضت الانتخابات البرلمانية الأخيرة في روسيا حركتان أصابتا نجاحاً نسبياً، وإن لم تتمكنا من إيصال نواب إلى مجلس

● مسجد في جمهورية تتارستان يجري بناؤه حالياً بالقرب من دار الحكومة في العاصمة قازان

الدوما، وهما «اتحاد مسلمي روسيا» الذي يغلب عليه نفوذ القوقازيين وحركة «نور» التي تستند أساساً إلى الجالية التترية.

وبرز في الآونة الأخيرة «المركز الثقافي الإسلامي» بقيادة عبدالواحد نيازوف الذي تثير شخصيته جدلاً في الوسط الإسلامي، كما أثيرت تساؤلات عن مصادر تمويله، وتضم النخبة السياسية في العاصمة الروسية عدداً من الوجوه البارزة من أبناء الجالية الإسلامية مثل وزير شؤون القوميات رمضان عبداللطيفوف ووزير أملاك الدولة فريد عزيزالله، إلى جانب عدد من كبار الأدباء والمفكرين مثل حيدر جمال وولي الدين صدر.

إلا أن المسلمين يشيرون إلى أن تمثيلهم في هيئات السلطة لا يزال متخلفاً إلى حد كبير عن نسبتهم في المجتمع ، وإلى ذلك، فإن السلطة الدنية تجهر بتعاطفها مع الكنيسة الأرثوذكسية، متناسية أحياناً أن خُمس أبناء روسيا من المسلمين، وأن الإسلام بدأ الانتشار في روسيا قبل قرن كامل من اعتناقها المسيحية. ■

إعداد : محمد هاني

قتال من أجل السلام

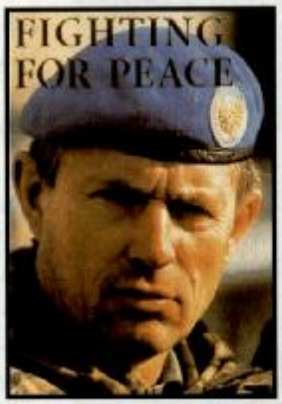

مؤلف الكتاب : الجنرال البريطاني «سير مايكل روز» قائد قوات حفظ السلام في البوسنة

وهذا الكتاب يقدم شهادة زور موجعة ومؤلمة عبر صفحاته ولا يوجد ما ينطبق على هذا الكتاب خير من المثل العربي الشهير «سكت دهراً ونطق كفراً»، فبعد أكثر من أربع سنوات من أسوأ المجازر البشرية في القرن العشرين التي جرت في البوسنة وشاهدها العالم على شاشات التلفاز جاء الكتاب ليزوِّر الحقائق.

فروز وقواته لم يقاتلوا من أجل السلام، بل وقف وقواته يتفرجون على وحوش الصرب وهم ينقضون على ما سُمِّي بالمناطق الآمنة - التي يقطنها مسلمو البوسنة، بعد أن جردتهم قوات روز من أسلحتهم وتعهدت بحمايتهم - ويقتلون الرجال والنساء والأطفال، وعزَّ على روز ألا يشارك الصرب أمجادهم، فكان جنوده يخطفون له صبايا من مناطق المسلمين ليغتصبهم، وهو ما كشفه ابن جلدته في صحيفة الأندبندنت.

وفي ثنايا الكتاب تضيع الحقيقة ولا تعرف من المعتدي ومن الضحية في تلك المجزرة، فالكتاب يحفل بأحط الصفات للساسة والعسكريين المسلمين الذين يتهمهم روز بأنهم كانوا عقبة في الطريق إلى السلام، أما الجنرال الصربي راتكو ميلاديتش الذي تبحث عنه محكمة لاهاي الدولية لمحاكمته كمجرم حرب بعدما أباد عشرات الألوف من الشيوخ والنساء والأطفال المسلمين، فهو في رأي روز «رجل يحترم كلمته!» ولا غرابة فالرجلان ينطبق عليهما المثل الرعبي «وافق شن طبقة».

ويقدم روز تفسيراً مدهشاً للقصف الوحشي الذي نفذه الصرب ضد المدنيين من المسلمين في المناطق السبع الآمنة، فذلك القصف كان رداً على خداع المسلمين الذين استفزوا الصرب عمداً حتى يقصفوهم ويقتلوا مزيداً منهم استدراراً للعطف الدولي!

والأكثر إيلاماً، أن روز يلتمس العذر لوحوش الصرب، هو نفسه الذي هدد حكومة سراييفو بضرب قواتها الموجودة في المناطق الآمنة، وحجته - كما أوردها في الكتاب - أن هذه المناطق يجب أن تكون منزوعة السلاح، مع أن منطوق قرارات الأمم المتحدة يقول بسحب القوات غير الموالية للحكومة البوسنية، أي قوات الصرب.

الرياضة من منظور إسلامي

صدر ضمن مطبوعات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» كتاب جديد بعنوان «الرياضة من منظور إسلامي» وهذا الكتاب يشتمل على أبحاث مختارة من الندوة العلمية حول موضوع «المفهوم الإسلامي لرياضة الشباب» التي عقدت في الخرطوم في صيف عام ١٩٩٧م في إطار التعاون بين المنظمة ومنظمة الدعوة الإسلامية، ويهتم الكتاب بإبراز المبادئ الإسلامية السامية في تكوين الأجسام والنفوس والتأكيد على المفاهيم الأساسية حول الرياضة في المنظور الإسلامي، وتدور محاور الأبحاث التي يتضمنها الكتاب حول الأخذ بالمفاهيم الإسلامية الشرعية في الألعاب الرياضية وتهذيب الأنواع الرياضية العنيفة التي تلحق الأذى والموت أحياناً بممارستها والتخطيط لإقامة منافسات على مستوى دول العالم الإسلامي والتركيز أكثر على القيم الإسلامية الأخلاقية.

موسوعة علمية مصورة توثق الطيور في الكويت

ذكر مدير الصندوق الوقفي للتنمية العلمية داود الأحمد أن الصندوق قدم دعماً لطباعة وإصدار موسوعة طيور الكويت لمؤلفها المستشار مشعل أحمد الجريوي، مبيناً أن هذه الموسوعة العلمية تعتبر مرجعاً موثقاً تاريخياً لحياة الطيور المحلية والمهاجرة في الكويت والخليج العربي.

وأشار الأحمد إلى أن هذا الدعم يجيء انطلاقاً من أهداف الصندوق في دعم النشر العلمي بين أفراد المجتمع.

وذكر أن الموسوعة التي استغرق المؤلف في إعدادها أربع سنوات تشتمل على الاسم العلمي للطائر باللغة الإنكليزية والعربية ومسماه باللهجة المحلية، ورتبة الطائر وموطنه ووزنه وطوله والصفات العامة والغذاء وأماكن مشاهدته ومسالك وفترات الهجرة.

وقال: أفرد المؤلف صورة لكل طائر وتاريخ ومكان تصويره، موضحاً أن جميع الصور المحتواة في الكتاب التقطت من خلال الكاميرا الشخصية للمؤلف في دولة الكويت وفي أكثر من ١٠ مواقع.

وأفاد: يهدف هذا الكتاب للتعريف بأكبر عدد ممكن من الطيور وأهميتها للبيئة الكويتية باعتبارها أحد عناصر الحياة الفطرية المرتبطة بالبيئة المحلية، كما يخدم هذا الكتاب الكثير من الباحثين وعامة المواطنين والوافدين والمهتمين في مجال الطيور والبيئة.

الاعتراف بجامعة روتردام الإسلامية على المستوى العالمي

شهد يوم ٧ يونيو الماضي حدثاً تاريخياً مهماً في مجال التعاون المشترك بين جامعة روتردام الإسلامية وجامعة طشقند الحكومية، فبالإضافة إلى الاعتراف المتبادل بالشهادات شمل العمل المشترك - أيضاً - وفي مختلف المجالات مثل وضع المشاريع المشتركة وتبادل الأساتذة والطلبة والإشراف المشترك على درجتي الماجستير والدكتوراة.

وتعتبر جامعة طشقند الحكومية بأوزبكستان من أشهر وأعرق جامعات العالم الإسلامي، فإبان مرحلة ازدهار وتطور العلوم الإسلامية لعبت المدن مثل: طشقند وبخارى دوراً مهماً في التطور العلمي، وكان الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أحد أشهر الذين ينتمون إلى هذه المنطقة، والذي يرجع إليه الفضل في جمع الأحاديث النبوية الشريفة وتصنيفها في كتاب «صحيح البخاري» الذي يحمل اسمه، كما أن العديد من العلماء والفقهاء المعروفين قد تلقوا علومهم في طشقند وبخارى وغيرها.

وجامعة روتردام الإسلامية هي مؤسسة أكاديمية ذات نظرة اجتماعية واضحة، فهي تريد أن تقدم تقريراً حقيقياً عن حياة المواطنين المسلمين الهولنديين وذلك عن طريق التعليم الأكاديمي والبحث العلمي، فعدد المسلمين القاطنين في هولندا يناهز ٧٠٠ ألف مسلم، حيث إن نسبة كبيرة منهم تعتبر من المهاجرين، لكنهم يتخذون - بالدرجة الأولى - صفة مواطنين مسلمين متعايشين في هولندا، وانطلاقاً من قواعدهم الدينية يريدون التعبير عن مواطنتهم بشكل مسؤول ونشيط، ولديهم أيضاً رغبة أكيدة في ربط مبادئهم الدينية بالأسئلة الحساسة وبالمشاكل المطروحة على مستوى التعايش في هولندا.

من هذا المنطلق، تعتزم جامعة روتردام الإسلامية تقديم تقرير واف حول التطورات اللاحقة للمواطنين ومخططهم حول التعايش في هولندا.

من اتفاق أوسلو إلى الدولة ثنائية القومية

عن دار الشروق للنشر والتوزيع في عمان صدر مؤخراً كتاب بعنوان: «من اتفاق أوسلو إلى الدولة ثنائية القومية» للباحث الفلسطيني منير شفيق والكتاب يمثل في مجمله رداً على ما يدعو إليه كل من إدوارد سعيد وعزمي بشارة وآخرون وبخاصة أطروحة الدولة ثنائية القومة أو «دولة لمواطنيها» وما حملته من خلال إدوارد سعيد من استراتيجية للعمل السياسي الفلسطيني خارج الساحة الفلسطينية، كما يعالج الكتاب مجموعة من القضايا التي أثيرت خلال السنتين الماضيتين، وكانت جميعها نتاجاً مباشراً وغير مباشر مؤيداً أو معارضاً لاتفاق أوسلو وما انبثق عنه من مسارات واتفاقات.

ويركز الباحث على مناقشة وتبيان خطورة ما يدعو إليه بعض الفلسطينيين وبخاصة ما يدعو إليه عزمي بشارة ويسميه «الحالة الفلسطينية الإسرائيلية» منطلقاً من التركيز على اعتبار سمته الأساسية تتمثل بحالة «الابارتايد» أي الفصل العنصري ومن ثم فإن بشارة يرى أن الحل يكمن في المطالبة بالعدل والمساواة ورفع الظلم العنصري وصولاً إلى الدولة ثنائية القومية، ويرى الباحث أن إدوارد سعيد الرافض لاتفاق أوسلو يدعو إلى ما هو أخطر من ذلك بالنسبة للقضية الفلسطينية، فالقضية الفلسطينية ومشكلة الشعب الفلسطيني تنحصران في مشكلة الحصول على حق المواطنة في الدولة العبرية.

وفي الكتاب العديد من القضايا الفلسطينية المثيرة للجدل، إذ يتساءل الباحث مثلاً عن سر تحمس المعارضة الإسرائيلية لإعلان الدولة الفلسطينية ويجيب بأن خطوة إعلان الدولة يحرر إسرائيل من قضايا مثل القدس والاستيطان واللاجئين، ويحذر الكتاب في النهاية من الاستسلام للعبة المفاوضات التي يرى أنها لن تعيد الحقوق للشعب الفلسطيني ومن الانجراف وراء سراب الوعود والانسلاخ من المحيط العربي والإسلامي بحيث لا تبقى للمفاوض الفلسطيني أي أوراق، ويقول: لعل أخطر ما يحدث في الساحة الفلسطينية هو نسف ما هو أصل وقاعدة ووضع ما هو شاذ وطارئ مكانهما.

«فقه الجنائز» دراسة فقهية مقارنة جديدة

إضافة علمية غير مسبوقة للمكتبة الإسلامية، تتمثل في مصنف «فقه الجنائز» الذي يعد موسوعة فقهية في هذا الجانب من العلم، فقد بذل مصنفه الشيخ الدكتور/ أحمد محمود كريمة، مدرس الفقه المقارن بجامعة الأزهر بالقاهرة جهداً مضنياً في التوثيق العلمي لمسائل «فقه الجنائز» في أحكام: الاحتضار، أفعال عقب الوفاة، التغسيل، التكفين، التشييع، صلاة الجنازة، الدفن، القبور، التعزية، القربات، وبيان المذاهب الفقهية بأدلتها النصية والعقلية والمختار أو الراجح وفق معايير علمية معتمدة معتبرة، وبلغت تلك المسائل ما يزيد على ثمانين مسألة فقهية مقارنة، ويقع الكتاب ٤٥٥ صفحة من القطع المتوسط.

أخبار ثقافية

- افتتحت مؤخراً الأكاديمية الإسلامية في النمسا وتم الاتفاق بين الأكاديمية وجامعة الأزهر على تدريس المناهج الأزهرية في الأكاديمية والاعتراف بشهاداتها كشهادة معادلة للشهادة الجامعية الأزهرية.
- انتهى السيناريست وحيد حامد من كتابة فيلم تسجيلي عن علاقة المسلمين بالأقباط المصريين منذ الفتح الإسلامي لمصر وحتى الآن، ويأتي الفيلم رداً على مزاعم غربية بوجود اضطهاد للمسيحيين في مصر وإثارة القضية بصورة متكررة.
- حددت الفترة من ٢٢ نوفمبر وحتى ٣ ديسمبر المقبل موعداً لإقامة معرض الكويت للكتاب، وهو يُقام للمرة الأولى منذ سنوات منفصلاً عن مهرجان القرين، وسيأخذ المعرض الصفة الدولية لأول مرة وسيطلق عليه اسم: «معرض الكويت للكتاب العربي» أسوة بالمعارض الأخرى.

شبكة إسلامية على الإنترنت دشنتها وزارة الأوقاف القطرية

دشنت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية موقعها على الإنترنت بعنوان الشبكة الإسلامية، ويشتمل على عشرة محاور، بعضها ثابت لا يتغير وهو القرآن الكريم وتفسيره الذي يقدم بالصوت والصورة وكذلك السنة النبوية ثم السيرة النبوية.

وتتضمن المحاور التي تتغير المدرسة الإسلامية التي تعتبر مدرسة إسلامية متكاملة تزود الزائر لها بمبادئ عامة في العلوم الإسلامية والموسوعات الإسلامية التي تشمل: أعلام الإسلام والعالم الإسلامي، وموسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة، ثم محور لماذا أسلمت؟ والمكتبة الإسلامية التي تقدم بالعربية والإنجليزية ثم ركن الفتوى.

وصرح رئيس لجنة الإنترنت بالوزارة يوسف بن أحمد الكواري بأن هناك محورين اخرين هما: منتدى الحوار ويتم فيه تبادل وجهات النظر حول القضايا الإسلامية التي تُطرح من المفكرين والباحثين المتخصصين إثراء للفكر الإسلامي.

وهناك المحور العاشر: وهو دليل للمواقع الإسلامية ونشرها التعريف بها.

وصرح عبدالله سالم غراب - نائب رئيس اللجنة - بأن الوسطية وعدم التجريح ومد الجسور مع الآخرين هو منهج الشبكة الإسلامية كما أن تفسير الشعراوي هو أحد تفاسيرها.

مجمع إسلامي في العريش بتكلفة ٥ ملايين جنيه

قرر المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة إنشاء مجمع إسلامي في مدينة العريش بالتنسيق مع محافظة سيناء في مصر يضم مسجداً ومكتباً لتحفيظ القرآن الكريم وعيادة طبية وحضانة إسلامية ومكتبة دينية وداراً للأيتام وجمعية لتنمية المجتمع المحلي.

وقال توفيق الشريف مدير المجلس في القاهرة إنه تم اعتماد مبلغ خمسة ملايين جنيه مصري لبناء المجمع الذي يعد الأول من نوعه الذي يقيمه المجلس داخل مصر، مشيراً إلى تبرع محافظة سيناء بقطعة أرض مساحتها عشرة آلاف متر مربع لإقامة المجمع عليها، وأشار الشريف إلى أنه تم اختيار مدينة العريش لقلة عدد المجمعات الإسلامية في هذه المدينة مقارنة بالمدن المصرية الأخرى.

الناس في القرن المقبل مسنون ويسكنون المدن

سيرتفع عدد سكان الأرض من ستة مليارات نسمة عام ١٩٩٩م إلى تسعة مليارات في ٢٠٢٤م، وإن كانت الأرقام تخفي اتجاهاً يشير إلى زيادة عمر سكان الأرض وتمركزهم في المناطق الحضرية.

ويتميز سكان الأرض حالياً بارتفاع نسبة الشبان بينهم، فالسنوات التي شهدت نمواً سكانياً مرتفعاً جعلت عدد الشبان من سن ١٥ إلى ٢٤ سنة يصل إلى ١,٠٥ مليار شخص، كما أن نصف السكان في معظم الدول النامية هم دون سن الخامسة عشرة، إلا أنه يتوقع أن يؤدي التباطؤ التدريجي في معدل الولادات إلى خفض عدد المواليد الجدد إلى ٣٠ مليون سنوياً اعتباراً من ٢٠٤٥ بدلاً من ٧٨ مليوناً في الوقت الحالي، وفق تقديرات الأمم المتحدة، هذا التناقص في عدد الصغار سيؤدي إلى جانب ارتفاع متوسط الأعمار إلى زيادة كبيرة في عدد المسنين.

ففي ١٩٩٨م كان يعيش على الأرض ٥٨٠ مليون إنسان فوق سن ٦٠ عاماً من بين حوالي ستة مليارات، أما في ٢٠٥٠ فسيرتفع عدد هؤلاء إلى ملياري إنسان من أصل تسعة مليارات.

في تقرير اليونيسيف السنوي

أفريقيا أخطر مكان لحياة الأطفال

أفاد صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة «يونيسيف» أنه رغم قطع خطوات كبيرة على طريق القضاء على مرض شلل الأطفال، فإن الحروب والفقر يعوقان تحقيق النجاح النهائي بحلول عام ٢٠٠٠م.

وقالت مديرة الصندوق كارول بيلامي في معرض تقديمها التقرير السنوي الجديد للصندوق «نحن على وشك أن نودع سلة التاريخ مرض شلل الأطفال الذي طالما روع المجتمعات ودمر حياة نفوس بلا حصر».

واستطردت بيلامي «لكن الصراعات الأهلية الدائرة في أماكن مثل أنجولا وجمهورية الكونغو الديمقراطية تهدد حملة مكافحة شلل الأطفال ونحن نقترب من خط النهاية».

ويقول تقرير «تقدم الأمم في ١٩٩٩م» إنه رغم ذلك انخفض عدد حالات الإصابة بالمرض بنسبة ٨٦ في المائة من ٣٥ ألف حالة إلى خمسة آلاف فقط منذ أن بدأت منظمة الصحة العالمية حملات التطعيم في ١٩٨٨م وتحذو حذوها الآن اليونيسيف ومنظمات أخرى.

وشرحت بيلامي كيف جاب موظفو الصحة الصحاري وخاضوا غمار المياه وامتطوا ظهور الإبل وركبوا القوارب والدراجات لتسليم جرعات المصل الواقي من المرض، الذي يؤخذ عن طريق الفم.

مجلس الأمم المتحدة الاقتصادي والاجتماعي يدعو إلى استئصال الفقر في العالم

اختتم مجلس الأمم المتحدة الاقتصادي والاجتماعي دورته السنوية في جنيف بعد أعمال استغرقت شهراً، بتوجيه نداء لاستئصال الفقر في العالم.

وعرض رئيس الدورة السفير الإيطالي باولو فولتشي عشرة «أهداف استراتيجية» لاستئصال الفقر يفترض ألا تتجاوز كلفتها الإجمالية ٤٠ مليار دولار سنوياً أي «عشر ما تدره تجارة المخدرات غير الشرعية» على حد تعبيره.

ومن بين هذه الأهداف التقليدية توفير الغذاء عبر مكافحة سوء التغذية والحق في الحصول على خدمات صحية وعلى التربية والخدمات الاجتماعية.

وأضاف: أنه عبر الطلب من الدول المتطورة تخصيص ٠,٧ في المائة من إجمالي الناتج القومي سنوياً، «يمكننا أن نخفض الفقر بنسبة النصف في العالم بحلول العام ٢٠١٥».

ودعا المجلس أيضاً إلى اهتمام عالمي أكبر بالقارة الأفريقية التي لا تزال تجمع بين أسوأ الأمور: الفقر والنزاعات المسلحة بأعداد كبيرة.

من جهة أخرى، تمنى المجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي يرغب في أن يضطلع بدور المجلس الاقتصادي لمجلس الأمن الدولي، وضع خطة طويلة الأمد من أجل هايتي.

طفل مصري كل ٢٤,٥ ثانية

بلغ عدد سكان مصر في أحدث إحصاء سكاني ٦٣ مليوناً و ٩١٥ ألفاً و ٣١٩ نسمة من بينهم مليون و ٩٠٢ ألف من الهجرة المؤقتة العاملة خارج مصر وذلك في أول يناير الماضي. وأعلن ايهاب علوي رئيس الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، في مؤتمر صحافي، أن عدد سكان مصر يزيد بمعدل طفل واحد كل ٢٤,٥ ثانية وبمعدل ٣٥٢٧ يومياً و ١٠٧ آلاف و٢٩٠ نسمة كل شهر.

اتساع الهوة بين الأغنياء والفقراء يهدد الديمقراطيات الناشئة

قال تقرير جديد للأمم المتحدة بشأن أوروبا الشرقية إن الرجال الروس يموتون في منتصف العمر بمعدلات تدعو إلى القلق منذ انتهاء الشيوعية.

وقال برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة في تقرير له: «إن سنوات التحول كانت قاتلة بمعنى الكلمة لعدد كبير من الناس».

وأدت عملية تحول الاقتصاديات من الاشتراكية إلى الرأسمالية إلى زيادة معدلات الفقر والبطالة والجريمة والانتحار مع انتهاء الرعاية الاجتماعية الحكومية للفرد من المهد إلى اللحد ولا سيما الرعاية الصحية الملائمة.

وحذر التقرير المؤلف من ١٠٠ صفحة من أن اتساع رقعة الفقر وتزايد الهوة بين الأغنياء والفقراء في دول الكتلة السوفييتية السابقة يهدد الديمقراطية.

وعلى الرغم من تزايد العمر الافتراضي في بقية العالم فمازال العمر الافتراضي للإنسان كما هو أو نقص في معظم الدول الثلاث والعشرين التي شملها المسح في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق باستثناء جمهورية التشيك وأوزبكستان، ولكن معدلات المواليد تناقصت في كل هذه الدول منذ عام ١٩٨٠م.

وكانت أكثر الإحصاءات شداً للانتباه هي انخفاض العمر الافتراضي للرجل الروسي فيما بين عامي ١٩٨٠م و ١٩٩٥م وهو أدنى معدل في المنطقة ويتوقع أن يعيش الرجل الروسي المتوسط ٥٨ عاماً أي أقل عشر سنوات عن نظيره الصيني.

٥ جرائم قتل «زوجية» في ألمانيا كل أسبوع

طالب الادعاء العام في محكمة ريجنزبورغ بإنزال عقوبة الحبس لمدة عشرة أعوام بحق المهندس ديتر هولتز ٦٤ عاماً بسبب إقدامه في مارس ١٩٩٨م على قتل زوجته بسكين المطبخ، وقال قاضي المحكمة كونراد دينجلر إن لجريمة التي نفذها هولتز ضد زوجته تجري مع الأسف كل يوم في ألمانيا وبشكل يتطلب تدخل القضاء بهدف وضع حد لتفاقم هذه الظاهرة، وجاء تعليق القاضي على طلب الادعاء العام بعد ورود أنباء جريمتين أخريين حدثتا في ولاية بافاريا وارحت ضحيتهما امرأتان ألمانيتان، إذ قام رجل ألماني من مدينة ميونيخ بقتل زوجته النائمة طعناً بسبب خلاف حول إرث، وطعن رجل آخر من مدينة بامبيرغ زوجته في قلبها كي يتسع له المجال للسياحة مع صديقته في الخارج، وتشير الإحصاءات إلى أن ما معدله خمس جرائم قتل يرتكبها الأزواج ضد زوجاتهم أو بالعكس أسبوعياً في ألمانيا.

وفيما انشغلت صحافة بافاريا بعرض تفاصيل الجرائم وأسبابها نشرت مصادر الشرطة الألمانية إحصاءات عن عدد الجرائم الزوجية والجرائم المرتكبة في إطار العائلة الواحدة في عموم ألمانيا.

ويتضح من الإحصائية أن عدد الجرائم المرتكبة في إطار العائلة الواحدة يشكل الجزء الأكبر من جرائم القتل التي بلغت ١٣٠٠ جريمة عام ١٩٩٧م، فنسبة الجرائم بين أفراد العائلة الألمانية ترتفع إلى نحو ٤٠٪ من جرائم القتل، علماً أنه لم يحتسب عدد المحاولات وإنما عدد الجرائم التي ارتكبت وأدت إلى موت أحد أفراد العائلة.

زيادة ديون الدول النامية إلى ٢,٢ تريليون دولار

يشهد العالم استقطاباً مطرداً بين الاغنياء والفقراء سواء بين الدول او داخلها، ويشكل الفقر وسط الوفرة مشكلة متزايدة تنطوي على أخطار كبيرة بالنسبة للغرب وللعالم.

ويقول جيمس سبيث في «الهيرالد تريبيون» إنه انخفضت حصة الفرد من الداخل في أكثر من ١٠٠ بلد خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية، كما انخفض الاستهلاك الفردي بنسبة تقارب الواحد في المائة سنوياً في أكثر من ٦٠ بلداً.

وخلال العامين المقبلين ستحدث زيادة حادة في عدد الفقراء في شرق اسيا من ٤٠ مليوناً إلى ١٠٠ مليون إذا استمر الاتجاه الراهن، وسوف يرتفع عدد الإندونيسيين الذين يعيشون على أقل من دولار واحد في اليوم من ١٣ مليوناً عام ١٩٩٧م إلى ٣٤ مليوناً خلال العام الحالي.

ولذلك، فإن هناك خطراً حقيقياً في أن هذه الطبقة الدنيا الهائلة في العالم ستقوض الاستقرار العالمي.

وكان يتوقع لأفريقيا أن تحقق في عام ١٩٩٨م نمواً اقتصادياً يتجاوز ٤ بالمائة ولكنه كان في الحقيقة أقرب إلى ٢,٢ بالمائة، وفي أمريكا اللاتينية انخفضت توقعات النمو من ٥,٣ بالمائة قبل الأزمة المالية العالمية إلى ٤,٦ في المائة لعام ١٩٩٩م.

وفي الوقت نفسه، أدى انهيار الاتحاد السوفييتي إلى إفقار نحو ١٥٠ مليون شخص.

ومن أصل ٤,٤ مليارات شخص في البلدان النامية يعيش ثلاثة أرباعهم في مجتمعات تفتقر إلى المنشآت الصحية الأساسية، ويشرب ثلثهم مياهاً غير نظيفة، ويفتقر ربعهم إلى سكن كاف ويعاني خمسهم من سوء التغذية.

كما أن ١,٣ مليار شخص يعيشون على أقل من دولار يومياً، ويتوقع أن ثلث سكان البلدان الأكثر فقراً، خصوصاً الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، سيموتون قبل سن الأربعين.

ومن أجل ذلك يتعين على البلدان الصناعية أن تبادر قبل كل شيء إلى تقليص عبء البلدان النامية من الديون الخارجية، التي يبلغ إجماليها حالياً أكثر من ٢,٢ تريليون دولار والتي يشكل الدين الحكومي طويل الأجل ثلثيها.

ويجب أن تكون هناك برامج خاصة تتصدى لتحديات الأسواق قبل - الناشئة حيث أنظمة البنوك والإشراف وإمكانات الإدارة أقل تطوراً بكثير مما هي عليه في آسيا.

وتقوم منظمات دولية مثل برنامج التنمية =التابع للأمم المتحدة بحشد الإرادة السياسية الدولية من أجل تخفيض الديون وتحسين قدرة البلدان الفقيرة على إدارة ديونها ومساعدتها على تحويل مواردها من الديون إلى التنمية الاجتماعية.

اليتامى.. ضحايا الإيدز

وأفاد التقرير أيضاً أن مرض نقص المناعة المكتسب «إيدز» اجتاح الدول النامية بمعدل ١٦ الف حالة جديدة يومياً، مما زاد من عدد اليتامى إلى عشرة ملايين شخص.

وفي أوغندا يوجد على سبيل المثال ١,١ مليون طفل يتيم وهو ما يمثل ١١ في المائة من إجمالي الأطفال هناك، مقارنة بأيتام الدول الصناعية الذين لا تزيد نسبتهم عن واحد في المائة فقط.

وأشار التقرير إلى تردي أحوال الأطفال على نحو خطير في الدول النامية مقارنة بالدول المتقدمة.

فالطفل يولد في الدول النامية ونصيبه من الدين القومي ٤١٧ دولاراً، وتنفق الدول الأفريقية الأشد فقراً على خدمة ديون خارجية تبلغ ٣٠٠ بليون دولار أكثر مما تنفق على قطاعات الصحية والتعليم لنحو ٢٠٦ ملايين طفل.

ووضعت اليونيسيف في تقرير ١٩٩٩م «مقياس الخطر على الأطفال» لقياس معدل الوفيات بين الأطفال دون سن الخامسة وحالات انخفاض الوزن المعتدل أو الخطير، ومعدل الالتحاق بالتعليم الأولي إلى جانب مخاطر الإيدز والصراعات المسلحة، وكلما ارتفع المؤشر كان معنى ذلك أن الأطفال أسوأ حالاً.

ووفقاً لهذا المقياس، ظهر أن أسوء الأطفال حالاً في أفريقيا، وإن أشد الدول خطراً بالنسبة لهم هي أنجولا (٩٦) وسيراليون (٩٥) والصومال (٩٢) وأثيوبيا (٨٥) وغينيا بيساو والنيجر (٨٠) ثم الكونغو الديمقراطية (٧٦).

وفي الشرق الأوسط وشمال افريقيا كان الأطفال أكثر عرضة للخطر في السودان (٥٩) واليمن (٤٩) والعراق (٣٩) والجزائر (٢٦).

من هدي كتاب الله

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى ولبيدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)

النور :٥٥.

من هدي رسول الله ﷺ

عن أنس . رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

«لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»

متفق عليه.

أقوال وحكم

قال أبو الدرداء: ثلاث لا يحبهن غيري: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي، وأحب الفقر تواضعاً لربي، فذكر ذلك لابن شبرمة فقال: ولكني لا أحب واحدة من الثلاث:

أما الفقر فوالله للغنى أحب إليَّ منه لأن الغنى به توصل الرحم، ويحج البيت، وتعتق الرقاب، وتبسط اليد بالصدقة، وأما الموت فوالله ما يمنعنا من حبه إلا ما قدمناه، وسلف من أعمالنا فنستغفر الله.

محاورة

سأل ملك وزيره فقال : ما خير ما يرزقه العبد؟ قال : عقل يعيش به. قال: فإن عدمه؟ قال: أدب يتحلى به،

قال: فإن عدمه؟ قال: مال يستره. قال: فإن عدمه؟

قال: فصاعقة تحرقه وتريح منه البلاد والعباد!

الأغنياء أفضل أم العلماء ؟

قيل لأحد الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟

قال: العلماء.

قيل له :

فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟

قال :

ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بفضل العلم.

الفرج من الله

يا صاحب الهم إن الهم منفرج
أبشر بخير فإن الفارج الله

اليأس يقطع أحياناً بصاحبه
لا تيأسن فإن الكافي الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة
لا تجزعن فإن الصانع الله

إذا بليت فثق بالله وارض به
إن الذي يكشف البلوى هو الله

والله ما لك غير الله من أحد
فحسبك الله في كل لك الله

من اصطلاحات المحدثين

- إذا قالوا متفق عليه: يعني رواه البخاري ومسلم، وكذلك إذا قالوا: أخرجه الشيخان.

- إذا قالوا: رواه الأربعة: يريدون الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

- إذا قالوا رواه الثلاثة: فإنهم يريدون الأربعة السابقين ما عدا ابن ماجه.

- إذا قالوا رواه الستة: فإنهم يريدون أصحاب السنن الأربعة والبخاري ومسلم.

من الأسماء العربية

خالص: صاف أبيض لا غش فيه.

خبير: عالم بالأمر وعارف بالخبر.

خزيمة: تصغير خزامى وخزام وهو نبت طيب الأزهار أو هو ناظم اللؤلؤ.

ثلاثة

قال الأحنف بن قيس:

ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من دني، وبر من فاجر، وحليم من أحمق.

مخالفة الهوى

قال عتبة بن أبي سفيان: إذا اجتمع في قلبك أمران لاتدري أيهما أصوب، فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالفه، فإن الصواب أقرب إلى مخالفة الهوى.

الدنيا

سئل رجل عن الدنيا فقال: «ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، وفي حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من أمن فيها سقم، ومن مرض فيها ندم، ومن استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ثم إن الدنيا دار لمن صدقها ودار غنى لمن تزود منها، مسجد أبينا آدم ومحيط ومتجر أوليائه، فاكتبوا منها الرحمة وادخروا منها للجنة».

في مغفرة الرب

قال الفضيل بن عياض: قال إبليس: يا رب الخليقة تحبك وتبغضني، وتعصيك وتطيعني، فقال الله سبحانه: لأغفرن لهم طاعتهم إياك ببغضهم لك ولأغفرن لهم معصيتهم إياي بحبهم لي.

مؤنثات مجازية

يستدل على التأنيث المجازي بضمير المؤنث، أو شارته أو لحوق التاء بفاعله مثل: هذه الشمس رايتها طلعت، وظهور التاء في تصغيره كأنثية، أو حذفها من اسم عدده كأربع أذان والمؤنثات المجازية الفاظ محصورة سمعت عن العرب فيقتصر عليها ومنها:

- جهنم: وهي علم على النار التي يعذب الله بها العصاة من عباده ولا تصرف قال تعالى: (فجزاؤه جهنم خالداً فيها).
- الجحيم: وهي النار الشديدة التأجج قال تعالى: (فإن الجحيم هي المأوى).
- السعير: هي النار قال تعالى: (وسيصلون سعيراً).
- سقر: وهي جهنم واسم من اسماء النار، معرفة ممنوعة من الصرف قال تعالى: (وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر».
- الأرض: مؤنثة وجمعها: الأرضون، قال أبو زيد: وسمعت العرب تقول في جمع الأرض: الأراضي والأروض كفلوس وجمع فعل على فعال من أرض وأراض وأهل وأهال وليل وليال بزيادة الياء على غير قياس.
- العقاب: طائر من الجوارح معروف، جمعها: أعقب وعقبان.
- العنز: الأنثى من المعز إذا أتى عليها حول وهي ايضاً الأنثى من الظباء، وجمعها أعنز وعنوز.

ثلاثة عيوب

ثلاثة عيوب من كُنَّ فيه:

البغي: قال تعالى: (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) والمكر السيء: قال سبحانه وتعالى: (لا يحيق المكر السيء إلا بأهله)، والنكث: قال سبحانه وتعالى: (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه).

من أراد

- من أراد زاداً فالتقوى تكفيه.
- ومن أراد عزاً فالاسلام يكفيه.
- ومن أراد عدلاً فحكم الله يكفيه.
- ومن أراد أنيساً فذكر الله يكفيه.
- ومن أراد جليساً فالقرآن يكفيه.
- ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه.
- ومن أراد غنى فالقناعة تكفيه.
- ومن أراد زينة فالعلم يكفيه.
- ومن أراد جمالاً فالأخلاق تكفيه.
- ومن أراد راحة فالآخرة تكفيه.
- ومن لم يكفه كل هذا فالنار تكفيه.

بال الثعلب فأسلم باو ذر !!

كان أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يعبد صنماً في الجاهلية لا يفارقه في حضر ولا سفر فخرج يوماً إلى السفر وقال:

أيها الصنم احفظ متاعي، فلما ذهب جاء الثعلب وبال على الصنم، فلما رجع أبو ذر وجد الصنم مبتلاً فقال:

واعجباً!! السماء لم تمطر فمن أين جاء هذا البلل؟ فتبين أن الثعلب بال عليه، فرمق السماء بطرفه وقال:

أرب يبول الثعلبان برأسه

لقد ذل من بالت عليه الثعالب

فلو كان رباً لكان يمنع نفسه

فلا خير في رب نأته المطالب

برئت من الأصنام في الأرض كلها

وامنت بالله الذي هو غالب

أمثال إيطالية

- يدفع الجندي من دمه ثمن شهرة قائده.
- كل طحان يجر الماء إلى طاحونته.
- تعلن الحرب عندما تريد وتنهيها عندما تستطيع.
- المصيبة تجر أخرى.
- من يعش أملاً يمت راغباً.
- من يتكلم يزرع ومن يصمت ينضح.
- أسوأ اللصوص كتاب تافه.
- كلما استنبط قانون جديد استنبطت طريقة للتخلص منه.

الفتاوى الشرعية

هذه الفتاوى منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. والمجلة على استعداد لتلقي الاسئلة مباشرة وتحويلها الى اهل الاختصاص للاجابة عليها. ويسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الاسئلة الفقهية مباشرة من الساعة ٨ صباحا الى الساعة ١٢ ظهرا ومن الساعة ٤ عصرا الى الساعة ٨ مساء على الهواتف التالية :

هاتف مباشر خدمة الفتوى

149

من أسباب جمع الصلاة

عرض على اللجنة السؤال التالي:

نحن موظفون في شركة، هل يجوز لنا الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، لأن الشركة لا تترك لنا مجالاً للصلاة وتفرض علينا مواصلة العمل، وكذلك لا نعطى وقتاً في رمضان للصلاة والإفطار، أفتونا ماجورين.

- أجابت اللجنة:

إذا كان واقع الحال كما هو في السؤال، من أن الشركة لا تترك لهم مجالاً للصلاة، وتفرض عليهم مواصلة العمل، فيجوز لهم الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، ولكن إذا أمكنهم أن يصلوا ف يالوقت فلا يجوز لهم تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها، ويستوي الحال في رمضان أو في غير رمضان، والله أعلم.

التكلم في الصلاة

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

مسلم كان في الركعة الأولى، فطرق الباب، فأجاب الطارق بعد طرقتين بكلمة «نعم» وفتح له الباب، ثم عاد أدرك الركعة الثانية في قراءة الفاتحة، ولم يعد الركعة الأولى، فهل الصلاة تامة؟ علماً بأن المصلي عندما خرج من الركعة الأولى خرج بتسليم وعندما عاد إلى الصلاة كبر للتحريم، وما القاعدة العامة في البناء على الصلاة عند قطعها لمثل هذه الحالات؟

- أجابت اللجنة بما يلي:

هذه الصلاة فاسدة لأمرين: خروجه منها بالتسليم وبكلامه بقوله «نعم»، وعليه أن يعيدها، أما القاعدة العامة في البناء على الصلاة عند من أجازه من الفقهاء وهم الحنفية فهي أن يسبقه حدث كرعاف، أو ناقض للوضوء غير متعمد، فيذهب للوضوء ويعود ليبني على ما صلى، شريطة ألا يأتي بمناف للصلاة، ككلام، أو كشف عورة، أو انحراف عن القبلة، إلا لضرورة في هذا الأخير. والله أعلم

الجمع بين الصلوات

عُرض على اللجنة الاستفتاء التالي:

شخص كبير السن وقد ناهز المائة عام، ويجد صعوبة في استعمال الوضوء لكل صلاة ورخاوة في البول، فهل يجوز له أن يجمع بين الصلوات كصلاة الظهر مع العصر أو صلاة المغرب مع العشاء، إما تقديماً أو تأخيراً؟ وجزاكم الله خيراً

- أجابت اللجنة:

الأولى لمن هذه حالته أن يجمع الجمع الصوري بأن يؤخر الظهر إلى أن يقرب وقت العصر، بحيث يتوضأ ويصلي الظهر قبل دخول وقت العصر، ثم يصلي العصر بعد دخول وقتها، وكذلك يفعل بالنسبة لصلاة المغرب والعشاء. والله أعلم

زكاة العقار والأراضي

عُرض على اللجنة السؤال التالي:

رجل يقوم بشراء الأراضي والبناء عليها بقصد بيعها، ثم بعد انتهاء البناء والبيع يقوم الرجل بسداد تكاليف البناء، ثم يخرج زكاتها، فهل هذه الطريقة صحيحة أم لا لإخراج الزكاة؟ مع العلم أن مدة البناء تستغرق عدة سنوات؟

- أجابت اللجنة:

إن على هذا الرجل أن يحدد موعداً سنوياً لإخراج الزكاة، فيحسب قيمة الأراضي وما عليها يوم وجوب الزكاة، ويضم إليها ما لديه من الأموال الزكوية، ويسقط منها ما عليه من الديون، ثم يخرج زكاته بنسبة ٢,٥٪. والله أعلم

- وعُرض على اللجنة السؤال التالي:

هل زكاة العقار تكون من رأس المال أم من الإيراد؟

- أجابت اللجنة:

إنه إذا اشترى العقار بقصد التجارة فهو من العروض التجارية، يثمن في يوم الزكاة بسعره القائم وتخرج زكاته، أما إذا اشترى بقصد الاستثمار أو السكنى فليس في قيمته زكاة، والزكاة على وارد المأجور أو المزروع. والله أعلم

بيع الذهب بالذهب بزيادة نقدية

عُرض على اللجنة الأسئلة التالية:

أ ـ ما حكم من يشتري مصاغ ذهب جديد بمصاغ ذهب قديم مع زيادة نقدية؟ علماً أن المصاغين متماثلان وزناً موضحين ما يلي:

إن الجاري في تجارة الذهب أن التاجر الذي يشتري مصاغاً جديداً يدفع فيه قيمة وزن الذهب، كما هو سعره في السوق، وأيضاً قيمة الصياغة، وهي هنا الزيادة التي يأخذها بائع المصاغ الجديد، فهل هذا البيع جائز أم يدخل في النهي الوارد في الأحاديث المعروفة في هذا الباب؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن هذا البيع المشار إليه في السؤال يدخل في النهي الوارد عن بيع الذهب بالذهب متفاضلاً، والطريقة الصحيحة لمثل هذه المبادلة التي يجري العمل بها هي:

بيع الذهب غير المصوغ بالعملات النقدية ثم شراء الذهب المصوغ بالعملات النقدية أيضاً أي لابد من إجراء عقدين منفصلين، وقد ورد في نحو هذه المعاملة في عهد الرسول ﷺ فقد روى ما نصه «أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر فجاءه بتمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ أكل تمر خيبر هكذا؟ قال: لا والله يا رسول الله: إنا نأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ : لا تفعل، بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيباً» رواه البخاري والجنيب هو الذي أخرج منه حشفه ورديئه، وهو الذي لا يخلط بغيره، بخلاف الجمع، والجمع: هو التمر المختلط، (فتح الباري ج٤ ص٣٩٩ حديث رقم ٢٢٠١، ٢٢٠٢) ولابد من التقابض في المجلس. والله أعلم.

ب ـ هل التماثل في المصاغات الذهبية يكون في الوزن فقط أو أن التماثل ينبغي أن يكون كذلك في نوع القطعة نحو قلادة، سوار، خاتم، وكذلك في عيار الذهب نحو ذهب عيار ١٨، ٢١، ٢٤... إلخ؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن التماثل في بيع الذهب بالذهب سواء كان مصوغاً أو غير مصوغ العبرة فيه بالوزن، فقط، ولا ينظر إلى نوع القطعة المصوغة، كما لا ينظر إلى عيار الذهب ما دام الذهب هو الغالب كالعيارات المشار إليها في السؤال، فإن صار الذهب مغلوباً كعيار (١١) فما دونه فيعتبر نوعاً آخر بحسب المعدن الغالب فيه، إذ العبرة للأكثر، والحل الشرعي في مبادلة هذه الأنواع من الحلي أو العيارات المختلفة، بعضها ببعض هو ما سبقت الإشارة إليه في جواب السؤال الأول من بيع النوع الأدنى بالنقد، ثم شراء النوع الأعلى بالنقد أيضاً مع الأخذ في الاعتبار وجوب التقابض في المجلس. والله أعلم

ج ـ ما حكم من يسعّر بسعرين مختلفين لمصاغ ذهب واحد، فمثلاً إذا أراد بائع المصاغ أن يأخذ قيمة المصاغ نقداً يكون السعر المعطى له أقل مما لو أراد بائع المصاغ أن يشتري بثمن مصاغه مصاغاً آخر، حيث يكون السعر المعطى أكثر، فهل يجوز هذا؟ وهل هذا هو المراد في البيعتين ببيعة؟

ـ أجابت اللجنة بما يلي:

إن كان المراد من هذا السؤال تطبيق ما عليه العمل من بيع المصوغ بمصوغ آخر مع فرق في الثمن فهذا ما تقدم منعه إلا عن طريق البيع بالعملة النقدية ثم الشراء بالعملة النقدية، وقد سبق بيان الحكم الشرعي فيه.

أما إن كان المراد شراء المصوغات القديمة بسعر أعلى إذا كان البائع يريد شراء مصوغ جديد فيما بعد، وشراءها بسعر أدنى إذا كان لا يرغب فيما بعد شراء مصوغ جديد فهذا التفاوت جائز بشرطين:

أولاً: أن يتم ذلك بعقدين مستقلين.

ثانياً: أن تكون هذه الرغبات مساومة قبل العقد، وأن يقع العقد على سعر واحد، وإلا كان من «بيعتين في بيعة» وعلى جميع الأحوال لابد من التقابض في المجلس. والله أعلم

بيع وشراء الأسهم

١ ـ هل يجوز البيع والشراء في الأسهم المتداولة في بورصة الكويت والمضاربة بها، علماً بأن هذه الشركات صناعية كانت أو عقارية تودع بعض أموالها في البنوك، وتأخذ عليها فوائد، أو تقترض من البنوك بفائدة لتكملة مشاريعها؟

٢ ـ الشركات السالفة الذكر تدفع ارباحاً سنوية للمساهمين وفيها نسبة من فوائد البنوك داخلة ضمن أرباح هذه الشركات، فما حكم هذه الأرباح وأين تنفق؟

ج ـ توزع الشركات المساهمة سنوياً أسهم منحة من الشركة بقيمة اسمية أو رمزية مقدارها دينار، علماً بأن هذا السهم يقدر في السوق بأضعاف قيمته، علماً بأن هذا السهم الموزع على المساهم كمنحة مجانية له من الشركة دخل ضمن قيمته الاسمية، فما حكم هذه الأسهم؟ وهل تجوز المضاربة بها والانتفاع بأرباحها أم لا؟

د ـ هل يجوز بيع الأسهم بالأجل؟

ـ وبعد عرض الموضوع على اللجنة أجابت بما يلي:

(أ، ب) إن الشركات التي ليس عملها الأساسي التعامل بالربا أو المحرمات فلا مانع من التعامل معها أو المساهمة فيها، أما إن كان عملها الأساسي التعامل بالربا أو المحرمات فتحرم المساهمة فيها. أما إذا تعاملت بالربا إقراضاً فعلى المساهم أن يتخلص من الريع الذي أصابه من هذا السبيل بإنفاقه بأي عمل من أعمال الخير، بشرط أن لا يقضي به ديناً، وأن لا يبني به مسجداً، وأن لا ينفقه على أهله، ولا يحتسبه من الزكاة. أما إن كانت الشركة تقترض بالربا فإن كان الاقتراض لضرورة أو حاجة ملحة فلا إثم على الشركة، وإنما الإثم على المقرض بالربا ويكون الإثم مضاعفاً.

وإن كان الاقتراض لغير ذلك فيكون شريكاً في الإثم إذا أقرت الشركة على هذا التصرف، وعليه أن يعمل على التخلص من هذه المعاملة الربوية.

ج ـ لا مانع شرعاً من أن توزع الشركة أسهماً على مساهميها مع ملاحظة أن يكون أصل هذه الأسهم من كسب حلال، وتجوز التجارة بها وبيعها وشراؤها إذا كان مصدرها حلالاً، حتى ولو بيعت بأكثر من ثمنها الرمزي.

د ـ السهم ما هو إلا جزء شائع في شركة وبيع المشاع جائز سواء كان حالاً أو مؤجلاً.

بقلم : علي مدني رضوان

القوة .. القوة

يكاد الإسلام يولي أمر القوة والبأس اهتماماً خاصاً، فليس من عجب إن وجدناه يكره الضعف بجميع أشكاله ويمقت العجز بكل أنماطه وعلى كل مستوياته، فلم يرض للمسلم البتة في يوم من الأيام أن يكون طرفاً ضعيفاً واهناً، بل يرضاه معتداً بكل مظاهر القوة معتزاً بها، رافضاً لكل مواطن الضعف والعجز واليأس، وسر ذلك أن الإسلام يعلم أن هناك أعداء يتربصون به الدوائر ويفرحون بما يصيبه من فجائع لينالوا منه ويصيبونه في مقتل، ومن أجل هذا كانت البيئة الصحراوية القاسية هي موطن هذا الدين ومهده ليكون ذلك رمزاً للقوة والمشقة.

إنما الإسلام في الصحراء امتهد ... ليجيء كل مسلم أسد

نعم يريده الإسلام أسداً لكي يركب الصعب والذلول ويتجشم الحزون والسهول ويقطع الفيافي والقفار ويسلك البر والبحر فلا غرو أن يوصي القرآن الكريم أتباعه بإعداد القوة وأخذ العدة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)، ويلفت الأنظار إلى أنَّ في الحديد بأس شديد ومنافع للناس ليكون المسلم مسيطراً بالقوة في أوقات السلم والحرب، فتراه يشير إلى استخدام الصناعات العسكرية الثقيلة بقوله: (فيه بأس شديد)، ثم يشير إلى الصناعات المدنية بقوله: (ومنافع للناس)، فيكون المسلم حارساً أميناً بقوته على مقدرات الأرض، عادلاً بين الشعوب، يعدل بميزان الله الذي لا يطغى وليس هذا فحسب، بل إن إدراك التعاليم والأخذ بها على النحو الأمثل يحتاج إلى قوة (يا يحيى خذ الكتاب بقوة) (فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها)، وإن صناعة المجد لتحتاج إلى قوة نفسية وأخرى بدنية ولن يتحقق لنا ذلك القدر ما لم نترك أسباب الخلاف وموارد النزاع لكي نتوحد من جديد أمام الخطر الأكبر ولم ينس التاريخ الإسلامي أن يسجل في رائعة من روائعه (في معركة الزلاقة) عندما استغل ألفونس السادس «الأذفونش» ملك الفرنجة ضعف ملوك الطوائف من المسلمين في بلاد الأندلس وقد صاروا يؤدون إليه ضريبة يصالحونه عليها حتى يأمنوا على أنفسهم، وكان قد استولى على طليطلة عام ٤٧٨هـ، وثمة خلاف كان قد وقع بين «المعتمد بن عباد» أكبر ملوك الطوائف وبين «يوسف بن تاشفين» زعيم المرابطين فقال المعتمد بن عباد قولته الرائعة الحكيمة: «لأن يرعى أولادنا جمال المرابطين أحب إلينا من أن يرعوا خنازير الفرنج.

إنَّ الفشل الذريع ينشأ حتماً عن الخلاف ويؤدي في نهاية الأمر إلى ذهاب الريح وفناء القوة فهلا تدرك أمتنا ذلك وتستقرئ التاريخ من جديد لتربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، لعلَّ الله تعالى يطلع على صدق نوايا فيمن عليها بعناية ترفع البناية إنه على ذلك قدير وهو حسبها ونعم الوكيل. ■

الوعي الإسلامي

إسلامية شهرية جامعة

al-Waei al-Islami

On The Internet على الانترنت

e.mail: al_waei@hotmail.com

Homepage: www.kuwait.net/~awqafnet

ص.ب: ٢٣٦٦٧ ـ الصفاة ـ 13097 ـ الكويت ـ هاتف: ٢٤٨٧٢١٠ (٩٦٥+) فاكس: ٢٤٣١٧٤٠ (٩٦٥+)

P.o.Box : 23667 - Safat - 13097 - Kuwait - Tel. (+965) 24 87 210 - Fax : (+965) 24 31 740

بسم الله الرحمن الرحيم

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ

صدق الله العظيم

شارك معنا من خلال اقتنائك

السهم الوقفي

بقيمة

١٠

د.ك

ومضاعفاته

للإستفسار - هاتف: ٨٠٤ ٧٧٧

التحصيل السريع - بيجر: ٩٢٥٠ ٩٢٥

فاكس: ٢٦٦٠ ٢٥٣

السهم الوقفي

عبدكة جارية.. لخدمة المرضى والمجتمع

VISA

MasterCard